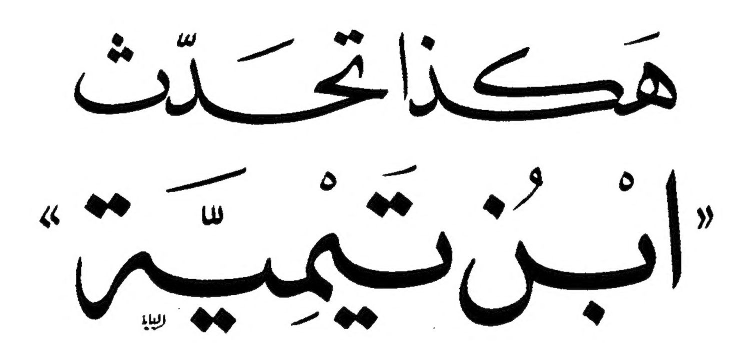
هكذا تحدث
"ابن تيمية"

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

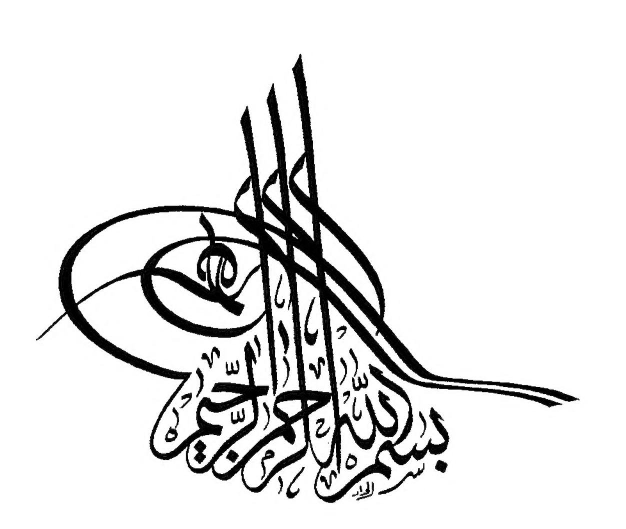
المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥



عائض بن سعد الدوسري

المكتب الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



بقلم: زهير الشاويش

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

أما بعد:

فإن الحديث عن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله حديث ذو شجون عندي.

فهو حديثٌ عن الإمام المجدد المصلح الذي لم يأت في تاريخ الإسلام مثله منذ ألف سنة، والذي صدق فيه كلام الإمام الحافظ ابن دقيق العيد الشافعي إذ قال: ما أظن أنه بقي يُخلق مثله.

وهو حديث عن رجل أحيا العلم والسنّة، وأيقظ الأمة، وجدد لها دينها، واجتهد وجاهد باللسان والسنان، ومواقفه من التتار والمغول، ومعركة شقحب[2]، ووادي التيم والساحل ومعركة عكا معلومة.

وهو حديث عن رجل عايشتُ تراثه وكتبه وآثاره أكثر من ستين سنة، وكان لي شرف إظهار بعض آثاره للمرة الأولىٰ عبر المكتب الإسلامي، أسأل الله أن ينفع بذلك، كما كنت أولَ من كشف عن تعيين مسجده في حي الميدان بدمشق؛ بل ولا أكتم سراً أني أسميت إحدىٰ بناتي (تيمية)! ولعلي لم أُسبق لإحياء هذه التسمية، وكم أحب أن يُنادىٰ ابنها: (ابن تيمية)!

---

(١) تكرم بالنظر إلىٰ رسالة «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله؛ طبع المكتب الإسلامي.

(٢) انظر كتيب: «معركة شقحب»، للدكتور محمد لطفي الصباغ؛ طبع المكتب الإسلامي.

وإذا كان العالم يُقاس إما بنتاجه العلمي، أو بتلامذته وأصحابه، فما الظن بهذا الإمام الذي ذُكر أن مؤلفاته أكثر من ثلاثمائة مجلد ـ أيام المخطوطات ـ والآن تزيد علىٰ الألف، هي النهاية في التحرير والترجيح، وقوة الحجة والاستدلال، والنَّفس والعارضة القوية، وإذا كتب في شيء فالغالب أن القول قوله. وانظر إن شئت كلام الحافظ عمر البزار في كتابه «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» بتحقيقي (ص٢٤ ـ ٢٧).

أما أصحابه فمنهم: ابن قيم الجوزية، وابن كثير، وابن مفلح، وابن عبد الهادي، والذهبي، والمزي، والبرزالي، وابن سيد الناس، وابن شيخ الحزامين، وابن الواني، وابن المحب، والعدد الكثير غيرهم، فمن الناس بعدهم؟

بل كان رحمه الله من أبرز من أشاع العلم في بلاده، كما قال الذهبي في كتابه: «الأمصار ذوات الآثار» ضمن كلامه عن دمشق (١٦٢ ـ ١٦٦):

(هي دار قرآن وحديث وفقه، وتناقصَ العلم بها في المئة الرابعة والخامسة، وكثر بعد ذلك، ولا سيما في دولة نور الدين، وأيام محدّثها ابن عساكر، والمقادسة النازلين بسفحها، ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية، والمزي، وأصحابهما، ولله الحمد).

وأن الناظر في سيرة هذا الإمام يعجب من إطباق الكبار المعتد بهم من شتىٰ المذاهب والعصور علىٰ الثناء عليه[١] ـ بل إذا أُطلق شيخ الإسلام؛ فالغالب أنه هو المراد ـ مع أن هذا لقب به المئات من مختلف المذاهب والعصور.

كما يعجب من أحواله، ومنها موقف مخالفيه منه، ثم موقفه معهم،

---

(١) أفردت عدة رسائل في الثناء علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، منها كتابنا هذا «الرد الوافر»، و«الأعلام العلية» للبزار، وكلاهما طبع المكتب الإسلامي، وممن أفرده أيضاً ابن عبد الهادي، والسرمري، والصفي البخاري، وكردعلي، وغيرهم.

وقام الشيخان محمد عزير شمس، وعلي بن محمد العمران بجمع كتابات المؤرخين لشيخ الإسلام ابن تيمية في مجلد كبير، وهو مفيد.

وخاتمة مسيرته في الدنيا بجنازته العظيمة التي أرّخها البرزالي وابن كثير وغيرهما، حيث ذكروها بتفصيل مؤثر، ومما ذكروا: أن دمشق كلها خرجت فيها، حتىٰ أعداؤه وحاسدوه، إلا بضع نفر خشوا علىٰ أنفسهم من الناس!

إنه القبول الذي بيد الله العادل الحكيم، العليم بما في الضمائر والنفوس، لم يجعله بيد البشر، وإلا لمنعه الجاهل والحاقد والحاسد وذو المصلحة والمخالف المتعصب، وهؤلاء بالضبط هم أعداء شيخ الإسلام!

بل حتىٰ الناظر في بعض المصادر الشاردة تجتمع عنده فكرة تقديم شيخ الإسلام عند كبار شيوخه وشيوخ عصره، في أكثر من مجال[1].

---

(١) سجل تلميذه الحافظ ابن الواني في مشيخته (مخطوطة في التيمورية) عدة مجالس حديثية لكبار الشيوخ والمسندين ممن هم في طبقة شيوخ ابن تيمية، وكان يُحرص في مجلس الختم الذي يحضره المئات علىٰ وجود شيخ الإسلام ليجيز الحاضرين ويُسمعهم مع كبار الشيوخ، كما سجل بعض ذلك الحافظ ابن حجر في كتابه «المجمع المؤسس».

ولما ألّف ابن تيمية «المنتقىٰ من عوالي صحيح البخاري» قام كبار المشيخة بإسماع كتابه، مثل: هدية بنت عسكر (ت٧١٢)، وسليمان بن حمزة المقدسي (ت٧١٥)، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الدائم (ت٧١٨)، وعيسىٰ المطعم (٧١٩)، والحجار ابن الشحنة (ت٧٣٠)، وجماعة بعدهم، وهؤلاء هم أكبر رواة «صحيح البخاري» في العالم الإسلامي حينئذ.

وخرّج بعض الحفاظ تخاريج لشيخ الإسلام، مثل ابن الواني خرّج له «الأربعين»، وقرأها عليه الحافظ الذهبي وغيره، كما انتقىٰ الحافظ الذهبي عليه «عوالي جزء الحسن بن عرفة»، وكلاهما مطبوع.

كما حرص أهل العلم والطلبة علىٰ القراءة علىٰ شيخ الإسلام والرواية عنه، وأسمع الكتب الكبار والأجزاء الصغار في وجود طبقة أشياخه، واستجازه الناس من الآفاق، كأهل سبتة ـ ردّها الله للمغرب من الاحتلال الإسباني ـ، وهو أول من كتب في الاستدعاء الألفي الشهير، وذكر أخي الشيخ عبد الرحمٰن القريوائي الأردني جملة ممن وقف علىٰ سماعاتهم من شيخ الإسلام في كتابه «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (١/ ١٠١ ـ ١٥٩).

وكتب أخي الشيخ محمد زياد بن عمر التكلة الدمشقي جملة من الاتصالات المعاصرة لشيخ الإسلام في الرواية في كتابه «فتح الجليل» (ص٤٥١).

ومن ينظر في السماعات التي بآخر «أربعين ابن تيمية» بتحقيق صاحبنا الأخ الشيخ =

نعم! إن الحديث عن ابن تيمية حديث عن إمام كبير؛ لم يتعرض مصلح لمثل ما تعرض له من إجحاف ومعاداة، وصلت لحد التبديع والتكفير! بل ناله أذىٰ الأعداء والتكفيريين، بالسجن والنفي والاضطهاد والتضييق، حتىٰ في السجن! منعوه من الورق وأسباب الكتابة! حتى الحبر والفحم؟؟ مع التزوير عليه بما يعلمون هم بطلانه قبل غيرهم(١)، بل وصل إلىٰ محاولة قتله عدة مرات، وهو في كل ذلك صابرٌ محتسبٌ متسامحٌ مع خصومه وأعدائه ـ ولا سيما أوقات قدرته عليهم ـ باذلٌ جهده في وحدة الأمة الإسلامية بالكلمة والفعل.

ومع مكانة ابن تيمية في نفوس عامة الأمة الإسلامية، وتضافر كلام كبار علماء عصره في الثناء عليه، ومكانته العلمية التي شهد بها المخالف قبل الموافق.

إلا أن هناك من لا يرعىٰ حرمة للمسلمين، ولا يبالي بمكانة العلماء، حتىٰ وجدنا إلىٰ عصرنا الحاضر من يكفّر ابن تيمية علانية دون خشية من الله،

= محمد بن ناصر العجمي الكويتي، يجد فيها أسامي جماعة من الحفاظ، والصالحين، ومن شتىٰ المذاهب والبلدان، بل فيهم من الصوفية، وكتب أحد السماعات الحافظ محمد بن رافع السّلامي، وختم مصرحاً باغتباطه بحصول الرواية عن ابن تيمية، فقال: (وأجاز لهم ما يرويه، وتلفظ بذلك، **والحمد لله علىٰ السماع لذلك)**.

كل هذا من الشواهد علىٰ ما حبا الله شيخ الإسلام من قبول، ومعرفة لحقه من أهل العلم.

(١) من ذلك أن زوّر بعض الصوفية كتاباً علىٰ شيخ الإسلام يكاتب فيه التتار ويصانعهم ضد نائب السلطنة، وذلك في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٧٠٢، واكتُشف من عمله وعوقب، والعجيب أن هذا التزوير كان في ذات الوقت الذي يتحرك فيه شيخ الإسلام ويؤلب الخاصة والعامة لجهاد التتار، وكلل ذلك عملياً عندما كان له الدور المباشر الكبير في معركة شقحب الفاصلة مع التتار في رمضان من ذات السنة!

وفي ذي القعدة سنة ٧٢٦، سأل بعض المتنفذين في السلطنة عن قوله في مسألة الزيارة، فأجاب وكتب فيها، ثم كتب تحته أحد أعدائه من القضاة مزوراً لكلامه الواضح الصريح! وكان الغرض من هذا كله تبرير عزل شيخ الإسلام من التدريس بالحنبلية بسعي أعدائه.

والحادثان ذكرهما ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تاريخه».

أو خجل من الناس! ويشوّه سيرته العطرة، وكأن الناس لن يطلعوا علىٰ ما كتب عنه المؤرخون في عصره.

ولقد وصل التعصب لدىٰ أعداء شيخ الإسلام ـ مع أنه شرفهم بدعوته وآثاره ـ أن حرصوا علىٰ إتلاف آثاره وكتبه المخطوطة، كما بيّنت في بعض كتبي[1]؛ بل بلغني مؤخراً أنهم اعتدوا علىٰ قبره[2] ـ الموجود حالياً ضمن مباني جامعة دمشق ـ وكسروا شاهده، ورأىٰ بعض طلابنا ذلك! فانظر إلىٰ أي مدىً يصل الحقد! حتىٰ وهو ميت في قبره!

ولكن الحق منصور ومؤيد من الله، فرغم العداء والتشويه والكيد الذي تعرض له شيخ الإسلام وتراثه العظيم، فيأبىٰ الله إلا أن يتم نوره، وينصر أولياءه، ويؤيد عباده المجاهدين المخلصين، فكان أن تحقق قول ابن رشيق تلميذ ابن تيمية:

(ووالله إن شاء الله ليقيمنّ الله لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهّمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالاً هم إلىٰ الآن في أصلاب آبائهم). فقام رجلا كتاب «الرد الوافر» بما قام به كبار أهل العلم المصلحين في وقتنا بتتبع آثاره والحرص عليها وإخراجها، مثل علماء الهند، ومحمد رشيد رضا، ومحمد رشاد سالم، وعلماء أهل نجد، ولا سيما العلامة ابن قاسم، وجمال الدين القاسمي، والآلوسيين، ومحمد نصيف، ومحب الدين الخطيب، وشيخي محمد بهجة البيطار، والشيخ محمد بن مانع، وابن باز وغيرهم، رحمهم الله جميعاً.

وكان لي دور بسيط في ذلك ـ أسأل الله أن يتقبله ـ عبر المكتب الإسلامي.

ولا نزال نرىٰ الدرر والنفائس لشيخ الإسلام التي يتنافس في تحصيلها

---

(١) تقديم كتاب «الكلم الطيب» وغيره.

(٢) في المقبرة التي كانت تسمىٰ (الصوفية)، ولم يبق من مقابرها سوىٰ: قبره، وقبر أحد تلامذته.

المحصّلون تخرج تباعاً، وكل يوم يتكشف لنا الجديد والمزيد والمفيد.

أما من جهة سيرة شيخ الإسلام، فقد كثرت الكتابات المعاصرة من الشخصيات البارزة في إنصافه، وإبراز جوانب من عبقريته ونبوغه وتقدمه في شتىٰ المجالات، ودراسة حياته وبعض جوانب متعلقة به، والموازنة بينه وبين خصومه في كلام علمي متزن رزين.

ومن ذلك هذا الكتاب الذي أقدم له، قد قام مؤلفه ـ وهو الأخ العزيز الشيخ عائض بن سعد آل تميم الدوسري ـ ببيان موقف أحد أبرز أعداء ابن تيمية المعاصرين، ليضع أمام القارئ نموذجاً من الواقع لخصوم ابن تيمية ـ فالتاريخ يعيد نفسه كما يقال ـ وكيف أنهم لا يتقون الله، ولا يتحرون العدل أو الأمانة في خصامهم، وكيف أنهم ليسوا أعداء لابن تيمية فقط؛ بل أعداء للأمة جميعاً في الواقع، ودعاة الشقاق والفرقة بين المسلمين.

وقد سمّىٰ المؤلف كتابه «**هكذا تحدث ابن تيمية**» ليجعله متمماً لكتاب عظيم من مطبوعاتنا، وهو كتاب «**الرد الوافر**» لخاتمة حفاظ الشام الإمام محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الشافعي، شمس الدين الشهير: بـ(ابن ناصر الدين الدمشقي) البقاعي الأصل ـ من قرية خربة روحا ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

حيث قام الحافظ ابن ناصر الدين: بجمع بعض أقوال العلماء والحفاظ في شيخ الإسلام ابن تيمية، وكيف أنهم يعظمونه ويوقرونه ويعرفون له حقه، وهم علماء الإسلام وحفاظ الدنيا، وأئمة الإسلام، حتىٰ عهده. فكان جمع تلك الأقوال أبلغ رد لكل متنطع ومتطرف، وقد تجرأ وحكم علىٰ ابن تيمية بالكفر أو الفسق، لأجل اجتهاد اجتهده ومعه دليله من الكتاب والسنة.

وإذا كان الحافظ ابن ناصر الدين جمع أقوال الأئمة والعلماء للدفاع عن ابن تيمية، ولإثبات براءته من الكفر.

فإن المؤلف الشيخ الدوسري جمع أقوال ابن تيمية نفسه في القضايا التي أثيرت عليه في زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو بعد ذلك.

فكان دفاعاً عن ابن تيمية بلسان ابن تيمية نفسه، وهذا أبلغ للحجة وأتم. وبهذا تظهر المحجة، حيث شهد العلماء والأئمة بفضله وعلمه ومكانته، وهو شهد بنفسه علىٰ براءته مما يزعمه خصومه وأعداءه.

وقد عرض أخي المؤلف من خلال أقوال ابن تيمية بالدرجة الأولىٰ، ومن خلال أقوال تلاميذه وعلماء عصره ومن بعده، كيف كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاهداً ورعاً، حريصاً علىٰ خدمة الإسلام، ووحدة الأمة الإسلامية، وكيف كان متسامحاً مع من كفره أو فسقه أو بدعه. كما بيَّن أن عقيدته هي عقيدة أئمة الإسلام، تشهد بذلك نصوصه ونصوصهم المتطابقة، وأن من خالفه إنما خالف عقيدة ومنهج أئمة أهل السنة والجماعة، والتي كان ابن تيمية يردد دائماً: أنه متبع لمنهجهم، سائر في طريقهم، لا يحيد عنهم قيد أنملة.

كما عرض المؤلف جوانب كثيرة عند ابن تيمية، وبيّن موقفه من قضايا مهمة جداً، مثل:

موقفه من أهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وموقفه من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والعلماء من بعدهم، وموقفه من التصوف، ومن علم الكلام والفلسفة، والموقف من العقل وحدوده. وغيرها من المواضيع والمباحث.

كل ذلك بعبارة سهلة، وخطاب سلس، وحجة واضحة. وبيّن في الوقت نفسه موقف مخالفيه في ذات القضايا التي اتهموا فيها شيخ الإسلام ـ بأمانة نقل ـ ورد البغي والعدوان، يظهر فيها المثل: (رمتني بدائها وانسلت)[1]، وبضدها تتميز الأشياء.

وإنني إذ أحمد الله أن يسر لأخي العزيز الشيخ عائض تأليف هذا الكتاب النافع، لأسأله أن يجزيه خير الجزاء علىٰ جهده المتميز، وأن يبارك وينفع فيه الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني، توفي سنة ٥١٨ بنيسابور. ويضرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه.

وإني لأغتبط بوجود طائفة من الشباب المسلم الناهض بعلمه ودعوته وفكره، وأحسب أن الشيخ عائض من أبرزهم ممن أعرف، فأدعو الله له بالتوفيق والعافية والسداد، وأوصيه بمواصلة الدرب في نشر السنّة وبيانها، والدعوة إليها بما عرفته عنه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن الحكمة بعض ما نجد من وضع الشيء في موضعه، في بيان واضح وإن اشتد أحياناً في رده علىٰ ـ سفاهة ـ المخالفين بالكلمة المعتبرة، التي لا تسد سدها سواها. جزاه الله خير الجزاء. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وجميع صحبه وسلم.



إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آلـٰه وأصحابه، ومَن سلك سبيلَه، واهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدِّين.

أما بعد:

فقبل ما يزيد علىٰ الثلاث سنوات، وبالتحديد في تاريخ ١٨/ ١٢/ ١٤٢٤هـ = ٩/ ٢/ ٢٠٠٤م، تشوَّف كثير من المسلمين في شتىٰ بقاع الأرض لمتابعة برنامج سبق أن أعلنت عنه **(قناة المستقلة)** الفضائية بلندن، يتناول شخصية تعدُّ من أعظم مفاخر المسلمين علىٰ مرِّ الزمان. شخصية يكاد يتفق المنصفون من أهل العلم والفهم أنه لم يخرج من زمانها وإلىٰ اليوم، وعلىٰ مدىٰ أكثر من سبعة قرون من يدانيها في العلم والفهم والعبقرية والإبداع، مع سيرة ناصعة البياض في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلىٰ الخير وخدمة قضايا الأمة الإسلامية. شخصية تعلقت بتراثها اليوم أنظار وأفكار الباحثين علىٰ اختلاف بلدانهم ومذاهبهم؛ بل وأديانهم.

أعلنت القناة الفضائية أنها ستعقد سلسلة حلقات حوارية حول شخصية الإمام الهمام، شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من أجل إلقاء المزيد من الضوء علىٰ سيرة هذا الإمام، ومناقشة الإرث العظيم الذي خلفه للأجيال المسلمة من بعده.

غير أن المتابعين لأول حلقة من حلقات الحوار صدموا، وفوجئوا بأحد ضيفي اللقاء وهو يعلن علىٰ الملأ ودون مواربة أنه يذهب إلىٰ **(تكفير ابن تيمية)**!! وأنه يعتقد هذا الإمام العظيم **(لا يستحق دخول الجنة)**!!

هذا ما سمعه الناس، ورأوه من ضيف المستقلة الأستاذ **حسن السقاف** ـ هداه الله ـ وبعدما كان المتابعون ينتظرون تشنيف أسماعهم بسيرة ذاك العلَم الكبير من أعلام الأمة وقدواتها، إذا بالحلقة الأولىٰ تذهب في مناقشة هل هذا الإمام في عداد المسلمين، أو أنه من زمرة الكافرين!! وهل يستحق دخول الجنة أو لا!!

حين سمعت هذا الكلام رجعت بذاكرتي إلىٰ الوراء، واستحضرتُ حدثاً مضت عليه قرون متطاولة هزَّ أفئدة العلماء وآلمها، حين أقدم متهورٌ قد أكل الحسد والغلُّ قلبه، فأعلن أن كل من أطلق علىٰ **(ابن تيمية)** لقب **(شيخ الإسلام)**؛ فهو كافر!!

ومع أن علماء ذاك الزمان ـ علىٰ اختلاف مذاهبهم ـ وقفوا لذاك المتنطع، واستنكروا جريمته وردوا جهالته وأطفأوها. إلا أن ضيف **(قناة المستقلة)** الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ كشف لنا أن للغلو ورثته وأن للمكفرين تلاميذاً، يعملون علىٰ تمزيق أوصال الأمة، ونبش خلافاتها، وإعادة منازعاتها جذعة. يسفهون العلماء، ويضللون الناس، ويكفرون رموز الأمة، ثم يتجرؤون علىٰ الله فيصنفون مخالفيهم حسب أهوائهم إلىٰ فريقٍ في الجنة وفريقٍ في السعير!

مع أن ما تمرُّ به الأمة الإسلامية اليوم من ضعف وهوان، يدعوان ويلحان علىٰ العقلاء أن يراجعوا الأسباب الحقيقة التي تقف وراء هذا الواقع المرير، ويبحثوا عن العوامل الأساسية التي تعيد لهم قوتهم وهيبتهم، وتجمع شملهم، وتوحِّد صفهم، وتضمّهم في وحدة إسلامية حقيقية، تُعيد لهم الصورة المشرقة والذهبية التي كانوا عليها في صدر الإسلام الأول.

وهذه المهمة الإصلاحية الخطيرة هي المهمة الأولىٰ الواجبة علىٰ قيادات الأمة من أهل العلم والرأي؛ فهؤلاء علىٰ وجه الخصوص من يقع علىٰ عاتقهم أمر إصلاح الأمة، وتجديد أمر دينها وعلمها ومنهجها وعزتها ومنعتها ووحدتها، وإن خُذلت الأمة من قبل علمائها فليس لكسرها من جبر، وليس لمصيبتها من حل!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (... أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران] وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهىٰ عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)[(١)].

ولقد أدرك أعداء الأمة أن هذه الأمة بوحدتها علىٰ دينها تشكل قوة لا يقف في وجهها أحد، وهم يتوقعون تلك الوحدة ويرونها قريبة، وهم ينطلقون في إدراكهم هذا من قراءتهم التاريخية الفاحصة التي تخبرهم أن الأمة الإسلامية حينما حققت أسباب الوحدة في عصورها الأولىٰ توحدت بعد الشتات، وصارت سيدة الدنيا ومركز العالم، وقائدة الناس، وهادية العالمين.

يقول المؤرخ الإنجليزي (**أرنولد توينبي**) بكل صراحة: (إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ)[(٢)].

ويقول (**مورو بيرجر**): (إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب؛ بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي إلىٰ قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره)[(٣)].

ويقول المبشر (**لورنس براون**): (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً علىٰ العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير)[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥١).
(٢) «الإسلام والغرب والمستقبل» (ص٧٣).
(٣) «الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي» (ص١٩).
(٤) «جذور البلاء» (ص٢٠٢).

فما أحوج الأمة العربية والإسلامية اليوم إلىٰ الوحدة التي تجمعها علىٰ الحق، وتؤلف بين قلوب المسلمين، وتجعلهم نعمة ومثالاً يحتذي به العالم في أخلاقه وسلوكه وإيمانه وقوته. وما أشد حاجة الأمة العربية والإسلامية إلىٰ البعد عن كل أسباب الفرقة والتمزق، التي تشتت قلوبها، وتزيد من ضعفها وهوانها.

حين رأيت جرأة الأستاذ **حسن السقاف** ـ هداه الله ـ في تكفير ابن تيمية، استحضرتُ كلاماً لذاك الإمام الكبير كأنه يخاطب به الأستاذ السقاف، ليعلمه أصول الورع ومسالك التقوىٰ في التعامل مع المخالف.

يقول ابن تيمية: (هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيَّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية؛ فأنا لا أتعدىٰ حدود الله فيه؛ بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدىً للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه)[١].

وقال أيضاً: (لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي)[٢].

هكذا كان منهج ابن تيمية مع خصومه وأعدائه، ولا عجب في ذلك، فبمثل هذا الخلق العظيم، وبمثل هذا التجرد من حظوظ الناس نال الإمامة في الدين، فيما نال حاسدوه الذكر السيئ علىٰ مر العصور.

حين أقدم الأستاذ **حسن السقاف** علىٰ تكفير **ابن تيمية** رحمه الله، ظننت أن لديه شبهةً أو خطأً في الفهم أوجب له الوقوع في مثل هذه الزلة العظيمة، فقلتُ: لعل الأستاذ إنما أُتي من عدم علمه ومعرفته بحقيقة ابن تيمية[٣]. غير

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٤٥).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٣) **أقول**: قال العلامة الإمام ابن طرخان الملكاوي في حق خصوم ابن تيمية: (لو دروا ما يقول لرجعوا إلىٰ محبته وولائه). «الرد الوافر» (ص١٤١). =

أن المصيبة الثانية جاءت حين رآه الناس يقلب أوراقه، ويحاول إسناد رأيه وغلوه عن طريق التحريف المتعمد لكلام ابن تيمية بنقل نصوص مبتورة عن سياقها الواضح، ولي أعناقها حتىٰ تتوافق مع أغراضه، فجمع بين الغلو في التكفير وامتهان الكذب!

وحين رأيته يسلك هذا المسلك المرذول قلت: لعله اتخذ هذا الموقف المتطرف من ذاكم الإمام علىٰ وجه الخصوص لأسباب ورواسب نفسية لا أعلمها. غير أني حين قلبت النظر في كتابات الرجل السابقة رأيته[1] ـ هداه الله ـ قد خاصم جمهور الأمة، وكفّر خيارها، وضلّل أعلامها، وكان موقفه من ابن تيمية في السياق نفسه الذي استهدف فيه علماء الأمة، من المتقدمين والمتأخرين.

انتهت حلقات **(المستقلة)**، ولكن الحديث عن ابن تيمية لم ينتهِ. وتطلع الناس وطالبوا بحلقات أخرىٰ تكون أكثر موضوعية وعدلاً. فأقامت القناة مرةً أخرىٰ بتاريخ ٣/ ٣/ ١٤٢٥هـ = ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٤م حلقات أخرىٰ عن **(تراث ابن تيمية)** وكنتُ أحد المشاركين فيها، وقدمتُ خلال تلك الحلقات بعض الرؤىٰ والأطروحات التي تبين حقيقة مواقف ابن تيمية ﷺ من جملة قضايا مهمة وبكلام ابن تيمية نفسه، وقد كُشف في تلك الحلقات الكثير من التلبيس الذي قيل عن ابن تيمية قديماً وحديثاً.

وقد كنت منذ زمن أتتبع الكثير من النصوص المتعلقة بهذا الموضوع،

= وقال القاضي السُّبكي: (والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوىً، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوىٰ يصده هواه عن الحق بعد معرفته به). «الرد الوافر» (ص٩٩).

(١) بعد الحوار الذي جرىٰ علىٰ قناة المستقلة والذي بدأه الأستاذ السقاف بتكفير ابن تيمية، وجدتُ في نفسي رغبة لقراءة بعض مؤلفات الأستاذ السقاف لعلي أجدُ بعض الأمور الجيدة التي تساعدني علىٰ إحسان الظن به، لكني صدمتُ بالغلو والتنطع ولغة التكفير والإقصاء الظاهرة والعميقة في كتبه ـ هداه الله ـ حيث ملأ بعضها بقوائم لتكفير المسلمين والعلماء، من القدماء ومن المعاصرين!

وأطالع الكثير من الدراسات القديمة والحديثة، الموافقة والمخالفة، والتي تخص شيخ الإسلام ابن تيمية وآراءه وعقيدته، وكنتُ أنوي أن أجمعها كمادة علمية للاستفادة الشخصية منها وإفادة الآخرين.

ثم إن الشيخ العلامة الشيخ زهيراً الشاويش بعد نهاية تلك الحلقات الخاصة بتراث ابن تيمية اتصل بي، وطلب بتواضعه الأبوي المعهود والمشهور به أن أزوره في بيته في بيروت، فما كان مني إلا أن فرحت بهذا التشريف الكبير، فطرتُ مسرعاً إليه ـ حفظه الله ـ وقد تعجبتُ من تواضعه العجيب مع الناس ومعي، ومن كرمه البالغ الذي تلقاني به.

رأيتُ من تواضعه الكثير، فقد جاء بنفسه ـ مع تقدمه في السن ومرضه ـ لاستقبالي في مطار بيروت، كما أنه أصر وألح ـ مع مرضه ـ أن يوصلني للمطار بنفسه في عودتي، ويعلم الله الذي لا إلـٰه إلا هو أنني عجبتُ لذلك، وخجلتُ من نفسي، وعجبتُ لتواضع هذا العلامة الكبير، والذي كان له أعظم الأثر في نفسي تربية وتأديباً ومثالاً.

مكثتُ في ضيافته أياماً ثلاثة، كان يكرمني فيها بعلمه ووقته وكتبه ومكتبته، وكان الضيوف من مختلف أقطار الأرض، ومن مختلف المشارب والمذاهب يقصدونه ويزورونه وينهلون من علمه، ويوقرونه ويجلونه، ويبالغون في الحرص علىٰ الإفادة منه.

وأثناء تشرفي بوجودي في ضيافته ـ حفظه الله ـ طلب مني بتواضعه الأبوي: أن أكتب مقدمة علىٰ كتاب «**الرد الوافر**» الذي ينوي إعادة طبعه، وأن أكتب فيها جملة من الحقائق عن ابن تيمية. فأعظمتُ له هذا التواضع، وعظُم في نفسي أن أتطاول إلىٰ مستوىً ليس لي، فكتاب «الرد الوافر» مؤلفه الإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، وموضوعه شيخ الإسلام ابن تيمية، والمحقق هو العلامة زهير الشاويش، ولا مكان لمثلي بين هؤلاء الأعلام الكبار.

لكن العلامة الشيخ زهيراً الشاويش أصر وألح علىٰ ذلك، وبقيتُ زمناً ليس بالقصير أحاول أن لا أقحم نفسي في مكان ليس لي، لكن الشيخ

ـ حفظه الله ـ كان يتصل ويذكرني بتلك المقدمة، ويلح عليَّ بضرورة كتابتها، واستمر الأمر ما يقارب الثلاث سنوات، والشيخ بتواضعه يتصل ويسأل عن تلك المقدمة حتىٰ استحييت منه، وأجبتُ طلبه إكراماً له واستجابة لرغبته الأبوية، ودفاعاً وذباً عن علماء الأمة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وإحقاقاً للحق، وتبياناً للصواب.

فعزمت الأمر، وقررتُ أن أكتب تلك المقدمة، وأجعلها من كلام ابن تيمية نفسه، فكتاب «**الرد الوافر**» يتناول الدفاع عن ابن تيمية بأقوال غيره من العلماء، فرأيتُ أن تكون المقدمة مخصصة لدفاع ابن تيمية عن نفسه بكلامه، ورأيت أن يكون منهجي في تلك المقدمة هو عرض كلام ابن تيمية نفسه في أكثر المسائل التي طُرحت في ذلك الحوار وغيره، حتىٰ يقف القارئ علىٰ رأي هذا الإمام من خلال كلامه، وليس من كلام خصومه، وسميت هذه المقدمة بـ«**هكذا تحدث ابن تيمية**».

كتاب «**الرد الوافر**»[1] بلا شك هو سجل عظيم، وديوان كريم، فيه شهادات كبار الأئمة والعلماء الثقات ـ من مختلف المذاهب ـ في ابن تيمية، تنصف ابن تيمية وتبرئه مما رماه به الخصوم، وتقرُّ له بالعلم والفضل والسبق والتقوىٰ، فأسأل الله أن يجعل من هذه المقدمة إضافة مفيدة لهذا الكتاب المتميز.

وصدق الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله حينما قال في تقريظه علىٰ «الرد الوافر» ما نصه بعد الثناء العاطر علىٰ ابن تيمية: (الواجب علىٰ من تلبس بالعلم، أو كان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة، أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل)[2].

---

(١) **أقول**: للأسف أن الأستاذ السقاف من غلوه في التكفير، قد وصل تكفيره إلىٰ الإمام الحافظ ابن ناصر الدين مؤلف كتاب «الرد الوافر»، حيث صنفه السقاف ضمن قائمته التكفيرية الطويلة، وجعله من المجسمة الذين لا ينثني السقاف عن تكفيرهم. انظر كتاب السقاف: «السلفية الوهابية» (ص٤١).

(٢) «الرد الوافر» (ص٢٤٨).

ومما يستحسن الإشارة له في هذا السياق، أنني ومنذ الحلقات الأولىٰ التي تناولت **(تراث ابن تيمية)** والتي كنتُ أشارك في بعض حلقاتها عن طريق الهاتف، كنتُ أتلقىٰ اتصالات من سماحة الشيخ زهير الشاويش ـ حفظه الله ـ تحثني علىٰ الحوار بروح الأخوة والعدل، وكان ـ حفظه الله ـ يتصل متواضعاً، ويذكّر بالهدف الأسمىٰ للحوار وهو الحرص علىٰ وحدة الأمة وبيان الحق، وكان يحثني في كل مرة علىٰ العدل والحوار بروح موضوعية[1].

وقد كان لكلماته وتواضعه ـ حفظه الله ـ أثر كبير في نفسي، فجعلتُ نصب عيني تلك الوصايا الطيبة، وبذلتُ جهدي كي أتحلىٰ بروح كلماته تلك. فبارك الله فيه، وبارك في جهوده الطيبة في خدمة العلم وأهله، والتي منها إخراج هذا الكنز الثمين أي «الرد الوافر» من بطون المخطوطات إلىٰ النور.

علىٰ أن فضل الشيخ لا يقف عند هذا الكتاب ولا مئات من أمثاله، فأهل العلم يشهدون بسابقته في نشر العلم وجهوده في الدفاع عن السنة وعقيدة السلف الصالح. وهو الذي ظل طوال ستة عقود يفيد الأمة بأسرها ويثريها بعلمه وكتبه. ومن اطلع علىٰ «فهرس مطبوعات **المكتب الإسلامي**» علم تلك الحقيقة بوضوح، ويكفيه شهادة كبار العلماء له بالفضل والتقدم. كيف لا وهو صاحب أعظم وأضخم مكتبة شخصية في العالم الإسلامي، والتي تحتوي علىٰ أكثر من عشرة آلاف مخطوطة، ومائتي ألف كتاب مطبوع.

وإن كان لأحدٍ من فضلٍ علىٰ تراث ابن تيمية في هذا الزمان، فيأتي في مقدمتهم الشيخ **زهير الشاويش**، وإني لأجزم أن شيخنا ممن ينطبق عليهم قول الحافظ **أحمد بن مري الحنبلي** حينما قال عن مصنفات ابن تيمية: (والله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام، ونشره وتدوينه وتفهمه،

---

(١) من المواقف الطيبة والجميلة التي حضرتها عند سماحته ـ متعنا الله بعلمه ـ أن أحد الأشخاص طعن في أحد علماء الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وقال فيه كلاماً شديداً، فما كان من العلامة الشيخ زهير الشاويش إلا أن شهد بالحق، وبيّن بطلان هذا الطعن، وبرّأ ساحة هذا العالِم مما قيل فيه، مع أن هذا العالِم من أشد المخالفين والطاعنين علىٰ أهل السنة بغير حق.

واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالٌ هم إلىٰ الآن في أصلاب آبائهم، وهذه هي سنَّة الله الجارية في عباده وبلاده)[1].

فبارك الله في جهود الشيخ وعمره، ومتعنا ببقائه، وأسعدنا بصحته وعافيته، وجزاه الله خيراً عن هذه الأمة وتراثها وعلمها، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته يوم القيامة.

أقول: ولطول هذه المقدمة فقد قسمتها إلىٰ عدة مباحث حسب الموضوعات، كما يلي:

المبحث الأول: وقفة مع تكفير ابن تيمية علىٰ قناة المستقلة!

المبحث الثاني: في ظلال سيرة ابن تيمية وشخصيته.

المبحث الثالث: عقيدة ابن تيمية وعقيدة أئمة الإسلام.

المبحث الرابع: تطور التعطيل وتذبذب مفهوم التشبيه.

المبحث الخامس: جناية الفلسفة وعلم الكلام.

المبحث السادس: الجانب العقلي عند ابن تيمية.

المبحث السابع: موقف ابن تيمية من تكفير المسلمين.

المبحث الثامن: سيرة ابن تيمية العملية مع مخالفيه.

المبحث التاسع: موقف الفرق والمذاهب من المخالفين.

المبحث العاشر: موقفه من أهل البيت رضوان الله عليهم.

المبحث الحادي عشر: موقفه من الصوفية.

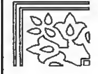
المبحث الثاني عشر: أقوال بعض العلماء المتأخرين والمعاصرين في ابن تيمية.

وفي الختام، أطلب من القارئ الكريم الصفح مقدماً عن كل تقصير وضعف، وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله من وراء القصد.

---

(١) «الوصية»، ابن مري الحنبلي، تحقيق فهد بن معقد العتيبي (ص١٣٩ ـ ١٤٠)، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ، دار بلنسية، الرياض.

المبحث الأول

وقفة مع تكفير ابن تيمية على قناة المستقلة الفضائية!

ليس المقصود هنا الوقوف علىٰ كل ما جرىٰ في حوار **قناة المستقلة** علىٰ وجه الاستقصاء؛ إذ يمكن للقارئ الكريم أن يرجع للحلقات بنفسه كاملة. وليس المقصود تخصيص بيان شامل لحال بعض أعداء ابن تيمية، كحال الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ أو مناقشته في كل ما قاله أو كتبه، فليس هذا محله.

غير أني أريد هنا، بيان أن ما جرىٰ في تلك الحلقات ما هو إلا امتداد لغلوٍّ قديمٍ لم تزل الأمة تعاني منه بسبب بُعد بعض أبنائها عن هدي الكتاب والسنة، وهدي سلف الأمة، وإعراضهم عن العدل الذي أمر الله به، والذي عليه يقوم أمر السماوات والأرض. فما قاله السقاف ـ هداه الله ـ وما احتج به لا يعدو أن يكون اجتراراً لباطلٍ قديم أوسعه أهل العلم رداً وتزييفاً. فالسقاف ونظراؤه ـ علىٰ قلتهم ـ فإن غلوهم لا جديد فيه، وأسبابه باتت معروفة لأهل العلم الذين استضاءت قلوبهم بنور الوحيين، وسلموا من بدع علم الكلام الذي ذمه السلف ـ رحمهم الله ـ.

وحتىٰ ضلالة تكفير شيخ الإسلام ابن تيمية، إنما ورثها السقاف عن بعض غلاة القرن الثامن الهجري وما تلاه. وعلىٰ ذلك فإن دراسة موقف السقاف المتطرف مفيد في كشف حقيقة حال خصوم ابن تيمية؛ بل وخصوم السنة علىٰ مر العصور، فكلامهم متقارب متشابه، ومنطلقهم العقلي والنفسي واحد. فالسقاف يصدق عليه أنه الأنموذج المعاصر لخصوم ابن تيمية.

وقد قال الإمام العلامة الحافظ **بدر الدين العيني الحنفي** رَحِمَهُ اللَّهُ في حق

أحد خصوم ابن تيمية الذين كفروه: (لا يصدر هذا إلا عن غبي جاهل، أو مجنون كامل)[1].

وقال الإمام **بهاء الدين محمد بن عبد البرَّ السُّبكي الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حق خصوم ابن تيمية أيضاً: (والله يا فلان ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوىً، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوىٰ يصده هواه عن الحق بعد معرفته به)[2].

ومن هذا المنطلق نود أن نبيّنَ للقارئ الكريم بعض النقاط المهمة التي تكشف لنا حال هذا الأنموذج المعاصر من خصوم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي بدأ حواره بتكفير ذاك الإمام وإخراجه من الجنة، والجزم بعدم استحقاقه لها، وكأن مفاتيح الجنة بيده يدخل فيها من يشاء ويخرج منها من يشاء.

ولنا هنا وقفات مع الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ انطلاقاً مما قاله علىٰ قناة المستقلة.. كالتالي:

أولاً: الأستاذ حسن السقاف وأخلاقيات الحوار الموضوعي.

إنَّ الحوار له سمات وأخلاقيات أصيلة في ديننا الإسلامي السمح، كالهدف النبيل والموضوعية الحقيقية والرحمة بالمخالف، وطلب الحق. ومما يؤسف له أن تغيب هذه الأخلاقيات عند المحاور المسلم الذي يفترض به أن يكون ممثلاً حقيقياً، وأنموذجاً ناجحاً لتلك الأخلاقيات.

ولعل من نافلة القول أنني لم أكن أعرف الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ قبل رؤيتي له في قناة المستقلة، ولم أكن بعدُ قد قرأتُ له شيئاً يذكر، ولقد صدمتُ ـ واللهِ ـ مما رأيته منه علىٰ شاشة قناة المستقلة من تصرفات وأخلاقيات لا تليق بالمسلم، فضلاً عن طالب العلم.

وأول أمر استوقفني غلوه ومسارعته في التكفير، وكأنه سادنٌ بيده مفاتيح الإيمان والإسلام، يدخل من يحب، ويخرج من يكره، ثم جاءت الطامة

---

(١) «الرد الوافر» (ص٢٦٧).

(٢) «الرد الوافر» (ص٩٩).

الكبرىٰ بُعيد تكفيره لشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث نصَّ بلسانه علىٰ أنَّ ابن تيمية لا يستحق دخول الجنة!

وما إن مرت الحلقة الأولىٰ حتىٰ هالني وصدمني ما كان ينسبه الأستاذ السقاف إلىٰ شيخ الإسلام من نصوصٍ ومنقولاتٍ غريبة وعجيبة. فذهبتُ أفتش وأبحث عنها في المواضع التي أحال عليها، ثم أصدم من جديد بأن نسبة هذه النصوص والمنقولات عارية عن الصحة.

قلتُ في نفسي: لعله وهم أو أخطأ، ولا بدّ أن نحسن الظن بأخينا المسلم.

لكني ذهلتُ من جرأة الأستاذ حسن علىٰ تكرار ذلك، وليسمح لي القارئ الكريم أن اسمي الأشياء باسمها، فالأستاذ حسن كان يمارس في عمله ذلك الكذب الصريح بأبشع صوره! لم أكن ضمن ضيوف حلقات الحوار الأول، غير أن ما سمعته لم يكن مما يصبر عنه، فبادرت للمشاركة عبر الاتصال الهاتفي، وحينما استدركتُ عليه أول كذبة قالها في إحدىٰ الحلقات، فوجئت به ينكر ويقول: ما قلت هذا!. فقلت له: تأكد يا أستاذ حسن فقبل البارحة قلتَ هذا الكلام. فأصر أنه ما قاله! فاضطررت اضطراراً أن أسمعه تسجيلاً لما قاله بصوته. فاصفر وجهه وأخذ يبرر كلامه بحججٍ واهية! وظل يراوغ ويحيد عن بيان سبب إنكاره لما قاله.

وتكرر هذا المسلك في كذا حلقة من الحلقات أكثر من ثلاث مرات، وهو يتعمد ـ للأسف الشديد ـ الكذب وبتر النصوص ونسبة مقولات إلىٰ ابن تيمية لم يقلها، فإذا واجهناه بالحقائق أنكرها حتىٰ نسمعه كلامه بصوته المسجل الذي قاله في الحلقات السابقة!

وهكذا مضت الحلقات علىٰ هذا المنوال، نستوقفه عند نقولاته ونطالبه بإثباتها، لكنه يراوغ ويأبىٰ تقديم حجته علىٰ دعاواه الشنيعة. حتىٰ إن المحاور الآخر وهو الشيخ عدنان عرعور ـ وفقه الله ـ في إحدىٰ الحلقات حينما نسبَ السقاف لشيخ الإسلام كلاماً عارياً عن الصحة بتاتاً، طالبه بتوثيق الكلام المنسوب لابن تيمية، لكن الأستاذ السقاف رفض وعاند، فأصر عندها الشيخ

ـ وفقه الله ـ علىٰ ذلك، وقال: أثبت زعمك وإلا فإنك مفترٍ كذاب علىٰ ابن تيمية.

فاستمر الأستاذ حسن السقاف في رفضه ولم يقدم التوثيق، عندها تدخل مقدم البرنامج الدكتور محمد الهاشمي، وحثَّ الأستاذ السقاف علىٰ تقديم توثيق كلامه الذي يزعم أن ابن تيمية قاله، وما كان من الأستاذ حسن السقاف أمام هذا الإحراج المخجل إلا أن قال أمام الملايين وبلهجة عاميَّة: (بديش)!

فأصروا عليه وألحوا، فرفض وعاند؛ ثم أشار بأصبعه إلىٰ رأسه وقال: (أنا حر، بديش) أقدم توثيق النص!

وهكذا مضت الحلقات، والأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ يتعمد ويتحرىٰ الكذب في نقوله عن شيخ الإسلام ابن تيمية، فجمع بين تكفير ابن تيمية والافتراء عليه هداه الله.

وإن العجب ليبلغ مبلغه من هذه الجرأة. يكذب علىٰ ابن تيمية، وينسب له ما لم يقله، ثم يبني علىٰ ذلك الحكم بتكفيره! فأين التقوىٰ والخوف من الله؟!

ومما يؤسف له ـ أيضاً ـ أنَّه بعد نهاية الحوار الذي دار في قناة المستقلة، وظهور السقاف بمظهر الكذوب أمام الملايين، قام بفتح الباب في موقعه علىٰ الإنترنت للشتم والسب علىٰ سبيل التشفي والانتقام. فشتم العلماء الكبار من علماء السلف الصالح، وشتم قناة المستقلة وصاحبها، وشتم الضيوف جميعاً بألفاظ بذيئة دنيئة، وكُتبت مواضيع وردود كثيرة له ولأتباعه وتلاميذه ولكاتب من أنصاره يُسمىٰ محمود سعيد ممدوح؛ كلها شتائم وسباب[١]. ونال العبد الضعيف كاتب هذه الأحرف نصيبه من السباب، والله يغفر للجميع.

غير أن الذي حزَّ في نفسي، وآلمني هو طعنه في نيات العلماء الذين شاركوا في الحوار علىٰ قناة المستقلة أو ورد ذكرهم، لمجرد أنهم خالفوه في

---

(١) وكل ذلك محفوظ وموثق لدي ولدىٰ الكثيرين ممن تابع الموضوع.

الرأي، كأمثال العالم المغربي الدكتور **محمد الريسوني** ـ وفقه الله ـ، والعالم السوري الشيخ **محمد سعيد البوطي** ـ حفظه الله ـ، والعالم المصري الشيخ **أبو زهرة** رَحِمَهُ اللهُ. حيث قال في حقهم:

(ودعاياته ـ يقصد الدكتور محمد الهاشمي ـ بأن الريسوني المغربي وفلان المصري [يقصد الشيخ أبو زهرة] وفلان السوري [يقصد الدكتور البوطي] يثنون علىٰ ابن تيمية محاولات فاشلة؛ لأن الأشخاص المذكورين وأمثالهم كأبي زهرة إما متمسلفين وإما مستأجرين ومرتزقة لدىٰ الوهابية السلفية، وإما محرجين ولا يستطيعون أن يقولوا غير ذلك)[1]!

ويقول ـ أيضاً ـ ساخراً من الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ومخاطباً أحد المدافعين عن البوطي: (أم أنت علىٰ مذهب سيدنا البوطي ﷺ من أن كل ذلك ـ أي التهم التي يزعمها السقاف ـ لم يثبت عن ابن تيمية؟ فمعناه أن ابن تيمية مظلوم وهو إمام هدىً!)[2].

وقد تعجب أخي القارئ الكريم إذا علمتَ أن مشاركة فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ـ وفقه الله ـ كانت بعد مطالبة وإصرار من الأستاذ حسن السقاف نفسه (!!) ظناً منه أن الدكتور البوطي سوف ينساق وراء توجهاته المتطرفة؛ إلا أن الدكتور البوطي ـ حفظه الله ـ شهد في القناة شهادة حق لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ مما أغضب الأستاذ حسن السقاف، وجعله يستنقص من قدر الدكتور البوطي، بل وصل الأمر إلىٰ الطعن فيه والسخرية منه في موقعه علىٰ الإنترنت، وكل ذلك بسبب عدم رضوخه لرغبات الأستاذ السقاف ومجاراته في غلوه وتطرفه!

ولنا هنا أن نتساءل: **أين أخلاقيات الحوار التي كان من المفترض أن يتحلىٰ بها الأستاذ حسن؟!**

---

(١) انظر: موقع الأستاذ حسن السقاف علىٰ الإنترنت، تحت عنوان: (ما يجري من التضليل علىٰ المستغلة). كذا كتبها الأستاذ حسن بالغين عمداً هداه الله!!

(٢) انظر: موقع الأستاذ حسن السقاف علىٰ الإنترنت، تحت عنوان: (ما يجري من التضليل علىٰ المستغلة).

ثانياً: الأستاذ حسن السقاف والدعوة لحرب أهلية داخل أهل السنة أنفسهم.

كانت أول حلقة في الحوار الذي جرىٰ علىٰ قناة المستقلة دافعاً لي كي اقتني بعض كتب الأستاذ حسن السقاف لعلي أجد فيها قواسم مشتركة، أنطلق منها لتقريب وجهات النظر بين الطرفين.

لكنني صدمتُ من واقع كتابات الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ التي تنضح بالتكفير والغلو في الكراهية والتخطيط المبيت لتفريق الصف الإسلامي الواحد، بل لا أذهب بعيداً إذا قلتُ: بأن الأستاذ حسن السقاف يخطط ويدعو إلىٰ حرب طائفية وأهلية داخل أهل السنة أنفسهم.

حيث إنه دعا في كتاباتٍ كثيرة له ـ للأسف ـ لتحالف أشعري شيعي ضد أهل السنة من السلفية وأصحاب الحديث، ودعا الأشاعرة لمحاربة إخوانهم من أهل السنة وكراهيتهم، والتعاون مع الشيعة في حرب الطرف الآخر من أهل السنة[1]!

يقول موجهاً خطابه للأشاعرة ـ والذين تبرأ منهم ومن إمامهم فيما بعد! ـ ومحرضاً لهم علىٰ الفتنة: (ينبغي لأهل الحق أن تتضافر جهودهم وأن يوحدوا أهدافهم ويعرفوا مكامن الخطر علىٰ عقيدتهم وإسلامهم الطاهر النقي، ويدركوا

---

(١) **أقول**: ومما يؤسف له أن الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ وبصوته في إحدىٰ غرف الشيعة في برنامج (البال توك) يدير عمليات سرية، يملي من خلالها علىٰ الشيعة ما يواجهون به أهل السنة والجماعة في حواراتهم ضدهم في قناة المستقلة، ومما قاله مخاطباً أحد شيوخ الشيعة: (فضيلة الشيخ الأسدي حفظه الله ﷺ وسدده خطاه، لو أنكم تتشاورون معي وهذا مما يعلي منزلتكم ويرفعها، لأن أهل السنة لا يفهمون إلا بطريقة معينة، يعني أنا سوف أدل جنابكم، وأنا والله الأقل منكم علماً، يا ليت أخي الفاضل العلامة الشيخ الأسدي يتصل معهم غداً أو الحاج وعد).

ومن المؤسف أكثر أنه في وقت الحوار السني الشيعي القائم علىٰ قناة المستقلة آنذاك قال للشيعة في غرفهم: أحرجوا أهل السنة في مسألة تحريف القرآن بكذا في «صحيح البخاري». . وصار يقدم لهم ما يزعم أنه أدلة ضد أهل السنة ويدعمهم ضد أهل الجماعة!

الأمور حسب أهميتها وسُلَّم أولوياتها وأن لا تتنازعهم الأهواء والنفوس والشياطين عن التركيز في هذا الأمر المهم!! كما ينبغي لهم أن يعرفوا عدوهم من صديقهم!! وأن يدركوا بأنَّ مذهب آل البيت ـ يقصد الشيعة ـ والمعتزلة وغيرهم أقرب إليهم من مذهب المتمسلفين المجسمة والمشبهة الذين منهم الحنابلة أمثال ابن تيمية وأتباعه)[1].

ويقول بعد أن أخرج السلفية من الإسلام، ووصفها بأنها (نحلة) ومنبهاً الأشاعرة علىٰ خطرهم، ما نصه: (ذلك أثناء رقدة أهل الشأن من علماء أهل السنة والجماعة!!! الذين هم في سبات يشخرون!!! وهم ما بين مغفل لا يدري ما يجري حوله في الساحة!! حيث ترك غالبهم الذبَّ عن العقيدة الحقة وحراسة التوحيد من عبث العابثين، وتلاعب المحرفين المدعين، كما تركوا السهر علىٰ صيانة حرمتها من أن تمس بسوء أعمال المتطفلين)[2].

ويقول أيضاً: (الصف الآخر من أهل السنة والجماعة ينظر دون أن تكون له ممارسة عملية لإنقاذ المجتمع والشباب المنخدع بهؤلاء المتمسلفين)[3].

ويقول مفصحاً عن مقصده بشكل آخر:

(هنا شيء مهم جداً وهو: أن أكثر من يبغضون السلفية والوهابية من كافة الفرق والطوائف والذين يحاربون الفكر الوهابي لا يعرفون في الحقيقة أهم الأسس التي يبني الوهابية السلفيون عليها مبدأهم وعقيدتهم وينشرونها بين الناس، ولا يعرفون الطريقة الصحيحة في الرد عليهم وكيفية مقاومتهم، وهذه مشكلة كبيرة يعاني منها هؤلاء)[4].

---

(١) كتاب «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص١٤ ـ ١٥)، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، دار الإمام النووي، الأردن.

(٢) «تهنئة الصديق المحبوب ونيل السرور المطلوب بمغازلة سفر المغلوب»، حسن السقاف (ص٢ ـ ٣)، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ، دار الإمام النووي، الأردن.

(٣) «السلفية الوهابية، أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية»، حسن السقاف (ص١٨)، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ، دار الميزان، بيروت.

(٤) «السلفية الوهابية، أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية»، حسن السقاف (ص٥٦).

ويقول بعد ذلك: (إنهم عاجزون عن معالجة هذا الفكر والتخطيط لذلك! وليس لديهم استعداد لأن يسمعوا لنا عندما نتحدث معهم لتحقيق ذلك ومعالجته! مع توفر القدرات المالية[1] وغيرها لديهم بحيث لو سخرت بتخطيط دقيق لتحقيق هذا الهدف وتم التعاون بيننا وبينهم لتمت معالجة الفكر السلفي الوهابي وإبداله بالفكر الإسلامي الصحيح[2] الخالي من فكر التشبيه والتجسيم والحقد علىٰ آل البيت الكريم)[3].

ثم يقول: (لا بدّ أن يتكاتف ويتضافر وينسّق علماء المسلمين من جميع المذاهب الإسلامية والعقلاء والواعون من هذه الأمة، ويضعوا برنامجاً وخططاً للتصدي للتيار السلفي والفكر الوهابي)[4].

وفي كتاب آخر يحث علىٰ توجيه الهجوم والمحاربة إلىٰ فكر أهل السنة، فيقول: (ما لك يا ابن خزيمة والمعتزلة؟! فهناك من هم أخطر، وهم المجسمة فعليك بهم)[5].

---

(١) سمعتُ بنفسي بعض الحلقات التي استضافتها قناة المستقلة، علىٰ الإنترنت، وفي برنامج (البال توك) المعروف، الأستاذ حسن السقاف ـ وقد كان ضيفاً مستمراً في غرف الشيعة ـ وهو يبدي مرارة من ذلك الحوار، بسبب ظهوره المزري أمام الناس، ويطالب الشيعة بدعمه بالمال كي يكمل مشاريعه في الرد علىٰ أهل السنة والجماعة خصوصاً السلفية، ويبدي تضايقه وامتعاضه من أهل السنة الأشاعرة لخذلانهم له، بل اتهمهم بأنهم طعنوه في ظهره حينما لم يستجيبوا لدعواته التحريضية للاقتتال بين أهل السنة، ثم بيَّن أن الشيعة هم الذين احتووه وآووه ونصروه ودعموه في دعواته التحريضية تلك، والتي تهدف ـ كما ترىٰ ـ لخلق حرب أهلية بين أهل السنة والجماعة أنفسهم.. فتأمل أخي القارئ الكريم ذلك! وللعلم فإن كلامه ذلك طرحه علناً في غرف الشيعة، وهو مسجل لدىٰ عدد من المتابعين.

(٢) سيتضح للقارئ الكريم أن الفكر البديل الذي يطمح الأستاذ حسن السقاف لنشره بين أهل السنة هو الفكر الشيعي مع خلطه بأفكار الجهمية، لكن الأساس عنده هو فكر الشيعة الإثني عشرية، والذي يراه هو الحق الذي لا مرية فيه، وأن المذهب الأشعري فيه أمور باطلة كثيرة بمقابل الحق الذي يتمثل في مذهب الشيعة والمعتزلة، هذا كلامه!

(٣) «السلفية الوهابية، أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية»، حسن السقاف (ص٥٧).

(٤) «السلفية الوهابية، أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية»، حسن السقاف (ص١٢٠).

(٥) «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، تحقيق وتعليق حسن السقاف (ص١٧٣)، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، دار الإمام النووي، الأردن.

فانظر هنا كيف يحرش الأشاعرة علىٰ السلفيين، ثم في كلامه الأخير صار يطعن في الأشاعرة وإمامهم، ثم في برنامج (البال توك) علىٰ الإنترنت صار يدعم الشيعة علىٰ سائر طوائف السنة، وفي أي مسألة؟ مسألة تحريف القرآن بزعمه!

وكما ترىٰ أخي القارئ، فإنه يظهر جلياً أن السقاف ـ هداه الله ـ لا يتكلم من منطلق مبادئ ثابتة، بل يهدف للفتنة والتحريش بين الناس للأس[1].

أنه من المحزن والمخجل أن ترىٰ الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ وهو يتبنىٰ هذه الدعوات التحريضية والتخريبية بين أهل السنة والجماعة، ويجاهر بالدعوة إلىٰ الاحتراب والاقتتال السني ـ السني، ويدعو أهل السنة أن يتحالفوا مع الشيعة والمعتزلة ضد إخوانهم من أهل السنة!

لكننا نحمد الله أن الناس عقلاء، ولديهم غيرة حقيقية علىٰ وحدة صفهم، وسلامة أمنهم الداخلي، في مواجهة الدعوات التحريضية التي تريد زرع الكراهية ونشر ثقافة التكفير والبغضاء والعنف بين أهل السنة أنفسهم.

ثالثاً: الأستاذ حسن السقاف والأشاعرة.

ذكر الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ في قناة المستقلة أكثر من مرة أنه أشعري العقيدة. ولعله قال ذلك ليجد لكلامه قبولاً عند الأشاعرة في مواجهة إخوانهم من أهل السنة والجماعة «**السلفية**».

وأقول: إن هذا الزعم من الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ يضاف إلىٰ رصيده الضخم في التلبيس والكذب، ومن يراجع كتبه التي ألفها قبل ظهوره في قناة المستقلة يعلم أنه ليس بأشعري، بل إنه قد نقض عقائد الأشعرية في أكثر من

---

(١) من الجدير بالذكر أن السقاف يستغل كل الوسائل المتاحة له والمدعوم بها من قبل الشيعة في سبيل الفتنة والتحريش، تارة بالكتاب، وتارة بالإنترنت علىٰ (البال توك) أو في موقعه، وتارة في الفضائيات، بل ومرات بالسعي الشخصي، ومنها ما قد ذكره المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ﷺ عن السقاف أنه زاره في بيته، وكان غرض السقاف من الزيارة الوقيعة بينه وبين بعض علماء الحديث الكبار!

موضع في كتبه، بل إنه قد حقر إمامهم الأشعري نفسه، وشتم عموم الأشاعرة وطعن عليهم، في مقابل ثنائه ومدحه ومغازلته للشيعة، وأجزم أن الإخوة الأشاعرة إذا قرؤوا هذا البحث كاملاً سيخرجون بعجائب من موقف السقاف منهم، ولا سيما المعاصرين!

ولكي يقف القارئ الكريم علىٰ حقيقة ذلك نقول له: في البداية لا بد من الجواب عن سؤال مهم، ألا وهو: من هم أهل السنة والجماعة عند الأستاذ حسن السقاف؟

الجواب: لا يشك من يقرأ كتب الأستاذ حسن السقاف أن مقصوده بمصطلح **(أهل السنة والجماعة)** هم الأشاعرة، ولا يدخل معهم ألبتة أهل الحديث أو السلفية، بل هؤلاء يصفهم بالحشوية والمجسمة والمشبهة، وهذا جلي واضح من كتاباته.

يقول الأستاذ حسن السقاف في هذا الشأن: (أسأل الله أن يكتبني في زمرة المدافعين عن علماء أهل السنة والجماعة الأشاعرة.. وهم حقيقة علماء الإسلام فالدفاع عن عقيدتهم دفاع عن عقيدة أهل الإسلام)[١].

ويقول الأستاذ حسن السقاف: (الحمد لله الذي اختصّ الأشاعرة بحمل راية التوحيد وعقيدة الإسلام، وجعلهم يذبّون كلّ شبهة وضلالة يذيعها المبتدعة بين العوام، ويكشفون ما لهم من الألاعيب والأوهام، فورّث الأشعريّة معالجة تلك الأمراض والأسقام)[٢].

وقال أيضاً: (علماء الأمة الأشاعرة)[٣].

ويقول مؤكداً أن المذاهب الأربعة تقول بمذهب الأشعري في العقائد: (أننا لو تأملنا كتب التوحيد والعقائد المؤلفة في مذهب الأشعري، لوجدنا أن

---

(١) «إلقام الحجر للمتطاول علىٰ الأشاعرة من البشر»، حسن السقاف (ص٧٩)، ط. الثانية ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام النووي، الأردن.
(٢) كتاب «إلقام الحجر»، حسن السقاف (ص٣).
(٣) «مجموع رسائل السقاف» (٢/ ٦٨٢).

مؤلفيها ينتسبون إلىٰ تلك المذاهب الأربعة)[1].

بل يبالغ في ذلك ويغلو غلواً كبيراً حينما يريد أن يثبت ثناءه علىٰ الأشاعرة بالاستدلال بمقولة الشيرازي بأن من لم يكن علىٰ عقيدة الأشعري فهو كافر[2]!

فالأشاعرة إذن هم أهل السنة والجماعة، وهم حقيقة علماء الإسلام عند الأستاذ حسن السقاف، والدفاع عنهم ـ كما يقول ـ دفاع عن عقيدة أهل الإسلام، هكذا أسس السقاف كلامه مبدئياً وهو طرح قد يفرح به بعض الأشاعرة، ولكن! لننظر الآن كيف تعامل الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ مع علماء الإسلام، ومع عقيدة أهل الإسلام، والتي قال: إنه يدافع عنهم!

فقد رأيت الأستاذ حسن السقاف في رسائله يطرح سؤالاً خطيراً وهو: (هل لدينا علماء فعلاً؟)[3]. وهو لا شك ـ كما تعلم ـ يقصد الأشاعرة لا السلفية أو الوهابية، ثم يجيب عن سؤاله قائلاً: الواقع لدينا علماء قلائل بالمعنىٰ الضيق. ثم يبيِّن مقصده بوجود علماء مقلدين قلائل فقط[4].

ثم يقوم معرياً الأشاعرة ومغازلاً الشيعة وغيرهم، فيقول (أما العالِم المجتهد فيندر وجوده جداً عند أهل السنة، وهو متوفر وموجود عند: الشيعة الزيدية، والشيعة الإمامية، والإباضية)[5].

ثم يمضي الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ في بيان أسباب الواقع المرير عند الأشاعرة، فيقول: (مما ساعد علىٰ هبوط المستوىٰ العلمي عند علماء أهل السنة وتدنيه، وجود الجماعات الإسلامية التي تزهد في العلم والعلماء.. وبالتالي فقد تحطم الجهاز العلمي تماماً عند أهل السنة والجماعة، وفقد مرجعيته وقيمته واعتباراته)[6].

---

(١) «تهنئة الصديق المحبوب»، السقاف (ص١٨).

(٢) انظر: «تهنئة الصديق المحبوب»، السقاف (ص١٩).

(٣) «مجموع رسائل السقاف»، الجزء الأول، صفحة (١٠)، دار الرازي.

(٤) انظر: «مجموع رسائل السقاف» (١/ ١٠).

(٥) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ١٠).

(٦) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ١٠).

وبعد بيان الضياع العلمي وفقدان القيمة والاعتبار عند الأشاعرة، يعرج الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ مبيناً الفرق الشاسع بين الشيعة والأشاعرة، فيقول: (بينما لم تستطع كل هذه العوامل أن تخترق الشيعة الإمامية، وبقي لهم نفوذهم وقدرتهم علىٰ توجيه الناس وإرشادهم، وهذا مما يجب أن نعترف به ولا نكابر أو نجادل فيه بالباطل)[1].

ثم في موضع آخر يصف علماء الأشاعرة ـ الذين يسميهم علماء أهل السنة والجماعة ـ بأنهم في سبات يشخرون [هكذا تعبيره عنهم] عن حراسة التوحيد والعقيدة، ثم قال عنهم: مغفلين لا يدرون ما يجري حولهم في الساحة، وأنهم تركوا الذبَّ عن العقيدة، كما تركوا السهر علىٰ صيانة التوحيد[2].

بينما في المقابل يقول عن الشيعة: (المذهب الشيعي الإمامي أو الإثني عشري، وأصحابه هم الإمامية أو الإثني عشرية، مذهب عقائدي مبني علىٰ التنزيه في حق الله تعالىٰ، وفقهي يتخذ أئمة هذا المذهب اثني عشر إماماً.. وأهم مبادئ وأُسس هذا المذهب هي: عقيدة التنزيه، وموالاة آل البيت ومشايعتهم ـ أي: مناصرتهم ـ ووجوب الاقتداء بالأئمة المذكورين)[3].

ثم يمضي الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ مقارناً بين الشيعة والأشاعرة، مبيناً الفوضىٰ الدينية التي يعيشها الأشاعرة بزعمه، فيقول: (وأهم مبادئ وأسس هذا المذهب ـ يقصد الشيعة ـ: وجود المرجعية، وعدم وجود الفوضىٰ الدينية الواقعة اليوم عند أهل السنة)[4].

بل زعم أن المذهب الأشعري مذهب نصب وعداء لأهل البيت ﷺ حيث قال في معرض كلامه عن الأشاعرة: (كان الباقلاني ناصبياً، ومنه دخل النصب لهذا المذهب)[5].

---

(١) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ١٠).

(٢) انظر: «تهنئة الصديق المحبوب»، السقاف (ص٣).

(٣) «السلفية الوهابية»، السقاف (ص١٤).

(٤) «السلفية الوهابية»، السقاف (ص١٤).

(٥) «العلو» للعلي الغفار، تحقيق السقاف (ص٥٤٠).

فانظر أخي القارئ الكريم، كيف يصف الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ الأشاعرة بأنهم في سبات يشخرون عن حراسة التوحيد، وأنهم يعيشون في فوضىٰ دينية، وأن جهازهم العلمي قد تحطم تماماً، وأنهم نواصب، هذه الأوصاف كلها يوجهها الأستاذ حسن إلىٰ من كان يصفهم بأنهم هم أهل السنة والجماعة، وهم حقيقة علماء الإسلام، وأن الدفاع عنهم دفاع عن عقيدة أهل الإسلام!

ولم يكتف الأستاذ حسن بنسف علماء الأشاعرة جملة واحدة ـ إلا قلائل، ووصفهم بالمقلدين ـ بل عرج علىٰ عوام أهل السنة والجماعة فقال في حقهم ما يندىٰ له جبين كل حر، وما لا يرضاه أي مسلم غيور!

يقول الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ عن الأشاعرة: (وغالب أفراد الأمة عند أهل السنة والجماعة يعيشون بدون أهداف سامية في الحياة، ولا يحملون قضية[1]، وليس لهم في أذهانهم حضور في صنع برامج نهضوية)[2]!

وليس هذا ـ مع كل أسف ـ هو كل ما قاله الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ في حق الأشاعرة وحسب، بل لم يسلم منه مؤسس المذهب الأشعري نفسه، أعني أبا الحسن الأشعري رحمه الله وبعض أعمدة مدرسته الفكرية، حيث تكلم الأستاذ السقاف بحقهم بكلام فظيع لا يليق بمسلم عامي فضلاً عن العلماء والأئمة[3]!

---

(١) إذا كان الأستاذ حسن السقاف ـ سامحه الله ـ يقصد بالبرامج النهضوية، والأهداف السامية، والقضايا هو ما يدعو إليه ويجاهر به دائماً من اقتتالٍ سني ـ سني، وحربٍ داخلية بين المسلمين، وترويج لثقافة التكفير والكراهية، فإنا نحمد الله أن الأمة الإسلامية وأهل السنة والجماعة قد نبذت هذه الأفكار الهدامة، وتفطنت لحقيقة تلك الدعوات المبيتة بليل!

(٢) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ١٠ ـ ١١).

(٣) لا بد من التنبيه هنا، إلىٰ نقطة مهمة وهي سمة بارزة وصفة راسخة في الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ ألا وهي التناقض المستمر فيما يكتبه أو فيما يقوله، وهذا التناقض يشمل الجوانب العلمية عنده والجوانب النفسية أيضاً ـ وقد يمر بك شيئاً منها في غير هذا الموضع ـ إضافة إلىٰ سرعة التغير والتحول والتقلب، حيث لا يقر له =

فالأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ أولاً لا يثبت علىٰ رأي في قضية الكتب المنسوبة إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري، فمرة يثبتها ويستدل بها علىٰ أنها ضد التجسيم، ومرة يجد نفسه بلا دليل مرجح، مرة يرىٰ أن تلك الكتب إنما هي من تلفيق وتأليف تلميذه الباقلاني!

فنجده يستدل بكتاب «الإبانة» وكتاب «رسالة أهل الثغر» للإمام أبي الحسن الأشعري علىٰ إثبات التأويل عند السلف، فيقول:

(الإمام أبو الحسن الأشعري يؤوّل في كتابه «الإبانة» وفي كتابه «رسالة أهل الثغر» اللذين تتظاهر المجسمة والمتمسلفة الاحتجاج بما فيهما)(١).

= قرار، فبالأمس تجده يدافع ويناضل بغلو وشدة عن فكرة ما ويصفها بأنها حقيقة الإسلام والحق؛ وأن من خالفها فقد كفر، ثم تجده بعد ذلك يكتب ما ينقضها ويهدمها ويصف من يتبناها بالسخف والهذيان والجنون!

فمثلاً: تجده يثبت كتاب «الإبانة» للأشعري ويجعل منه كتاباً ناقضاً للتشبيه والتجسيم، ثم تجده بعد ذلك ينفي نسبة الكتاب لصاحبه، ويجعله عمدة للتشبيه والتجسيم. ومرة تجده ينص علىٰ أن المذهب الأشعري هو المذهب المختص بالحق، ثم تجده ينقضه ويصف بعض عقائده بالخزعبلات وبقايا دين اليهود، ومرة تجده يصف علماء الأشاعرة بأنهم هم حقيقة علماء الإسلام، ثم يرجع فيصفهم بالفوضىٰ الدينية وأنهم يشاخرون، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، وسيمر بك شيء منها!

كل ذلك مع أنه زعم الانتساب إلىٰ الأشاعرة علىٰ قناة المستقلة بعد أن سطر في كتبه العيوب والمثالب المشينة في حقهم، وفي حق أئمتهم، ثم في النهاية نفىٰ علىٰ نفس القناة أنه أشعري، وقال: إنه مجتهد!! ولا تنس رميه لمشايخ الأشاعرة بالتقليد والتشخير، نسأل الله له الهداية والرشاد!

أما الأمثلة التي تشير إلىٰ تناقضه واضطرابه النفسي ـ هداه الله ـ فمنها حينما كان يصر ويدعو الدكتور الهاشمي إلىٰ استضافة الدكتور محمد سعيد البوطي، بوصفه عالم له وزنه، فلما استضاف الهاشمي الدكتور البوطي استجابة لرغبة الأستاذ السقاف، إذا به يغضب وينكر كلام البوطي ويحط من قدره؛ بل ويسخر موقعه علىٰ الإنترنت لشتمه وسبه والسخرية منه!

وقريباً من هذا حصل لي، حيث قال لي في تلك الحلقات: (أنا حبيتك، أنت دخلت قلبي، أنا ارتحت لك) أو فيما معناه، لكن وما إن انتهت الحلقات حتىٰ ملأ موقعه علىٰ الإنترنت شتماً وسباً في، وفي غيري من الضيوف في ذلك اللقاء!

(١) «دفع شبه التشبيه»، تحقيق حسن السقاف (ص١٩).

ويقول: (كتاب «الإبانة» لأبي الحسن الأشعري وهو من أول مؤلفاته خلافاً لما تزعمه المجسمة أنه آخر مؤلفاته.. إن كتاب «الإبانة» يعتبر من الكتب الهادمة لعقائد المجسمة والمشبهة)[1].

ويقول: (ذكر أبو الحسن الأشعري في مقدمة «الإبانة»... وهذا يهدم ما تزعمه المجسمة من أن الله تعالىٰ صورة واحدة، تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً، وفي كتابنا «إلقام الحجر» (ص١٧ ـ ٢٠) ذكرنا باقي المسائل ببعض توسع، فليراجعها من شاء. وأما ردُّ الإمام أبي الحسن الأشعري تفسير الاستواء بالاستيلاء فنحن لا نوافقه في ذلك أبداً، ونقول إنه قال ذلك بسبب ردة فعل حصلت عنده من المعتزلة)[2].

وبعد أن أثبت الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ أنَّ كتاب «الإبانة» للأشعري؛ بل جعل منه كتاباً هادماً للمجسمة، إذ به ينقلب علىٰ الأشعري ويكر عليه شتماً وسباً وسخرية!

فيقول: (ما ينقله أبو الحسن في «الإبانة» وغيره عن المعتزلة إن ثبت عنه [وهو أثبته فيما سبق] فإنه يسقطه عن مرتبة الإمامة والمرجعية سقوطاً تاماً، وذلك مثل نقله عن المعتزلة بأنهم يقولون بأن الله تعالىٰ في كل مكان، وهم أبعد الناس عن ذلك القول، وإثباته في «الإبانة» ليد حقيقية لله تعالىٰ، ومحاربته تأويل الاستواء بالاستيلاء والملك والقهر، ومحاربته تأويل اليد بالنعمة، وقوله بأنَّ القرآن غير مخلوق وإتيانه بأدلة تافهة علىٰ ذلك، وهي أدلة مضحكة حقاً تصلح أن تكون نكات ونوادر)[3].

ويقول: (هجوم الأشعري علىٰ المعتزلة واتهامهم بأنهم يقولون بأن الله تعالىٰ في كل مكان، بعدما أمضىٰ معهم كما يقال أربعين سنة من حياته، وقوله بتلك الترهات المسطورة في الكتب المنسوبة إليه والموجودة بين أيدينا

---

(١) «دفع شبه التشبيه»، تحقيق حسن السقاف (ص١٢٦).

(٢) «دفع شبه التشبيه»، تحقيق حسن السقاف (ص١٢٧).

(٣) «العلو» للعلي الغفار، تحقيق حسن السقاف (ص٥١١).

إن ثبتت عنه؛ ثبت أنه يفتري ويكذب علىٰ خصومه بما هم برءاء منه)[1].

ثم يقول مزدرياً الأشعري، ومشككاً به، وبأتباعه، بل ومذهبه: (اختلف في ضبط السَّنة التي مات فيها الأشعري من ٣٢٠هـ إلىٰ ٣٣٣هـ، فلو كان الأشعري حقاً وصدقاً كما يقولون له مذهب وأتباع معروفون لضبط يوم موته بالساعة فضلاً عن اليوم والشهر والسنة[2]، فلا أدري لم وقع كل هذا؟ وكل هذا يضع علامات استفهام علىٰ الأشعري ومصنفاته وحقيقته)[3].

ويستمر الأستاذ حسن، فيقول: (ما هو مسطور في هذه الكتب المتداولة المنسوبة إليه كـ«الإبانة» و«رسالة أهل الثغر» تدل دلالة واضحة علىٰ ضحالة علمية[4]، وإذا قلنا بأن جميع تلك الكتب محرفة وتلاعبت بها الأيدي الأثيمة، أو أن تلك المصنفات وضعت عليه، والله أعلم بحقيقة الحال، إذن ليس بأيدينا اليوم شيء صحيح يمكن الوثوق به حتىٰ نعرف مذهب الأشعري)[5].

---

(١) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥١١).

(٢) قارن أيها القارئ الكريم بين كلام الأستاذ حسن الآنف، وبين ما قاله في «مجموعة رسائله» (٢/ ٦٨٢) حيث قال: إن علماء الأمة الأشاعرة ينتسبون إلىٰ الإمام الأشعري لأن النسبة إليه صارت علماً علىٰ أهل السنة والجماعة، وأن ما عليه الأشاعرة هو حقيقة ما نص عليه الإمام الأشعري.
أقول: انظر رحمك الله كيف جعل نسبة أهل السنة والجماعة إلىٰ رجل مطعون فيه، ووضع السقاف علىٰ حقيقته وكتبه علامات استفهام، فسبحان مغير الأحوال!!

(٣) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥١٢).

(٤) انظر لأدب الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ مع الأئمة! ثم قارن أيها القارئ الكريم بين كلام الأستاذ حسن الآنف، وبين ما قاله في «مجموعة رسائله» (٢/ ٦٨٢) حيث قال: (يتظاهر ابن تيمية وأتباعه بأنهم يحبون الأشعري ويقولون بما يقول، ويخالفون الأشاعرة لأنهم لم يسيروا علىٰ طريقته). ثم يقول في نفس الصفحة: (وليس ما قالوا صحيحاً فما عليه الأشاعرة هو حقيقة ما نص عليه الإمام الأشعري). ثم في هامش نفس الصفحة يقول: (ذكرت.. بعد تصنيف هذه الرسالة بنحو عشر سنوات أن الأشعري لا تثبت عنه هذه الكتب).
فأقول: يا لله العجب، ما أكثر تناقض واضطراب الأستاذ حسن!! فالأشاعرة ومذهبهم هو ما نص عليه الإمام الأشعري، ثم بعد ذلك لا تثبت أي من كتب الأشعري نفسه، ولا يثبت له أي نص! وعليه فما هو مصير مذهب الأشاعرة عنده؟!

(٥) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥١٢).

ثم تمخض الأستاذ حسن فقال: (إن هذه الكتب المنسوبة إلىٰ أبي الحسن الأشعري كـ«الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» وأمثالها[1] ليست من تصنيف أبي الحسن الأشعري؛ بل هي من تصنيف أبي بكر الباقلاني)[2].

ثم يصف الباقلاني قائلاً: (كان الباقلاني ناصبياً ومنه دخل النصب لهذا المذهب، ومنه اقتبس أبو بكر بن العربي المالكي ما كتبه في أواخر «العواصم» مما يتعلق بالخلفاء، اقتبسه من آخر كتاب «تمهيد الأوائل» للباقلاني)[3].

ويقول أيضاً عن الباقلاني: (منحرف مجسم ناصبي لا يلتفت لقوله، وهو حنبلي علىٰ التحقيق)[4].

ولم يكتف الأستاذ حسن السقاف بذلك، بل عمد بعد المناظرة في قناة المستقلة والتي زعم فيها أنه أشعري إلىٰ كتابة مواضيع ضد الإمام الأشعري وتلاميذه[5]، ومن ذلك ما كتبه في موقعه علىٰ الإنترنت تحت عنوان: (الأشعري وكتاب «الإبانة») والذي سخره للنيل والشتم والسب والسخرية من الإمام الأشعري والأشاعرة أنفسهم!

---

(١) مر بك وسيمر بك ـ بمشيئة الله ـ أخي القارئ الكريم، كم هائل من سباب وشتائم الأستاذ حسن لمؤلفات الإمام الأشعري، ثم ستكتشف مع الأستاذ السقاف أن كتب الأشعري ليست له؛ بل لتلميذه الباقلاني، وهذا الأخير سينال حظاً كبيراً من الشتائم والسباب والاتهامات الخطيرة، وعليه فيكون كلام الأستاذ السقاف السابق الذي وصف به الأشاعرة بأن مذهبهم هو حقيقة ما نص عليه الإمام الأشعري، ليس صحيحاً، بل الصحيح هو: أن ما عليه الأشاعرة هو حقيقة ما نص عليه الإمام الباقلاني ـ لأن الكتب كتبه هو كما يزعم الأستاذ السقاف ـ وهو الموصوف بأقبح الصفات عند الأستاذ حسن، مثل: التجسيم والنصب والانحراف، وعليه سوف تسري تلك الشتائم علىٰ سائر الأشاعرة، لأن ما هم عليه حقيقة هو نص كلام الباقلاني كما يزعم الأستاذ السقاف هداه الله!!

(٢) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥١٢).

(٣) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥٤٠).

(٤) «العلو» للعلي الغفار، تعليق حسن السقاف (ص٥٩٨).

(٥) **أقول**: ليس ذلك بغريب علىٰ تلميذ الغماريين، الذين يقول كبيرهم أحمد الغماري: (الحمد لله رب العالمين الذي نجانا من بدعة عقائد الأشعريين). «جؤنة العطار» (٣/ ٧٦).

ومما كتبه ـ هداه الله ـ في ذلك الموضوع ما يلي بنصه ولفظه:

فقد قال عن الإمام الأشعري ما نصه: (لا أرىٰ للأشعري ذلك الفضل والعلم الكبير، وأنه فخم وكبر فوق قدره ومن ينتمي إلىٰ الأشعرية في الغالب لم يطلع علىٰ مؤلفاته).

وقال: (فالأشعري قال في صدر الكتاب ـ أي: «الإبانة» ـ أو في صدر سرد عقيدته أنها علىٰ مذهب أحمد بن حنبل وفخم في وصفه جداً، ومن هذا يتبين أن الرجل ـ أعني الأشعري ـ سائر في ركب أحمد وشيعته المجسمة في الاعتقاد).

وقال: (وفي ترجمة البربهاري في السير: أن الأشعري جاء ينافق ويتزلف للحنابلة).

وقال: (إذا كانت «الإبانة» من تصنيف الأشعري حقاً، فهو أحد المنافقين المتزلفين للحنابلة).

وقال: (إن هذا الكلام من الأشعري مردود عليه جملة وتفصيلاً، ولا بدّ أن يصفع عليه ببراهين الأدلة. وليس هذا الكلام من باب التأويل الحق ولا من باب التفويض، وإنما هو من باب الخرط [كذا!] والتزلف الدال علىٰ التشبيه والتجسيم والعقيدة الفاسدة).

ويقول عن الأشاعرة وإمامهم الباقلاني: (وكتب الباقلاني وخاصة «التمهيد» فيها شيء من ذلك ـ التجسيم ـ وهو مؤسس ما يسمىٰ بمذهب التفويض عند الأشاعرة الدال علىٰ الجهل بمعاني الآيات والأحاديث، والمؤدي للسير في ركاب ومسرب الحنابلة المجسمة! إن لم نقل بأن الأشعري مؤسسه!! ومؤسس ـ أعني الباقلاني ـ مذهب النصب في الفكر الأشعري أيضاً! وهذه مصيبة المصايب فتراهم وإن أرضونا بكلمات معسولة بأنهم محبون لآل البيت؛ إلا أنهم في الواقع لا يحبونهم ولا يحترمونهم، بل يحبون أنفسهم ويزدرون غيرهم، ولا يعارفون [كذا] الفضل إلا لأنفسهم المعصومة وخاصة المعاصرين منهم مع أنهم ليسوا بشيء يذكر علىٰ التحقيق).

ويقول: (الأشاعرة ليسوا معصومين، وليس ما يقولونه كله حق وعلىٰ رأسهم الأشعري، ففي كتاب «مقالات الإسلاميين» عقيدة مشابهة لعقيدة «الإبانة». وليس هناك أي دليل يدل علىٰ أنهم معصومون، أو أنهم أهل الحق[1]! ولو أخرجت لك بعض ما في كتب الباقلاني والحواشي المتقدمة والمتأخرة لرأيت العجب العجاب من الخلط والخطأ والاحتجاج بالحكايات والمنامات والإسرائيليات والفكر المردود).

ويقول: (أهل السنة والجماعة اصطلاح حادث مبتدع[2]، ولا يعني ذلك فضلاً ولا انحصاراً للحق في هذه الطائفة؛ بل هم مختلفون في العقائد والفروع، بل هي تسمية سياسية بنظري، أو من جماعة من المحدثين المشبهة والمفوضة).

ويقول: (نلاحظ أن ما يسمىٰ بالمذهب الأشعري غير متفق أئمته في العقيدة! فكلام الأشعري الذي نقلته من «الإبانة» فيه تصريح بأن الله تعالىٰ في السماء دون الأرض، وقريب منه كلام الباقلاني، أما كلام الغزالي وإمام الحرمين فهو مخالف لذلك تماماً).

---

(١) أظنك أخي القارئ الكريم لم تنس ما قاله سابقاً الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ عن الأشاعرة حيث قال: (الحمد لله الذي اختصّ الأشاعرة بحمل راية التوحيد وعقيدة الإسلام، وجعلهم يذبّون كلّ شبهة وضلالة يذيعها المبتدعة بين العوام، ويكشفون ما لهم من الألاعيب والأوهام، فورّث الأشعريّة معالجة تلك الأمراض والأسقام). كتاب «إلقام الحجر»، حسن السقاف (ص٣).
أقول: وبهذا تعرف مع أيّ عقلية ونفسية تتعامل! نسأل الله أن يهديه ويبصره الحق والهدىٰ.

(٢) قارن أخي الكريم بين هذه المقولة للأستاذ حسن ـ هداه الله ـ وبين قوله السابق الذي قال فيه: (أسأل الله أن يكتبني في زمرة المدافعين عن علماء أهل السنة والجماعة الأشاعرة.. وهم حقيقة علماء الإسلام، فالدفاع عن عقيدتهم دفاع عن عقيدة أهل الإسلام). «إلقام الحجر للمتطاول علىٰ الأشاعرة من البشر»، حسن السقاف (ص٧٩).
أقول: أصبح علماء الأشاعرة ـ الذين هم عند الأستاذ السقاف أهل السنة والجماعة وعلماء الإسلام ـ علماء مصطلح حادث مبتدع، وكان الأستاذ حسن يسأل الله أن يجعله في زمرة المدافعين عن البدع الحادثة!!

ويقول: (ورحم الله العلامة الكوثري وطيب ثراه في كلمته الرائعة تلك التي ذكرها في مقدمة «تبيين كذب المفتري» عن المعتزلة، والعلامة الكوثري كان أيضاً لا يقدر علىٰ البوح ببعض الأشياء خشية من المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحوي علماء من أهل السنة والجماعة، ومن الأشاعرة لا يعقلون ولا يعون)[1]!

ولذلك تجد الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ مع زعمه في قناة المستقلة أنه أشعري العقيدة؛ إلا أنه في كتبه ينقض أصول هذه العقائد الواحد تلو الآخر، ومن تلك الأمثلة علىٰ سبيل الاختصار:

١ ـ مسألة صفة الكلام الإلٰهي:

فبعد أن عرض الأستاذ عقيدة الأشاعرة في صفة الكلام، علق عليها في الهامش فقال: (هذا هو ما تقوله الأشاعرة وكنت أقوله، أما الصواب في ذلك فبالنسبة إلىٰ مسألة الكلام فهو أن الله تعالىٰ يحدث للخلق ما يدلهم علىٰ مراده كما بينته في «صحيح شرح الطحاوية»)[2].

٢ ـ مسألة الرؤية:

فبعد أن عرض الأستاذ عقيدة الأشاعرة في رؤية الله، علق عليها في الهامش فقال:

(وأما الرؤية فالله تعالىٰ منزه أن يُرىٰ في الدنيا والآخرة، وهذا هو مذهب أئمة آل البيت عليهم سلام الله تعالىٰ، والزيدية، والإمامية، والمعتزلة، والإباضية وغيرهم)[3].

---

(١) انظر: كل هذه النصوص الأخيرة في موقعه علىٰ الإنترنت (التنزيه)، تحت عنوان: (الأشعري وكتاب «الإبانة»).

أقول: هنا يحاول الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ أن يشير لنا أنه يخفي أشياء أخرىٰ غير التي صرح بها، ففي إشارته إلىٰ الكوثري، وكيف أنه (كان لا يقدر علىٰ البوح ببعض الأشياء خشية من المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحوي علماء من أهل السنة والجماعة ومن الأشاعرة لا يعقلون ولا يعون)، كأنه يريد تأكيد هذا المعنىٰ! ولعل القارئ الكريم يقول: وماذا بعد أكثر من هذا تخفي يا أستاذ حسن؟!

(٢) «مجموع رسائل السقاف» (٢/ ٦٨٤).

(٣) «مجموع رسائل السقاف» (٢/ ٦٨٤).

وقال في موضع آخر ناقضاً عقيدة الأشاعرة: (ما نعتقده هو مذهب آل البيت ومن تبعهم المؤيد بدلائل المنقول والمعقول، من أن الله تعالىٰ لا يرىٰ في الدارين، وهو منزه علىٰ ذلك سبحانه وتعالىٰ)[١].

٣ ـ مسألة أفعال العباد:

عرض الأستاذ السقاف مذهب الأشاعرة، ثم علق عليه؛ وقال: (أعمال العباد من صنعهم وليست فعلاً لله ومؤدىٰ ذلك أنهم مختارون فيها وأنهم غير مجبرين علىٰ فعلها، ولا يقال: إنها مقدرة عليهم وما كان باستطاعتهم أن يتجنبوا فعلها ولذلك يحاسبون عليها، وهذا هو الصواب الذي ندين الله به، وهو قول الأئمة السابقين من آل البيت والزيدية والمعتزلة)[٢].

رابعاً: ألفاظ وكلمات الأستاذ حسن السقاف.

قد مرّ معك أخي القارئ طرفٌ يسيرٌ من أخلاقيات وسلوكيات الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ في مناظرة المستقلة، وفيما خطه وكتبه في الأشاعرة وغيرهم، وما دام هذا موقفه ممن يدعي أنه منهم ويدعي الدفاع عنهم، فكيف

---

(١) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ٣١٢).

(٢) «مجموع رسائل السقاف» (١/ ٣١٢).

أقول: لأحد قدوات الأستاذ السقاف موقف شديد من الأشاعرة، وهو الشيخ أحمد الغماري، فمما قاله الأخير في ردٍّ ضمن رسالة بعث بها إلىٰ تلميذه أبي خبزة التطواني، ذكر فيها ما يلي: ما المقصود بالمبتدعة والمعطلة في كتب السلف؟! مرادهم بالمبتدعة والمعطلة هم الأشعرية، وأنهم شر ابتداعاً من المعتزلة، وأنهم كاذبون في دعواهم أنهم أهل السنة والجماعة؛ أو علىٰ الأقل غالطون في ذلك ولا بد.

وفي هذا الأسبوع سأدرج إن شاء الله رسالة الموفق بن قدامة صاحب «المغني» المتوفىٰ سنة ٦٢٠ في النهي عن قراءة كتب المبتدعة الأشعرية في «جؤنة العطار»، لأنها طريفة وعندي نسخة كتبت سنة ٧٢٠ بعد وفاة المؤلف بمائة سنة، والطريف منها أنه سمىٰ الأشعري والأشعرية مبتدعة، وحذر من قراءة كتبهم، وأتىٰ بالدليل علىٰ ذلك من الكتاب والسنة، وكلام الأئمة الأربعة، وإن أعان الله وكتبت في عقيدة السنة وإبطال عقائد الأشعرية، فسوف يكون أطرف وأظرف إن شاء الله تعالىٰ. انظر: «الجواب المفيد» (ص١٣).

موقفه وكلماته من خصومه المسلمين المعلنين، والذي صرح أنه يكفرهم من البداية!

ومما يؤسف له أن الأستاذ السقاف ـ سامحه الله ـ قد اتخذ ذلك منهجاً وسلوكاً في كتبه كلها، فلا يخلو كتاب من كتبه من شتم وسب وسخرية[1].

وليس المقام هنا متسع لسرد قائمة ألفاظ الأستاذ حسن كلها، وإنما سنكتفي بعرض نماذج قليلة تعبر عن الروح الكتابية عند الأستاذ حسن، وهو يتجاور مع خصومه بل إخوانه من المسلمين. وإليك أخي القارئ بعض الأمثلة:

قال في حق الإمام أبي الحسن الأشعري: (أنه يفتري ويكذب علىٰ خصومه بما هم براءاء منه)[2].

وقال في حق الإمام الباقلاني: (كان الباقلاني ناصبياً ومنه دخل النصب لهذا المذهب؛ أي: مذهب الأشاعرة)[3]. وقال أيضاً: (الباقلاني منحرف مجسم ناصبي، لا يلتفت لقوله)[4].

وقال عن الإمام الأنصاري الهروي: (كان مجسماً حلولياً، وصوفياً مارقاً)[5].

وقال أيضاً عنه: (إنه مارق من الدين)[6].

---

(١) من الأمور الملاحظة في كتابات الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ والتي تعطي القارئ انطباعات واضحة عن نفسية كاتبها، أنك تجد الأستاذ حسن حينما يكتب كتاباً ـ ومعظم كتبه ردود إن لم تكن كلها ـ يرد فيه علىٰ شخص ما أو إمام ما أو عالم ما؛ فتجده يكتب اسم المردود عليه بخط صغير جداً، أصغر من خط (بنط) الكتاب، من باب احتقار المردود عليه وتصغيره(!!) ولا شك أن القارئ وهو يتأمل ذلك يدرك مدىٰ الأزمة النفسية التي يعانيها الأستاذ حسن، نسأل الله له الهداية. ومن الأمور التي تدلل علىٰ ذلك وتدعونا إلىٰ الشفقة علىٰ الأستاذ السقاف ما قاله عبر قناة المستقلة من أنه أعلم من ابن تيمية عشرين ألف مرة!!

(٢) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥١١).

(٣) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٤٠).

(٤) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٩٨).

(٥) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٦٥).

(٦) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٢١).

وقال عن ابن تيمية: (ناصبي خبيث، ومجسم بغيض)[1].

وقال عنه أيضاً: (كافر لا يستحق دخول الجنة)[2].

ثم يسخر من ابن تيمية بأسلوب لا يليق حيث يقول: (ابن تيمية الحراني بترقيق الراء وتشديدها، واستسخاف عقل صاحبها)[3].

ونحن نتساءل: ماذا يقصد الأستاذ السقاف بقوله: (الحراني بترقيق الراء وتشديدها)!؟

وقال عنه أيضاً: (إن هذا الرجل هو مخترع أفلام الكرتون)[4].

ثم انظر للأسلوب العامي الهابط الذي يتخاطب به الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ مع مثل ابن تيمية، يقول: (لم يرد الشيخ ابن تيمية بتاعكم تلك الآيات القرآنية.. الأمثلة كثيرة التي ترك فيها الشيخ الحراني بتاعكم الكتاب والسنة)[5].

وقال عن الشيخ عبد العزيز بن باز: (لا يعرف التوحيد)[6].

ووصف العالم السهسواني الهندي بأنه: (مستأجر كذاب)[7].

ووصف الدكتور عمر الأشقر بأنه من: (أذيال المجسمة) وقال عنه: (ضحل المعلومات والتفكير)[8].

بل إنه نسب إلىٰ السلفية مصحفاً سرياً يتناقلونه[9].

ووصف الدكتور سفر الحوالي بأنه (ذنب)[10]. وقال عنه: (يدعون التخصص والدكتوراه الخرقاء)[11].

وقال أيضاً عنه: (إنك تهرف بما لا تعي ولا تعرف كهرف المبرسمين)[12].

وقال أيضاً مخاطباً الدكتور سفر: (عقيدة أصحاب الأدغال تلك هي

---

(١) «العلو»، تعليق السقاف (ص١٤).

(٢) في الحوار الذي جرىٰ علىٰ قناة المستقلة بتاريخ ١٨/١٢/١٤٢٤هـ.

(٣) «تنقيح الفهوم العالية» (ص١٠٧).

(٤) «تنقيح الفهوم العالية» (ص٩٧).

(٥) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٤١).

(٦) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص١٨٨).

(٧) «إلقام الحجر» (ص٤٣).

(٨) «العلو»، تعليق السقاف (ص١٤).

(٩) انظر كتابه: «الشماطيط» (ص٤٨).

(١٠) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٢٣).

(١١) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٦٩).

(١٢) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٥٩).

عقيدة سلفك التي تطبل وتزمر لها)[1]. ووصف الدعاة السلفيين بالنفاق وسخر من طول لحاهم وعيونهم المكحلة الدامعة[2]!

ولعل القارئ الكريم يسأل: من أين تعلم وتربىٰ الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ علىٰ تلك الألفاظ التي يخاطب بها المخالف له؟

أقول: لا شك أن الإنسان يتأثر بشيوخه وأساتذته وقدواته، ويتلبس بأساليبهم ومناهجهم ـ في الغالب ـ وينهل من معين ألفاظهم وكلماتهم، لكثرة إدمانه عليها، ومطالعته إياها في كل حين.

فمن أشهر قدوات الأستاذ حسن السقاف، الشيخ **محمد زاهد الكوثري** الذي احتل مكاناً مرموقاً عنده، وأوصىٰ الناس بقراءة كتبه، والنهل من معين كلماته، تلك الكلمات والألفاظ والأساليب التي سنرىٰ قبحها وبلوغها الغاية في الإسفاف.

قال الأستاذ حسن السقاف: (الذي نقوله وندين الله تعالىٰ به أن الإمام المحدث محمد زاهد الكوثري عليه الرحمة والرضوان، هو مجدد التوحيد في القرن الماضي.. وإنني أحض طلبة العلم علىٰ قراءة كتاب «المقالات» و«تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم» للإمام الكوثري رحمه الله تعالىٰ، وأن يعتنوا بها اعتناءً كبيراً ويعرفوا ما فيها من الأدلة والمسائل)[3].

وقال الأستاذ حسن مادحاً بعض كتب الكوثري: («مقالات الكوثري» رحمه الله تعالىٰ، وهو كتاب مفيد جداً فيه عدة مقالات يستفيد منها طالب العلم في أبواب العقائد، ولا يستغني عن هذا الكتاب طالب علم)[4].

وقال أيضاً: (تعليقات المحدث الكوثري علىٰ كتاب الإمام السبكي «السيف الصقيل في الرد علىٰ ابن زفيل» وهي المسماة بـ«تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم». وهو كتاب نفيس جداً ينبغي أن يقرأه طلاب العلم كرات ومرات)[5].

---

(١) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص٥٢). (٢) انظر: «إلقام الحجر» (ص٤٢).
(٣) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص٨٠).
(٤) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص٧٨).
(٥) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص٧٩).

وقال: (إنني أنصح طلاب العلم وأهله أن يقتنوا كتب الإمام الكوثري وخصوصاً كتاب «المقالات» و«تعليقاته علىٰ السيف الصقيل» لما حوت من الفوائد العلمية والتحقيق الدقيق)[1].

أقول: فتأمل الآن في كلمات وألفاظ هذا المجدد الكبير في التعامل مع المخالف، والذي ينصحنا الأستاذ حسن بأن نقتني كتبه!

فقد سمىٰ الكوثري «كتاب التوحيد» للإمام ابن خزيمة بـ(كتاب الشرك)[2].

ووصف الإمام الدارمي بأنه: (صاحب عقل وثني)[3].

وقال عن الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل: (هل يشك مسلم في خروج من يعتقد هذا الإيمان إلىٰ الوثنية الصريحة)[4].

ووصف الإمام ابن تيمية بأوصاف كثيرة منها أنه: ضال، مبتدع، زنديق، مارق، وارث علوم صابئة حران، مضل، خبيث، من أئمة الضلال، جاهل، غال، زائغ اعتقاداً وعملاً.. إلخ[5].

ووصف ـ أيضاً ـ الإمام ابن القيم بأنه: كافر، زنديق، ضال مضل، مبتدع، زائغ، وقح، وسخ، غبي، بليد، حشوي، جاهل، كذاب، خارجي، تيس، حمار، ملعون، من إخوان اليهود والنصارىٰ، منحل من الدين والعقل، لا يزيد عنه في الخروج عن الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة... إلخ[6].

وقال عن الإمام الشوكاني: (يهودي مندس بين المسلمين لإفساد دينهم)[7].

---

(١) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص٢٤٩).

(٢) «تأنيب الخطيب» الكوثري (ص٢٩). (٣) «المقالات» الكوثري (ص٢٨٥).

(٤) «المقالات» (ص٣٢٤).

(٥) انظر: «المقالات» (ص٢٨٥)، و«تبديد الظلام» (ص٧، ٩، ١٦، ١٨، ٨٠، ١١٨، ١٤٠، ١٦٧ وغيرها كثير).

(٦) انظر: «تبديد الظلام» (ص١٠، ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٤٧، ٥٧، ٥٩، ٦٦، ١٧٠، ١٨٢... إلخ).

(٧) «المقالات» (ص٣٣٧).

هذه بعض ألفاظ وكلمات مجدد السقاف وشيخه الكبير الكوثري، والعجيب أن شيخ مشايخ الأستاذ حسن السقاف، وهو أحمد الغماري ألف كتاباً في فضح المجدد الكوثري شيخ السقاف سماه «**بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري**» وبيّن فيه حاله بما يندىٰ له الجبين.

وقد نبّه أحمد الغماري أن هذا نهج الكوثري مع الجميع، حيث قال عنه: (لم يشكر لغير الحنفية نعمة، ولم يرع لهم حرمة، بل جعلهم غرضاً لطعنه)[1].

وقال الغماري رداً علىٰ طعن الكوثري في «كتاب التوحيد» لابن خزيمة، ما يلي: إن كنت تريد المجلد الكبير المسند؛ فهو من أنفس كتب الإسلام، وما كتبه الكوثري قرأته، قبح الله الكوثري، فإنه خبيث مبتدع كذاب فاجر[2]. وقال: (مرادي من نفاسة الكتاب ذكر الأدلة الصريحة لمذاهب السلف مع الأسانيد الصحيحة، والكلام عليها بما يقطع شغب كل مبتدع أشعري من أفراخ الاعتزال)[3].

وذكر في إحدىٰ رسائله ما يلي: وأما الشيخ زاهد الكوثري، فإنه حقاً عدو السنة والسلف الصالح والأئمة؛ إلا الحنفية ومن وافقهم، لفرط تعصبه للحنفية وللجنسية التركية أيضاً، حتىٰ إنه متهم بالشعوبية. . لكن فرط تعصبه أوصله إلىٰ درجة المقت؛ بل درجة الجنون، حتىٰ أنه طعن في مالك، والشافعي، وأحمد، وعبد الرحمٰن بن مهدي، والبخاري. . وهذه الطبقة. بل

---

(١) «بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري»، الغماري (ص٤٤).
أقول: قال علامة الشام محمد بهجة البيطار: (وجملة القول أن هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه، ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه). «الكوثري وتعليقاته» (ص٩٢).

(٢) انظر: «الجواب المفيد» (ص٨٠ ـ ٨١).

(٣) انظر: «الجواب المفيد» (ص٨٠ ـ ٨١).
أقول: وكلام الغماري السابق ينطبق كذلك علىٰ الأستاذ السقاف، لأنه يعتقد أن ابن خزيمة مجسم، وكتابه كتاب تجسيم، فانظر كيف وصف الأستاذ تلميذه! انظر: «السلفية الوهابية»، السقاف (ص١٢٣).

وتكلم في أنس، وأبي هريرة[١].

ويقول أحمد الغماريّ أيضاً عن الكوثري المجدد(!): (وأما الحافظ ابن حجر فإنه يحكي عنه في مجالسه أنه لفرط غرامه بالزنىٰ كان يتبع النساء في الشوارع حتىٰ إنه تبع ذات يوم امرأة ظنها جميلة فلما مدت يدها إليه إذا هي أمة سوداء، فرجع عنها، وقال لها: بيدك فضحتِ نفسكِ)[٢]. قال أحمد الغماريّ: هكذا يتبجح به ويحكيه لكلّ من يجلس إليه[٣].

وقال أحمد الغماريّ عن الكوثري المجدد (!!): (إن القذف لا يصدر إلا من قليل الدين سخيف العقل، فقد كفانا بذلك مؤنة الحكم علىٰ نفسه، إذ كان هو ذلك القاذف لا غيره، فقد قذف الحافظ ابن حجر بالزِّنىٰ، وقذف الحافظ أبا بكر الخطيب باللّواطة، ورماه بشرب الخمر.. ـ كل ذلك ـ شاهد صدق عليه بهذا القذف الفاحش واللمز الممقوت)[٤].

ويقول الغماري في الكوثري: (وطعن في نسب الإمام الشافعي المتفق عليه، وجعله من الموالي لا من قريش، وقال: إنه جاهل بالعربية وبالحديث، ضعيف فيه، جاهل بأحكام الفقه، وإنه خالف الإجماع في أربع مئة مسألة، وابتدع رد الاحتجاج بالمرسل، وإنه لذلك يصح أن يقول فيه المُنتقد ما شاء)[٥].

ويقول أحمد الغماري ـ أيضاً ـ بعد أن سرد كلام الكوثري والذي تكلم في نسب الإمام:

(وهذا مع كونه من رعونات الفسقة السفلة الأنذال فهو كفر كما قال النبي ﷺ، وهكذا يفعل التعصب بأهله يوقعهم في الكفر والكبائر القاضية علىٰ الدين نسأل الله العافية)[٦].

أقول: هذا هو الشيخ الكوثري المجدد عند تلميذه حسن السقاف، هذه

---

(١) انظر: «الجواب المفيد» (ص٤٠).
(٢) «بيان تلبيس المفتري» (ص٥١).
(٣) انظر: «بيان تلبيس المفتري» (ص٥١).
(٤) «بيان تلبيس المفتري» (ص٤٨).
(٥) «بيان تلبيس المفتري» (ص٧٢ ـ ٧٣). وانظر أيضاً كتاب: «بدع التفاسير»، عبد الله الغماري (ص١٨٠).
(٦) «بيان تلبيس المفتري» (ص٧٤).

بألفاظه هو، وبشهادة شيخ من شيوخ السقاف نفسه، وهو أحمد الغماري، الذي قال عنه السقاف: (شيخ شيوخنا الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[1].

ثم انظر ـ أخي القارئ ـ بعد ذلك لشيخ الشيوخ هذا ـ أعني الغماري ـ، وتأمل ألفاظه وكلماته في التعامل مع مخالفيه لتدرك من أين أتي التلميذ حسن السقاف.

يقول الغماري متحدثاً عن تهافت علماء الأزهر علىٰ الدنيا ما يلي:

من المتداول بين علماء الأزهر قولهم: (قيراط ولاية، ولا فدان علم)، وهذه كلمة يريدون بها باطلاً، فإنهم لا يقصدون منها تفضيل حقيقة الولاية علىٰ حقيقة العلم الذي بأيديهم كما هو الواقع؛ وإنما يقصدون بها النفع الدنيوي، والمصالح العاجلة، وهي أن من يشتهر بين العوام بالولاية يقع له نفع كبير من الاعتقاد والحرمة والخدمة وكثرة الأتباع وحصول الجاه والشهرة والظهور بين الخلق، بخلاف من يشتهر بينهم بالعلم؛ فإنه لا ميزة له بين الناس ولا نفع إلا من قبل وظيفته.

وهذا يدلك علىٰ ما وصل إليه الأزهري من الجهل والانحطاط وسقوط الهمة وقصر النظر علىٰ الدنيا، والسعي فيما يقرب إليها، والبعد عن الفضيلة بل وعدم إدراك حقيقتها بالمرة، وذلك هو الذي أسقطهم من عين الله ومن عين عباده حتىٰ صاروا مضرب الأمثال للرذيلة بين السفهاء فضلاً عن الفضلاء.. وشرح حالهم يطول. فلقد شاهدنا منهم العجائب التي يستحي من ذكرها ويترفع النوع البشري عن الاتصاف بها[2].

ويقول أحمد الغماري عن الشيخ **عبد الحي الكتاني** ـ صاحب «فهرس الفهارس» ـ ما يلي:

الشيخ اللوطي الجاسوس، تارك الصوم والصلاة، قاتل الأرواح، سفاك

---

(١) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص١٨٢).

(٢) انظر: «جؤنة العطار»، الغماري (ص٦٣، طريفة ١٠٥).

الدماء، سارق الكتب والأموال، نائك النساء والعيال، قبحه الله، وقطع زبره، وأراح منه الأطياز، وأغرقه في بحور من الخراء.. آمين[1]!!

وقال أيضاً عنه: (عبد الحي الخبيث المجرم، أيها الخنزير، ولو كنت في بلدك فاس لفسوت عليك يابن الكلب، لا والله بل فسوتي أشرف منك يا مؤذي المسلمين، يا عاق، يا زنديق، يا ملحد، يا جاسوس، يا لوطي، يا خنزير)[2].

وقال عنه ـ أيضاً ـ ما نصه: (قحبة فاجرة)[3].

أقول: إذا كان هذا حال شيخ شيوخه، وذاك حال مجدد توحيده، فلا عجب ولا غرابة أن ينتهج الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ منهجهم ويسير علىٰ طريقتهم. نسأل الله أن يرحم جميع موتىٰ المسلمين ويغفر لهم ويتجاوز عنهم.

خامساً: غلو الأستاذ حسن السقاف في تكفير المسلمين.

من يقرأ كتب الأستاذ حسن ـ هداه الله ـ يلاحظ نبرة العدوانية والإقصاء والكراهية بوضوح وجلاء، ويرىٰ مسارعته بل غلوه في تكفير إخوانه المسلمين، وبث روح الكراهية بينهم، وحثهم علىٰ التباغض والتباعد وتشجيعهم علىٰ التحزب والتفرق والاحتراب الداخلي. ومما لاحظته ـ شخصياً ـ غلوه الكبير في مسألة التكفير، ومسارعته إلىٰ ذلك من غير قيود ولا ضوابط،

---

(١) انظر: «كشف الستار المسبلة»، أحمد الغماري (ص٢٧ ـ ٢٨).
أقول: والله إنها لألفاظ يندىٰ لها الجبين، ويتفطر منها القلب، إذ كيف تصدر ممن ينتسب إلىٰ العلم؟!

(٢) «كشف الستار المسبلة»، أحمد الغماري (ص٣١).
أقول: والله إن المرء ليستحي من نقل مثل تلك العبارات المشينة بحق عوام الناس فضلاً عن علمائهم، لكنّا أردنا أن نبيّن للقارئ الكريم حقيقة المدرسة التي تعلم فيها ونهل منها الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ.

(٣) «كشف الستار المسبلة»، أحمد الغماري (ص٣٦).
أقول مكرراً: ليسامحني القارئ الكريم علىٰ نقل هذه النصوص، فأنا مضطر لذلك، لأننا أبتلينا بمن يمجد هؤلاء ويفتخر أنهم شيوخه ومجددي دينه وتوحيده، ثم في المقابل يكفر الأئمة الأعلام؟!

بل إنه قد نصب نفسه خازناً علىٰ أبواب الجنة والنار، يحكم لهذا بالنار، ويعطي ذاك صكاً بالجنة!

وقد مرّ معك أخي القارئ الكريم، كيف أنه صرح بكفر ابن تيمية أمام ملايين المشاهدين، ثم أتبع تلك الطامة بطامة أخرىٰ، حيث منع دخول ابن تيمية إلىٰ الجنة وحكم عليه بالنار، نسأل الله العافية والسلامة.

ولو أنه قدر لي مطالعة كتابات الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ، قبل سماع تكفيره لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما استكثرتُ منه ذلك، فإن من يطلع علىٰ موقعه في الإنترنت وعلىٰ كتبه يجدها طافحة بالتكفير والكراهية، وكي تكون الأمور علىٰ بيّنة أضع بين يدي القارئ الكريم نماذج من أحكام الأستاذ حسن علىٰ المسلمين.

في البداية؛ كان الأستاذ السقاف من غلاة الأشعرية، وكتب كتباً كثيرة في المنافحة عنهم والدفاع عن عقيدتهم، بل بلغ الغلو في ذلك ـ كعادته ـ ولم يترك لنفسه حظية. فحينما رد علىٰ الدكتور سفر الحوالي في كتابه «**تهنئة الصديق المحبوب ونيل السرور المطلوب بمغازلة سفر المغلوب**» مدافعاً ومنتصراً للأشاعرة، ومفنداً قول الدكتور سفر بأن الشافعية لا يرتضون مذهب الأشاعرة، عاب علىٰ الدكتور الحوالي استشهاده بابن سريج الشافعي الذي طعن في الأشاعرة، ثم قال:

(قد ترك الأئمة الذين يعول علىٰ كلامهم ويرجع إليهم حقاً وصدقاً عند الشافعية، كالحافظ البيهقي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي)[1].

ثم وضعَ الأستاذ السقاف عنواناً جديداً باسم (مذاهب الأئمة الأربعة تقول بمذهب الأشعري في العقائد)[2].

ثم أخذ يستدل علىٰ رأيه بنصٍّ للسبكي وبنص آخر لأبي إسحاق الشيرازي، حيث قال:

(قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إمام الشافعية في وقته وصاحب كتاب

---

(١) «تهنئة الصديق المحبوب» (ص١٧). (٢) «التهنئة» (ص١٨).

«المهذب» الذي عليه وعلىٰ شرحه للإمام النووي رحمه الله تعويل الشافعية ما نصه: «فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو كافر...»)[1].

أقول: انظر أخي القارئ كيف يريد الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ إثبات صحة مذهب الأشاعرة بتكفير كل من ليس بأشعري، بل كلام الشيرازي يدل علىٰ كفر كل من سوىٰ الأشاعرة، بل حتىٰ لو خالفهم في بعض مسائلهم العقدية! والعجيب أن الأستاذ السقاف لم يعلق بكلمة علىٰ هذا التكفير المطلق، بل باركه وجعل منه مرجعاً حقاً وصدقاً، وعاب علىٰ الدكتور سفر ترك أمثال هذه الأقوال!

لكنَّ الأمر الأعجب من رضا ومباركة الأستاذ حسن تكفير عموم المسلمين غير الأشاعرة، أنه بعد عشر سنوات ـ تقريباً ـ تغيرت عقيدته، ونقض مجموعة أصول عقدية عند الأشاعرة، بل طعن في إمامهم الأشعري نفسه، وطعن في تلميذه الباقلاني، وطعن في جمهورهم المتأخر، وأخذ يثني ويغازل الشيعة والمعتزلة ويصحح عقائدهم!

ولك أخي القارئ أن تتعجب؛ إذ إن تكفير الأستاذ السقاف كل من لم يكن أشعرياً في السابق، أصبح ينطبق عليه الآن، فسبحان الله ما أعظم هذا التناقض، حيث إنه ارتضىٰ تكفير كافة المسلمين من غير الأشاعرة، وهو اليوم ينقض عقائد الأشعرية، ويحكم علىٰ نفسه بالكفر بناءً علىٰ كلامه هو، نسأل الله السلامة[2]!

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل بالغ الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ

---

(١) «التهنئة» (ص١٩).

(٢) أحمد الغماري الذي يصفه السقاف بأنه شيخ شيوخه يقول: (نعتقد أنهم ـ أي الأشاعرة ـ مبتدعة هم إلىٰ الكفر أقرب منهم للإيمان). «جؤنة العطار» (٣/ ٧٦).
أقول: انظر لهذه الفوضىٰ التكفيرية، التلميذ كان يرتضي كفر من ليس بأشعري، والشيخ يكاد يكفر كل أشعري، ثم التلميذ ينقلب علىٰ الأشاعرة وينقض عقائدهم.. ولله في خلقه شؤون!

في التكفير بشكل لا يصدق، حيث حكم علىٰ كل مجسم بأنه كافر لا مرية ولا تردد في ذلك.

يقول السقاف: (**لا يجوز أن نتهاون مع المجسمة، فالمجسمة كفار بلا مثنوية، والمجسم يعبد صنماً**)[١].

ولعل القارئ الكريم يتساءل ويقول: من هو المجسم في عرف حسن السقاف؟

ويجيب حسن السقاف بلا تردد، فيقول:

(**تنبيه مهم**: لا يشترط في المجسم والمشبه أن يقول: أنا مجسم أو أنا مشبه، كما لا يشترط في إطلاق لفظ المجسم علىٰ إنسان أن يقول: الله جسم كالأجسام. بل لو قال: الله جسم ليس كالأجسام، أو قال: كلاماً معناه التجسيم كمن أثبت لله تعالىٰ ساقاً ورجلاً ويداً وعيناً وجنباً وأصابعاً وكفاً وخنصراً وقبضة وحركة وسكوناً ومجيئاً وجلوساً، ونحو هذه الأمور المشهورة عن المجسمة والمشبهة لا سيما إن أعقبها بقول: «حقيقية» يكون مجسماً ومشبهاً ولا يفيده بعد ذلك «بلا كيف» أو «بلا تشبيه» بعد أن يثبت التشبيه بعينه ومعناه) [٢].

أقول: وعلىٰ هذا الوصف للمجسم فقد كفر الأستاذ السقاف جمهور الأمة، وسلفها الصالح، إلا قلة من المعتزلة والجهمية[٣]!

أما من نصَّ الأستاذ السقاف صراحة علىٰ كونه مجسم فأكثر من أن أحصيهم، لكنني أقدم للقارئ الكريم بعض ضحايا تكفير الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ ويمكنه أن ينظر لمزيد من الضحايا في كتبه ليرىٰ جمهور الأمة وغالب الأئمة منهم!

---

(١) «دفع شبه التشبيه» (ص٢٤٥). (٢) «تنقيح الفهوم العالية» (ص٩٣).

(٣) إذا طالعت كتب الأئمة والسلف الصالح رضوان الله عليهم، أو طالعت جانب العقيدة عند ابن تيمية الذي سوف أعرض شيئاً منه بمشيئة الله، ستجد أن مواصفات الأستاذ السقاف للمجسم تنطبق علىٰ أئمة المذاهب الأربعة، والسلف الصالح؛ بل هذه هي عقيدة الصحابة وجمهور الأمة، باستثناء المعتزلة والجهمية ومن قلدهم.

فقد قال عن إمام الأشاعرة، والإمام أحمد: (الأشعري سائر في ركب أحمد وشيعته المجسمة في الاعتقاد)[1].

وقال عن الباقلاني: (منحرف مجسم ناصبي)[2].

وصف الإمام الدارمي بأنه مجسم[3].

ووصف هؤلاء الأئمة جميعاً بالمجسمة: كاللالكائي، وابن بطة، وابن منده، وابن أبي العز الحنفي، وابن تيمية، وابن القيم[4]. ووصف السلفية بأنها (نحلة)[5]. وقال عن ابن الوزير: (المنحرف المجسم)[6].

ووصف: يحيىٰ بن عمار، وأبا نصر السجزي، وأبا عمرو الداني، وأبا يعلىٰ الحنبلي، والأنصاري الهروي، والشافعي الكرجي، بأنهم مجسمة[7]!

ووصف: ابن شيخ الحزامين، وابن عبد الهادي، وابن ناصر الدين الدمشقي صاحب كتاب «الرد الوافر»، بأنهم مجسمة[8]. ووصف الإمام أحمد بن حنبل بأنه يمدح رواة أحاديث التجسيم والتشبيه[9]. ووصف الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل بالمجسم[10].

وكذلك وصف الإمام الآجري بالتجسيم[11]. ووصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه مجسم، وكذلك أتباعه[12]. وكذلك وصف رضاء الله المباركفوري بأنه من مجسمة العصر[13].

ووصف كلاً من: عبد الكريم الحميد، وعبد الرزاق البدر، وعمرو عبد المنعم، وسليمان العلوان، بأنهم مجسمة[14]. وقال عن ابن باز: (لا

---

(١) انظر: موقعه علىٰ الإنترنت (التنزيه)، تحت عنوان: (الأشعري وكتاب «الإبانة»).

(٢) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٩٨).

(٣) «تنقيح الفهوم العالية» (١٠٧).

(٤) «دفع شبه التشبيه» (ص٧٤).

(٥) «التهنئة» (ص٢، ٣٠).

(٦) «دفع شبه التشبيه» (ص٦١).

(٧) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٩٨).

(٨) «السلفية الوهابية» (ص٤١).

(٩) «السلفية الوهابية» (ص٣٣).

(١٠) «السلفية الوهابية» (ص٣٣، ١٢٣).

(١١) «السفلية الوهابية» (ص٣٦).

(١٢) «السلفية الوهابية» (ص٤١).

(١٣) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٤).

(١٤) «العلو»، تعليق السقاف (ص٥٥).

يعرف التوحيد)[1]. ووصف الدكتور عمر الأشقر بالتجسيم[2].

ووصف المذهب الحنبلي بالتجسيم، حيث قال: (هذا المذهب له آراء عقائدية صريحة في التشبيه والتجسيم)[3].

وقال: (الوهابية أو السلفية هم أتباع المذهب الحنبلي؛ أي: الحنابلة المجسمة النواصب وإن خالف بعضهم المذهب الحنبلي في بعض القضايا، فهم يجتمعون علىٰ عقيدة التشبيه والتجسيم وعلىٰ النصب)[4].

ويقول: (الخلاصة أن اسم السلفية والوهابية هو اسم لفكر واحد)[5].
ثم قال: (الفكر الوهابي السلفي أهم مادة فيه هي: مادة التشبيه والتجسيم)[6].

وقال السقاف: (من أدوار المشبهة والمجسمة السلفية والوهابية المعاصرة: وهي تمثل علماء هيئة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، والألباني وأتباعه وهم كيان فكري واحد)[7].

وكذلك وصف رابطة العالم الإسلامي، وجمعية إحياء التراث في الكويت[8].

وفي نهاية كتابه، وضع الأستاذ السقاف قائمة تحت عنوان: (**قائمة بأسماء أئمة المجسمة والمشبهة والوهابية وبعض الأشخاص الذين يعتنقون الفكر السلفي**)[9].

---

(١) «دفع شبه التشبيه»، تعليق السقاف (ص١٨٨).
(٢) «العلو»، تعليق السقاف (ص١٤).
(٣) «السلفية الوهابية» (ص١٣).
(٤) «السلفية الوهابية» (ص١٩).
(٥) «السلفية الوهابية» (ص٢٠).
(٦) «السلفية الوهابية» (ص٢١).
(٧) «السلفية الوهابية» (ص٥٣).
(٨) انظر: «السلفية الوهابية» (ص١١٩).
(٩) «السلفية الوهابية» (ص١٢٣).
أقول: وضع الأستاذ السقاف بعد هذه الجملة قوله: (ولا يقتضي ذلك الطعن بشخصهم)!! فانظر إلىٰ التناقض الكبير، كيف وصفهم بالتجسيم والتشبيه، وهو الذي يكفر المجسمة بلا مثنوية، ثم يقول: لا يقتضي الطعن بشخوصهم. فأي طعن أكبر من تكفيرهم، واتهامهم بالتجسيم والكفر؟! لكن حينما يخاف الإنسان عقاب الناس أكثر من خوفه عقاب الله يقول مثل هذا الكلام.

ثم سرد قائمة طويلة بأسماء المجسمة انتقي منها ما يلي:

من القدماء: حماد بن سلمة، نعيم بن حماد، ابن أبي عاصم، ابن خزيمة، الخلال، ابن أبي داود، ابن قدامة المقدسي.

ومن المتأخرين: العلامة نعمان الآلوسي، والعلامة عبد الرحمٰن المعلمي، والقنوجي، والعلامة جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والأستاذ محب الدين الخطيب، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ حامد فقي، والوجيه محمد نصيف، والشيخ الألباني، والشيخ زهير الشاويش، والشيخ ابن باز، والشيخ حماد الأنصاري، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ بكر أبو زيد، والشيخ عبد الله بن منيع، والشيخ عبد الله الغنيمان، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، والدكتور علي الفقيهي.. وغيرهم كثير[(١)].

أقول: هذه جملة من أسماء من نصَّ السقاف علىٰ أنهم مجسمة، من القدماء ومن المعاصرين، وقد مرّ معك سابقاً أنه قال: (**لا يجوز أن نتهاون مع المجسمة فالمجسمة كفار بلا مثنوية**). فكل هؤلاء ـ الذين نص علىٰ تجسيمهم في كتبه، والذين ذكرناهم، أو لم نذكرهم هنا ـ كفرة بلا مثنوية عند الأستاذ حسن السقاف، وبصريح العبارة، فإذا أدخلنا معهم كافة المجسمة ـ حسب ما يُفهمه تعريف السقاف للتجسيم ـ كفر بذلك الصحابة رضوان الله عليهم، والسلف الصالح كلهم، وجمهور الأمة. فهل رأيت غلواً في التكفير أعظم من هذا؟!

ومن أعجب الأشياء التي تجدها عند الأستاذ السقاف تناقضه وغلوه مع نفسه ومع شيوخه، ولعل مرد ذلك إلىٰ تتلمذه علىٰ يد شيوخ ينقض بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً، فشيخه الكوثري ـ كما مرّ معك ـ يرىٰ أن كتاب «التوحيد» لابن خزيمة كتاب شرك، وشيخه أحمد الغماري يرىٰ أنه كتاب توحيد حقيقي!

---

(١) انظر: «السلفية الوهابية» (ص١٢٣ ـ ١٣٢).

وهذا هو الأستاذ السقاف يقول عن كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ما يلي: (كان اللائق بابن القيم أن يسميه اجتماع الأكاذيب والموضوعات في معارضة أهل الحق بالترهات والإسرائيليات)[1].

ويصف الكتاب نفسه أيضاً بـ(ما يهذي به بعض المبرسمين من العامة والغوغاء)[2].

ثم يقول الأستاذ السقاف محذراً من مغبة الانخداع بأفكار الوهابية: (مع ملاحظة أن كثيراً من أعداء أو مخالفي الوهابية والسلفية غير مميزين قد اختلط عليهم الحابل بالنابل، فأصبحوا يحملون أفكاراً وهابية ويدافعون عنها وهم لا يشعرون)[3].

بينما شيخ شيوخه أحمد الغماري يقع في الفخ، ويقول: (وعليك بقراءة «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية»، و«اختصار الصواعق المرسلة»، و«رد الدارمي علىٰ بشر المريسي»، و«التوحيد» لابن خزيمة. فإذا قرأت هذه الكتب حزت المبتغىٰ في عقائد السلف)[4].

وقال أحمد الغماري مخاطباً تلميذه العلامة أبا خبزة الحسني:

(وما أشار عليكم به الأستاذ الهلالي من قراءة: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم فقد أسدىٰ به إليكم معروفاً، وقدم إليكم نصحاً خالصاً، فإن ما هو في الكتاب المذكور هو الحق الذي يجب اعتقاده في الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته)[5].

---

(١) «السلفية الوهابية» (ص٤٠).
(٢) «تنقيح الفهوم العالية» (ص٤٦).
(٣) «السلفية الوهابية» (ص٥٧).
(٤) «در الغمام الرقيق»، أحمد الغماري، جمع وعناية تلميذه عبد الله التليدي (ص١٥٧).
(٥) «الجواب المفيد» (ص١١).
أقول: وقد اعترف الأستاذ حسن السقاف ـ بمرارة وألم ـ بهذا الكلام الذي قاله شيخه في موقعه علىٰ الإنترنت، وعلق عليه بقوله: (نخطئ السيد الحافظ أحمد ابن الصديق في قوله مثلاً كما في كتاب «الجواب المستفاد» مخاطباً أبا خبزة الذي صار وهابياً خبيثاً فيما بعد)! انظر: موقع الأستاذ حسن السقاف علىٰ الإنترنت.

أقول: لأي شيء نعجب! لقول التلميذ السقاف بأن الكتاب مجرد هذيان مبرسمين وغوغاء وأكاذيب وترهات، أم لقول الشيخ والأستاذ بأنه مبتغىٰ عقائد السلف، وأنه الحق الذي يجب اعتقاده في الله؟! التلميذ النجيب يحذر من كتب المجسمة، وشيخ الشيوخ يوصي بها، بل ويروج لها، ومع ذلك لا تسمع من التلميذ نقداً لشيخ شيوخه، بل لا ترىٰ له إلا الثناء البالغ. ولله في خلقه شؤون!

أخي القارئ الكريم: المقام يطول لو أردنا أن نتحدث عن تناقضات الأستاذ السقاف ـ هداه الله ـ مع نفسه ومع شيوخه، وتناقضات قدواته وشيوخه مع بعضهم البعض، وفيما قدمناه علىٰ عجالة الكفاية بإذن الله لبيان حال خصوم الإمام ابن تيمية رحمه الله(١).

---

(١) **أقول**: كان الأستاذ حسن السقاف ـ هداه الله ـ أيام مناظرة قناة المستقلة يستعين بأصحابه وخلانه ـ هداهم الله ـ للهجوم علىٰ ابن تيمية والطعن فيه، ومن هؤلاء الأصحاب: سعيد فودة ـ هداه الله ـ الذي كان يساعد الأستاذ السقاف بالمعلومات والنصوص. وقد ظهر للجميع أغاليط تلك النصوص التي كان يستشهد بها السقاف وتدليسها بل وكذب كثيراً منها، ولعل هذا ما حدا بالأستاذ السقاف أن يفارق صديقه سعيد فودة، بل وأن يؤلف فيها كتاباً يطعن فيه ويتهمه بالجهل!

ثم تطورت العلاقات بينهما إلىٰ سباب وشتائم ـ نسأل الله السلامة والهداية لهم ـ وأصبح موقع السقاف وموقع سعيد فودة منبران للتشاتم والتلاعن والسباب، تجاوزوا فيها حدود آداب الخلاف، إلىٰ الطعن في النيات والذمم. وقد ذكر أتباع الأستاذ سعيد فودة أن الأستاذ حسن السقاف ألف كتاباً في الرد علىٰ سعيد فودة ـ بعد مناظرة المستقلة ـ سماه «إحكام التقييد علىٰ أغاليط سعيد المخيّمة علىٰ تهذيب شرح السنوسيّة» وأنه حاول نشره بأحد أسماء تلاميذه، مقابل رشوة، أو بأحد الأسماء المستعارة.

يقول بلال النجار ـ تلميذ سعيد فودة ـ مبيناً ذلك: (ثمّ إنّ حسناً السقّاف الشهير ذائع السيط ـ كذا كتبها ـ كما علمت من بعض الثقات عرض الكتاب علىٰ أكثر من واحد من الناس ليطبع الكتاب باسمهم، وعرض عليهم المال، فما وافق أحد منهم علىٰ أن ينشر الكتاب باسمه).

ويقول بلال النجار ـ أيضاً ـ في حق الأستاذ حسن السقاف: (تتمسّك بجيفة يا حسن.. ماذا فعل بك الشيخ سعيد ليأكل الحقد عليه قلبك! أليس بالأمس كنا نجلس كلّ يوم وقت مناظراتك وندعو لك، ويتّصل بك الشيخ سعيد كلّ يوم يدلّك علىٰ =

وليعلم القارئ أن لدي الكثير عن هذا الشخص ونشاطاته في تفريق صف الأمة وبث روح الفرقة فيها، ولكنه ليس مقصوداً لذاته عندي، ولكني جعلته تمهيداً وقنطرة لهذا البحث الخاص بابن تيمية رحمه الله ليطلع القارئ علىٰ أنموذج معاصر لخصوم ابن تيمية، ويصدق في ذلك قول الشاعر:

والضِدُ يظهر حسنه الضدُ ... وبضدها تتباين الأشياء

أسأل الله العلي العظيم أن يهدي ضال المسلمين، وأن يبصرهم الصراط المستقيم، وأن يوحد بين قلوبهم، وأن ينير بصائرهم بالحق والهدىٰ، إنه علىٰ ذلك قدير.

= مواضع من كلام ابن تيميّة ويشدّ من عزمك. أهكذا يقابل الكرام المعروف يا حسن! أكلّ هذا اللؤم كان لك طبعاً ونحن لا ندري؟!).

وقال: (تقول: إنّ أهل السنّة يقولون بأنّ صفات الله تعالىٰ ملتصقة بذاته، وأنها أبعاض وقطع غيار لذاته. ألا قبّح الله قالتك وقبحه من تشبيه وقبّح قائله. ما لك أجننت يا رجل! هذا أشبه بكلام زنديق وقح لا يبالي بالدين ولا يخاف الله ربّ العالمين، فكيف ترضىٰ أن تلقىٰ الله تعالىٰ وأنت تقوله؟ والله لولا الحياء من الله تعالىٰ لقلت فيك كلاماً ما كنت تحلم أن تسمعه من بشر). انظر: الإنترنت، موقع الأصلين، لسعيد فودة، تحت عنوان: «الرد علىٰ حسن السقاف في كتابه إحكام التقييد».

أقول: من المؤسف حقاً أن تصل علاقة الأخوة إلىٰ هذه الدرجة، وكان حري بهم أن يترفعوا عن الهبوط إلىٰ هذا المستوىٰ، بل والله من العار أن يعلموا تلاميذهم هذه العداوة، ويلقمونهم وصايا التخاصم والتشرذم، فالأمة يكفيها ما فيها، نسأل الله أن يهديهم، ويؤلف بين قلوبهم علىٰ الحق.




المبحث الثاني

في ظِلال سيرة ابن تيمية وشخصيته

سيرة الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ مشهورة ومعروفة، وقد أُلفت فيها الكتب والمجلدات، وبُسطت لها الصفحات. وليس هذا المبحث مخصصاً لعرضها بالبيان والتفصيل، ومن أراد ذلك فليراجع الكتب المختصة التي بسطت ترجمته(١)، وإنما المقصود عرض لمحات ونفحات من سيرته وشخصيته، وشيء من منهجه، ليقف القارئ علىٰ جوانب عظمته وإنصافه وموضوعيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأجدني أؤكد ما صرح به مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي حينما قال وهو يتحدث عن ابن تيمية: (هو أكبر من أن ينبه مثلي علىٰ نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله)(٢).

ومن يطلع علىٰ سيرة ابن تيمية يعلم أن هذا الرجل نسيج وحده، وأنه منذ نعومة أظفاره وهو يحمل نفساً عالية، وهمة جبارة، وعقلية فذة، انصهرت جميعها في بوتقة واحدة، ووجهت نحو خدمة همِّ أمته الإسلامية.

فمنذ وقعت عينه وهو صغير علىٰ آثار انهيار الأمة وتشتتها، وعايش البلاء العظيم الذي حلَّ بها، وسمع من معاصريه أخبار زحف جيوش التتار علىٰ الخلافة، وتدمير حواضرها، وسحق عاصمتها، وتناوش جيوش الصليب لأطرافها، منذ تلك اللحظة وهو يحمل في قلبه الصغير همّاً يؤرقه، وحزناً

---

(١) انظر مثلاً كتاب: «العقود الدرية»، و«الأعلام العلية»، وما صدر مؤخراً ـ وهو من أجمع الكتب لسيرة ابن تيمية؛ وهو ـ كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون»، محمد عزير شمس وعلي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

(٢) «الشهادة الزكية» (ص٤٣). وانظر: «ذيل الطبقات» (٤/ ٤٩٧).

يلازمه، وظل يفكر في سبيل خروج أمته من هذا النفق المظلم، وهذه الحفرة السحيقة التي وقعت فيها بسبب العقائد الخرافية، والأوهام الباطلة، والخلافات الطائفية، والمشاحنات المذهبية، التي فرقت الأمة وشتتتها، وجعلتها نهباً للأعداء في كل مكان.

ومنذ صغره وهو يتوقد ذكاءً وفطنة وألمعية، فجعل همته في الإمساك بحبل الله المتين، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فجعل شغله الشاغل العلم الشرعي، إذ هو المنزل الأول والأساس لانطلاق السائرين في منازل صيانة الأمة وإصلاحها، وهو المدرج الأول للسالكين في تجديد أمر هذه الأمة.

قال الإمام الحافظ البزار: (ولم يزل منذ أبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيراً، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية، حتىٰ برع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار، ولقد سمع غير كتاب علىٰ غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية.

أما دواوين الإسلام الكبار كـ«مسند أحمد»، و«صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«جامع الترمذي»، و«سنن أبي داود» السجستاني، و«النسائي»، و«ابن ماجه»، و«الدارقطني»، فإنه - رحمه الله ورضي عنهم وعنه - فإنه سمع كل واحد منها عدة مرات، وأول كتاب حفظه في الحديث «الجمع بين الصحيحين» للإمام الحميدي، وقلَّ كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه)[1].

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك آية من آيات الله في الحفظ والعلم، حتىٰ قالت العلماء كالذهبي: الحديث الذي لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث. دلالة علىٰ سعة حفظه، وعظيم علمه، وصار علامة بارزة عند العلماء علىٰ إتقان كتاب الله وعلومه، وحفظ السنة وعلومها، فصار نادرة زمانه، وجوهرة عصره في علوم الشريعة.

---

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية»، الحافظ عمر بن علي البزار، تحقيق العلامة زهير الشاويش (ص١٩)، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

قال الإمام الحافظ المزي: (ما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا أتبع لهما منه)[1].

ولم يكن رحمه الله عالماً سلبياً، كسولاً أو خائفاً أو منزوياً في زوايا دور العبادة، بل كان باذلاً ماله ووقته وجهده في سبيل الله وفي سبيل نصرة دين الله، وفي سبيل خدمة عباد الله، لا ينثني ولا يتوانىٰ، فلا يقعده كلام الخصوم وطعنهم فيه وتهويشهم عليه، ولا لمز وسخرية وخذلان الأصحاب، كما لا يزيد من نشاطه مدح المقربين أو أصحاب الجاه، ولا يلجمه عن قول الحق رغبة أو رهبة من سلطان أو غيره.

قال عماد الدين الواسطي: (إن الله تعالىٰ قد رحم هذه الأمة بإقامة رجل قوي الهمة، ضعيف التركيب، قد فرق نفسه وهمّه في مصالح العالم وإصلاح فسادهم، والقيام بمهناتهم، وحوائجهم، ضمن ما هو قائم بصدد البدع والضلالات وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ويردهم إلىٰ الدين الأول العتيق جهد إمكانه)[2].

وكان مع مكانته العظيمة، وقدره الشريف، وخضوع السلاطين له، وكثرة أتباعه، وقوة أنصاره، وتعاطف العامة معه ونصرتهم له؛ في غاية التواضع وغاية البساطة مع عوام الناس، لا يرىٰ لنفسه فضلاً علىٰ أحد، بل كان يجلس مع سائر الناس كأنه واحد منهم، حتىٰ لما كان في سجنه، ما كان يتأفف من مجالسة أصحاب الذنوب والجرائم لنصحهم وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم، بل كان يرىٰ ذلك واجباً عليه، زكاة لعلمه، وتزكية لنفسه.

قال تلميذه الحافظ البزار: (وأما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه

(١) «الرد الوافر»، تحقيق العلامة زهير الشاويش (ص٢٣٠)، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت. «العقود الدرية» (ص٧).
(٢) «العقود الدرية» (ص٣١٩).

بحديثه المستحلىٰ زيادة علىٰ مثله من الأغنياء، حتىٰ إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلىٰ ربه)[1].

وقال الحافظ البزار ـ أيضاً ـ حاكياً تجربته الشخصية مع شيخه ابن تيمية: (وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع، بحيث إنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة، ولا يدع أحداً منا يحملها عنه، وكنتُ أعتذرُ إليه من ذلك خوفاً من سوء الأدب، فيقول: لو حملتُه علىٰ رأسي لكان ينبغي، ألا أحمل ما فيه كلام رسول الله ﷺ؟)[2].

وكان رحمه الله رحيماً بالمسلمين، شفيقاً عطوفاً عليهم، يتلمس حاجاتهم، ويقضي أمورهم، ولا يهنأ له بال وهو يعلم أن أحدهم في ضائقة أو وقع له مكروه؛ بل طالت رحمته أهل ذمة المسلمين، الذين لهم في الإسلام ذمة الله وذمة رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم.

قال ابن تيمية في رسالة بعثها إلىٰ «**سرجون**» ملك قبرس يحثه فيها علىٰ إطلاق سراح المأسورين من المسلمين: (قد عرف النصارىٰ كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرىٰ؛ وأطلقهم غازان وقطلوشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين، قال لي: لكن معنا نصارىٰ أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون.

فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارىٰ الذين هم أهل ذمتنا فإنا نَفْتَكُّهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من شاء الله، فهذا عملنا وإحساننا والجزاء علىٰ الله)[3].

أما زهده وعبادته وورعه فالكلمات والحروف قاصرة عن بيان ذلك، لاشتهار حاله، وظهوره للخاصة والعامة، فقد كان رباني العبادة، قريب القلب من ربه، سريع الدمعة رحمه الله، له جلد عجيب علىٰ العبادة، قلَّ أن يطيقه غيره.

قال الحافظ البزار: (أما تعبده رضي الله عنه فإنه قلَّ أن سمع بمثله، لأنه كان قد

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٤٨).
(٢) «الأعلام العلية» (ص٤٩).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/٦١٧).

قطع جل وقته وزمانه فيه، حتىٰ إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالىٰ ما يُرادُ له لا من أهل ولا من مال.

وكان في ليله متفرداً عن الناس كلهم، خالياً بربه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ضارعاً مواظباً علىٰ تلاوة القرآن العظيم، مكرراً لأنواع التعبّدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليلة وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أَحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام)[١].

ومع علمه وجهاده وورعه وزهده وتقواه، فإنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مجتهداً باذلاً نفسه لخدمة أمته، معرضاً نفسه للأخطار والآفات في سبيل ربه، ثم في سبيل نهضة أمته التي طال رقادها بسبب البدع والمحدثات التي خيمت علىٰ عقول كثير من الأمة، وما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ محباً للشهرة، ولا راغباً في التميز بالشواذ والغرائب، بل كان همه وهدفه الحق أينما كان، ومهما كان ثمنه.

وبسبب ذلك، عارضه أهل التقليد، وكفره أهل الجهل، وبغىٰ عليه أهل الحيف، وهو صابر لا يتزعزع كالجبل الأشم، لأنه ما قال شيئاً وما اعتقد أمراً بالتشهي أو بالهوىٰ، بل كان يعتقد ما يراه يقيناً وحقاً، دله وهداه إليه الدليل النقلي الصحيح، والعقلي الصريح.

قال الحافظ **ابن حجر**: (المسائل التي أُنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي)[٢].

وقال الحافظ **البزار**: (إنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليس له مصنف ولا نص في مسألة ولا فتوىٰ إلا وقد اختار فيه ما رجحه الدليل النقلي والعقلي علىٰ غيره، وتحرىٰ قول الحق المحض، فبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة يثلج قلبه بها، ويجزم بأنها الحق المبين.

وتراه في جميع مؤلفاته إذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه، ويقدمه علىٰ قول كل قائل من عالم ومجتهد، وإذا نظر المنصف إليه بعين

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٣٥).

(٢) «الرد الوافر» (ص٢٤٧)، «الشهادة الزكية» (ص٧٣).

العدل يراه واقفاً مع الكتاب والسنة، لا يميله عنهما قول أحد كائناً من كان، ولا يراقب في الأخذ بعلومهما أحداً، ولا يخاف في ذلك أميراً، ولا سلطاناً، ولا سوطاً، ولا سيفاً، ولا يرجع عنهما لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقىٰ)[١].

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان تأخذه في الله لومة لائم، ولا يأخذ بالتقيَّة خيفة من الناس علىٰ مصالحه ومدخراته الشخصية، فإنه كان يقول بالحق الذي آمن به، ولا يتزعزع ولا يداهن أحداً، ولو اجتمع الناس كلهم لحربه، ولو سلطوا السلاطين عليه، وكتبوا في ذمه التقارير الكيدية، ومكروا به، فإنه ثابت الجنان، ناطق بالحق.

يقول ابن تيمية: (ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه)[٢].

وقال ابن فضل الله العمري: (وكان ابن تيمية لا تأخذه في الحق لومة لائم، وليس عنده مداهنة، وكان مادحه وذامه في الحق عنده سواء)[٣].

ومما زاد غيظ خصومه عليه، ما كانوا يقترفونه من مداهنة السلاطين علىٰ حساب الحق، فيجاملونهم علىٰ حساب دينهم، ويعاونوهم علىٰ ظلم عامة الناس تقرباً لهم وتودداً إليهم، وفي المقابل كان شيخ الإسلام صادحاً بالحق، ناطقاً بالصدق، محامياً عن حقوق فقراء الخلق، مدافعاً عن أرزاقهم، دافعاً الظلم عنهم، مفتشاً عن الفقير المحتاج، باذلاً لقمته إلىٰ فم المساكين!

قال الحافظ البزار: (ولا زاحم في طلب الرئاسات، ولا رئي ساعياً في تحصيل المباحات، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره، خاضعين لقوله وفعله، وادّين أن يتقربوا إلىٰ قلبه مهما أمكنهم، مظهرين لإجلاله، أو أن يؤهل كلا منهم في بذل ماله)[٤].

في المقابل كان حال مبغضيه كما يقول الحافظ البزار: (سبب عداوتهم له أن مقصودهم الأكبر طلبُ الجاهِ والرئاسة، وإقبال الخلق، ورأوه قد رقاه الله

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٧١).
(٢) «العقود الدرية» (ص١٥٢).
(٣) «الشهادة الزكية» (ص٣٣).
(٤) «الأعلام العلية» (ص٤٥).

إلىٰ ذروة السنام من ذلك ما أوقع له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها، وهم عنها بمعزل، فنصبوا عداوته، وامتلأت قلوبهم بمحاسدته)[1].

ولأنهم يعلمون أن العامة والخاصة تحبه، لذا عمدوا إلىٰ الكذب عليه، واختلاق الباطل علىٰ لسانه، ولبس الحق بالباطل، واستعداء أهل الخرافات عليه، ومن ناصرهم من الأمراء، مع أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه عالم مجتهد، آخذٌ بالدليل العقلي والشرعي، لا يقول بهوىً، ولا ينطلق من تشهي، ولا يكتم حقاً اعتقده.

قال ابن تيمية: (وما كتبت شيئاً من هذا ليكتم عن أحد ولو كان مبغضاً)[2].

وقال ابن تيمية: (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل عليَّ، فأستغفر الله تعالىٰ ألف مرة، أو أكثر أو أقل، حتىٰ ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل)[3].

ومع كل ذلك لم يرتدع أهل البغي عن بغيهم وظلمهم وافترائهم علىٰ ابن تيمية، بل حشدوا رعاع الناس، من أهل الخرافات والأهواء ضده، وخاصة من يتاجرون بمراقد ومقابر الأموات، ويجنون من العامة والبسطاء الأموال الكثيرة، فاستمالوا الأمراء الذين يعظمون الخرافة، ويعمرون المقابر ويخربون العمران، وكذبوا علىٰ ابن تيمية عند بقية الناس، وألبوا السلطان عليه، حسداً من عند أنفسهم.

حسدوا الفتىٰ إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً: إنه لدميمُ

ثم تسببوا في سجنه مرات وكرات، وهم لا يرضون إلا بقتله بعد أن كفروه، وأهدر بعضهم دمه، فسجن عدة مرات، ثم جاء سجنه الأخير الذي

---

(1) «الأعلام العلية» (ص٦٩).
(2) «العقود الدرية» (ص٣٨٣).
(3) «العقود الدرية» (ص٥).

مات فيه، فأرادوا أن يمعنوا في إيذائه وهو مسجون، فقاموا بمنعه من الكتابة، ليوقفوا كلمة الحق، حيث صادروا منه أقلامه وكتبه، ووضعوه في زنزانة مظلمة، أضرت ببصره، وكانت مصادرة الأوراق والأقلام أشد شيء علىٰ نفس هذا العالم الكبير، فحرموه من كل شيء حتىٰ من كتابة الكلمة، وهكذا هم أعداء الكلمة الحرة في كل زمان ومكان!

قال ابن عبد الهادي: (فلما كان قبل وفاته بأشهر، ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب ولا ورقة ولا دواة ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلىٰ بعض أصحابه يكتبها بفحم، وقد رأيت أوراقاً عدة بعثها إلىٰ أصحابه وبعضها مكتوب بفحم)[1].

ومع ما كان فيه من ضيق وضنك كان لا يفتر عن التحدث بنعم الله عليه، فكان يكتب لأصحابه وتلاميذه بحمد الله وشكره والثناء عليه.

ومن ذلك آخر رسالة كتبها ابن تيمية قبل وفاته بنحو شهر ونصف، كتبها بالفحم لما أخرجوا عنه الأقلام والأوراق، فاضطر لغسل رسائل تلاميذه التي كانت ترسل له من قبلهم، ثم الكتابة عليه مرة أخرىٰ.

يقول في رسالته تلك: (ونحن ولله الحمد والشكر في نعم عظيمة تتزايد كل يوم، ويجدد الله تعالىٰ من نعمه نعماً أخرىٰ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصاً علىٰ خروج شيء منها لتقفوا عليه، وهم كرهوا خروج الأخنائية ـ أي: كتابه الذي رد فيه علىٰ الإخنائي الصوفي ـ فاستعملهم الله تعالىٰ في إخراج الجميع، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدىٰ ودين الحق.

فإن هذه المسائل كانت خفية علىٰ أكثر الناس، فإذا ظهرت: فمن كان قصده الحق هداه الله ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله)[2].

ثم قال: (والأوراق التي فيها جواباتكم غُسلت، وأنا طيب وعيناي طيبتان أطيب ما كانتا، ونحن في نعم عظيمة لا تحصىٰ ولا تعد والحمد لله

---

(١) «العقود الدرية» (ص٣٧٩ ـ ٣٨٠).
(٢) «العقود الدرية» (ص٣٨٢ ـ ٣٨٣).

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كل ما يقضيه الله تعالىٰ فيه الخير والرحمة والحكمة ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ـ القوي العزيز ـ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠] ولا يدخل علىٰ أحد ضرر إلا من ذنوبه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً علىٰ كل حال، ويستغفر من ذنوبه فالشكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، ولا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[1].

قال ابن عبد الهادي معلقاً علىٰ هذه الرسالة: (وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر في شهر شوال قبل وفاته بنحو شهر ونصف، ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق.. أقبل الشيخ بعد إخراجها علىٰ العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتىٰ أتاه اليقين، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدىٰ وثمانين ختمة انتهىٰ في آخر ختمة إلىٰ آخر اقتربت الساعة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر])[2].

وهكذا أراد خصومه أن يحبسوا كلمته الحرة الصادقة، حتىٰ لا تصل للناس فيتحرروا من سلطان الخرافة، وقيود الأوهام، وأغلال الهوىٰ، حتىٰ وصل بهم الأمر إلىٰ انتزاع الأوراق والأقلام منه، كل ذلك خوفاً ورعباً من كلماته الناطقة بالحق واليقين!

لكنَّ مرادهم خاب وخسر، فهذه هي كلمات الإمام ابن تيمية تملأ العالم كله، وهذه كتبه ولله الحمد تطبع وتوزع في كل مكان، والناس مقبلة برغبة عارمة علىٰ كتبه وكلماته وفي كل فن وعلم.

وهنا أتذكر ما قاله أحد العلماء الأفاضل في زمن ابن تيمية، حينما كتب رسالة إلىٰ تلاميذ شيخ الإسلام بعد وفاته رحمه الله يوصيهم بكتب الشيخ، ويحثهم علىٰ نشر علمه، ويطيب خواطرهم بأن المستقبل للحق بإذن الله.

---

(١) «العقود الدرية» (ص٣٨٢ ـ ٣٨٣).
(٢) «العقود الدرية» (ص٣٨٤).

يقول أحمد بن مري الحنبلي في رسالته: (والله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لنصر هذا الكلام، ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالٌ هم إلىٰ الآن في أصلاب آبائهم، وهذه هي سنَّة الله الجارية في عباده وبلاده)[1].

فتأمل أخي القارئ الكريم كيف ظهر أمر شيخ الإسلام ابن تيمية، وطارت كتبه في الآفاق، ووصلت كلمته إلىٰ أقاصي المشرق والمغرب، ونال مئات من الباحثين الدرجات العلمية في دراسة علمه في شتىٰ الفنون، وكتبت فيه آلاف الكتب، وأصبح اسمه علىٰ كل لسان، وفي المقابل أصبح كثير من أعدائه لا يذكرون بأسمائهم، وإذا ذكروا فإنما يذكرون لاقترانهم بحوادث تعرض لها ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) «الوصية»، ابن مري الحنبلي، تحقيق فهد بن معقد العتيبي (ص١٣٩ ـ ١٤٠)، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، دار بلنسية، الرياض.

المبحث الثالث




عقيدة ابن تيمية وعقيدة أئمة الإسلام

من أخطر الجوانب التي ظُلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وافتري عليه فيها، عقيدته التي صيرها أعداؤه هدفاً لسهامهم، فشككوا في إسلامه، وطعنوا في إيمانه، واتهموه بشتىٰ التهم، كي يسقطوه من أعين الناس!

ولا شك أن أخطر ما يُتهم فيه الإنسان المسلم هو عقيدته، إذ هي أصل الدين، فإذا فسدت فسد كل شيء، فهي ركن عظيم أرادوا أن يهدموه ليهدموا ابن تيمية كلياً، وكان أهم سلاح لديهم في ذلك: الكذب والبهتان، والتزوير، أو التلبيس وخلط الحق بالباطل.

قال الحافظ البزّار: (ولم يزل المبتدعون أهلُ الأهواء، وآكلو الدنيا بالدين، متعاضدين مُتناصرين في عدوانه، باذلين وسعهم في الفتك به، مُتخرِّصين عليه بالكذب الصُراح، مختلقين عليه، وناسبين إليه ما لم يقله ولم ينقله، ولم يوجد له به خط، ولا وُجد في تصنيف ولا فتوىٰ، ولا سُمع منه في مجلس)(١).

وهذه الحقيقة الواقعيَّة أدركها ابن تيمية في حياته، وعانىٰ منها كثيراً، وكانت عقيدته هدفاً لتشكيك خصومه وطعنهم. يقول ابن تيمية لما سأله بعض الأمراء عن عقيدته:

(أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليَّ كما قد كذبوا عليّ غير مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن وداریٰ، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل مجيء التتر إلىٰ الشام)(٢).

(١) «الأعلام العلية» (ص٦٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

وفي كلمة وجهها ابن تيمية إلىٰ بعض الأمراء ومن في مقامهم، يرفع إليهم شكواه من الظلم الذي وقع عليه من خصومه، حيث أكثروا من الوقيعة فيه والكذب والبهتان عليه عند الأمراء، والأمراء صاروا آذاناً لهم تسمع منهم دون أن تسمع من الطرف الآخر، وبيَّن فيها أنه من الظلم والحيف أن تُقصىٰ شهادة الطرف الآخر ولو كان من غير المسلمين، ولا يسمع كلامه، بل يستغنىٰ عنه بكلام خصومه، فضلاً عن كونه مسلماً، ثم بعد ذلك يؤخذ ويرمىٰ في السجن ظلماً وزورا!

يقول ابن تيمية: (فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة، جاء أميران رسولان من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم، وذكرا رسالة من عند الأمراء، مضمونها طلب الحضور، ومخاطبة القضاة لتخرج وتنفصل القضية، وأن المطلوب خرجوك، وأن يكون الكلام مختصراً، ونحو ذلك.

فقلت: سلم علىٰ الأمراء، وقل لهم: لكم سنة، وقبل السنة مدة أخرىٰ تسمعون كلام الخصوم في الليل والنهار، وإلىٰ الساعة لم تسمعوا مني كلمة واحدة، وهذا من أعظم الظلم، فلو كان الخصم يهودياً أو نصرانياً أو عدواً آخر للإسلام ولدولتكم؛ لما جاز أن تحكموا عليه حتىٰ تسمعوا كلامه، وأنتم قد سمعتم كلام الخصوم وحدهم في مجالس كثيرة، فاسمعوا كلامي وحدي في مجلس واحد، وبعد ذلك نجتمع ونتخاطب بحضوركم، فإن هذا من أقل العدل الذي أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ [النساء])[1].

ولما خرج ابن تيمية من سجنه بعث رسالة إلىٰ أصحابه وتلاميذه يشرح لهم فيها حاله مع خصومه الذين استغلوا سجنه في ترويج الأكاذيب والافتراء عليه.

---

(١) «التسعينيّة»، ابن تيمية، تحقيق د. محمد العجلان (١/ ١١٠)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

يقول ابن تيمية: (تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة، والأغاليط المظنونة، والأهواء الفاسدة، وأن ذلك أمر يجل عن الوصف وكل ما قيل من كذب وزور فهو في حقنا خير ونعمة)[١].

ومع ما قيل في حقه رَحِمَهُ اللَّهُ من كذب وزور؛ إلا أنه ثابت الجنان مسدد اللسان، علىٰ يقين من سلامة عقيدته التي نشرها وجهر بها أمام جميع الناس، لا يخشىٰ أحداً ولا يكتم شيئاً ولا يتعامل بالتقيَّة، وهو متيقن أن عقلاء الناس سوف ترجع لكلامه نفسه لا إلىٰ كلام خصومه، ولذا كان منهجه الثابت الذي لا يتغير هو قول الحق، والصدح به في كل مكان وزمان.

يقول: (وما كتبت شيئاً من هذا ليكتم عن أحد، ولو كان مبغضاً)[٢].

وعقيدة ابن تيمية ليست بدعاً من القول وزوراً، وليست عقيدة خاصة به، أو أحدثها من تلقاء نفسه، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ لم يعتقد إلا ما اعتقد به أئمة الإسلام، ولم يؤمن إلا بما آمن به أعلام الهدىٰ، فكان خير خلفٍ لخير سلف، وكان منهجه الاتباع ونبذ الابتداع، ومن يطالع كتبه ومؤلفاته يجده من أحرص الناس علىٰ الانقياد إلىٰ الكتاب والسنة، وعلىٰ تتبع آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأقوالهم الثابتة الصحيحة، والعمل بها واعتقاد ما فيها، وهذا واضح وصريح في قوله وعمله.

يقول ابن تيمية: (ما جمعتُ إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول ﷺ لم نقبله، وهذه عقيدة محمد صلىٰ الله عليه وسلم)[٣].

وقال أيضاً: (ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، يؤخذ من كتاب الله ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٥).

(٢) «العقود الدرية» (ص٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦٩).

ثبت عن سلف الأمة)[١].

وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كثيراً ما يصرح أنه موافق للسلف، متابع لأئمة الهدىٰ، وهو علىٰ هذه العقيدة ثابت مطمئن، يناظر عليها، ويباحث من خالفه فيها.

يقول ابن تيمية: (أنا موافق السلف، ومناظر علىٰ ذلك، وجميع أئمة الطوائف: من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، وأهل الحديث، والصوفية موافقون ما أقوله)[٢].

ويقول أيضاً: (قد أحضرت كتب الأشعري، وكتب أكابر أصحابه، مثل كتب أبي بكر بن الباقلاني، وأحضرت أيضاً من نقل مذاهب السلف من المالكية، والشافعية، والحنبلية، وأهل الحديث، وشيوخ الصوفية، وأنهم كلهم متفقون علىٰ اعتقاد واحد)[٣].

فهاهو يصرح أنه علىٰ عقيدة الأئمة ولم يبتدع شيئاً من عند نفسه، بل هو تابع ومتابع للسلف الصالح، وكثيراً ما يصرح رَحِمَهُ اللَّهُ أن الحق والدليل مطلبه، وقد أعلن مراتٍ عديدة، وبحضور خصومه وأصحابه، أن من عنده شيء من علم أو حق عن السلف، فليخرجه ويظهره، فإن كان حقاً ما يقوله وما ينقله، رجع ابن تيمية إلىٰ ذلك الحق طوعاً ورغبة فيه.

قال ابن تيمية: (كل من خالف شيئاً مما قلته فليكتب بخطه خلافه، ولينقل فيما خالف في ذلك عن السلف، أو يكتب كل شخص عقيدته، وتعرض هذه العقائد علىٰ ولاة الأمور، ويعرف أيها الموافق للكتاب والسنة)[٤].

وقال: (قلت مرات: قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ـ العقيدة ـ ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنىٰ عليها

---

(١) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة»، تحقيق الشيخ زهير الشاويش (ص٨٥)، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة» (ص٩٣).

(٣) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة» (ص٩٠).

(٤) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة» (ص٩٢).

النبي ﷺ حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعليَّ أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، وأهل الحديث، والصوفية، وغيرهم)[1].

وقال مراراً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من جاء بحرفٍ واحدٍ عن السلف بخلاف ما ذكرت، فأنا أصير إليه)[2].

هذا هو منهج ابن تيمية الواضح الجلي في كتاباته، فما كان يعتقد إلا ما وجده في الكتاب والسنة، ووفق فهم الصحابة رضوان الله عليهم، وبنقل السلف الصحيح، وما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول بالتشهي أو بالهوىٰ، بل كان ناطقاً بعقائد السلف، متحدثاً بالمنقول الصحيح عنهم، لا يحيد عن ذلك.

ولما كانت سنة (٧٠٥هـ) سعىٰ فيه بعض خصومه كذباً وزوراً، ورفعوا أمره للسلطان، فورد كتاب منه من الديار المصرية إلىٰ نائبه أمير البلاد: أن امتحن ابن تيمية في عقيدته. فأعدوا له ثلاثة مجالس، وفيها كبار علماء وقضاة الدولة، من أمثال: صفي الدين الهندي، وكمال الدين الزملكاني الشافعي، وصدر الدين بن الوكيل.

وبعد التباحث مع ابن تيمية حول ما كتبه في «**العقيدة الواسطية**» وجدوا أن ما كتبه ابن تيمية ليس إلا معتقد أهل السنة والجماعة، الموافق للسلف.

قال ابن رجب الحنبلي: (ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان، فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرؤوها في ثلاث مجالس، وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك علىٰ أن هذه عقيدة سُنية سلفية)[3].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦٩).
(٢) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة» (ص٩٣).
(٣) «الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، ابن رجب (٢/ ٣٩٦).

وقال ابن رجب: (وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ، وتبين لنا أنه علىٰ عقيدة السلف)[١].

وقال ابن عبد الهادي: (فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يُسأل عن معتقده، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم، فقال: أنا كنتُ سُئلتُ عن معتقد أهل السنة، فأجبت عنه في جزء من سنين، وطلبه من داره فأحضر وقرأه، فنازعوه في موضعين أو ثلاثة منه، وطال المجلس فقاموا واجتمعوا مرتين أيضاً لتتمة الجزء، وحاققوه، ثم وقع الاتفاق علىٰ أن هذا معتقد سلفي جيد)[٢].

ولذلك فإن الزعم بأن ابن تيمية زائغٌ في العقيدة، أو منحرف في باب الأسماء والصفات، أو الزعم بأنه مجسم أو مشبه، كذب ومحض افتراء، بل هو اتهام للإسلام وأئمة الهدىٰ بالزيغ والانحراف، ونصوص ابن تيمية الكثيرة تدحض ذلك وتبدده من أساسه.

أما إن كان المقصود الطعن في عقيدة الأمة كلها، وتسفيه عقائد السلف الصالح، ونبز عقيدة الصحابة بالتجسيم، وتعظيم عقائد اليونان وتسميتها زوراً عقيدة التنزيه، فإن ذلك شيء لا يخص ابن تيمية وحده، بل يشمل الطعن علىٰ خير الأمة وسلفها وأصحاب نبيها صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم!

ومن التهم التي تكرر بين الحين والآخر، اتهام ابن تيمية بأنه **مجسم ومشبه**، وهي تهمة قائمة علىٰ التحامل والكراهية لابن تيمية، وبعيدة كل البعد عن روح الموضوعية والإنصاف العلمي، لأن من يرجع إلىٰ كلام ابن تيمية يجده جلياً في إبطال التشبيه والتمثيل والتجسيم.

يقول ابن تيمية: (إن الله لا كفؤ له، ولا ند له، ولا مثل له، ولا سمي له، فمن قال: إن علم الله كعلمي، أو قدرته كقدرتي، أو كلامه مثل كلامي، أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي، أو

---

(١) «الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، ابن رجب (٢/٣٩٦).
(٢) «العقود الدرية» (ص٢١٢).

استواؤه علىٰ العرش كاستوائي، أو نزوله كنزولي، أو إتيانه كإتياني، ونحو ذلك، فهذا قد شبه الله ومثله بخلقه، تعالىٰ الله عما يقولون، وهو ضال خبيث مبطل بل كافر. . بل مذهب الأئمة والسلف إثبات الصفات، ونفي التشبيه بالمخلوقات، إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل)[١].

ويبين رحمه الله حقيقة اعتقاده في حقيقة (الاستواء) مبطلاً كل المعاني الفاسدة التي قد يتخيلها عقل المعطل القاصر، الذي ما صار للتعطيل إلا بعد أن غرق في مستنقع التشبيه!

يقول ابن تيمية: (ليس معنىٰ ذلك أن الله في جوف السماء، وأن السماوات تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون علىٰ أن الله فوق سماواته علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

وقد قال مالك بن أنس: إن الله في السماء، وعلمه في كل مكان. وقالوا لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربَّنا؟ قال: بأنه فوق سماواته علىٰ عرشه، بائن من خلقه. وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا وهذا. . فمن اعتقد أن الله في جوف السماء محصورٌ مُحاطٌ به، أو أنه مفتقر إلىٰ العرش أو غير العرش من المخلوقات، أو أن استواءه علىٰ عرشِه كاستواء المخلوق علىٰ كرسيه فهو ضال مبتدع جاهل)[٢].

ويقول مبيناً أصل الخلل عند المعطلة: (ومنشأ الضلال أن يُظنّ أن صفات الرب كصفات خلقه، فيظن أن الله سبحانه علىٰ عرشه كالملك المخلوق علىٰ سريره، فهذا تمثيل وضلال)[٣].

ومن جملة الشبهات والمزاعم الباطلة التي أراد بعض خصوم ابن تيمية إثبات التجسيم عليه من خلالها، هو زعمهم أن ابن تيمية يجعل لله حداً حينما

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٨٢).
(٢) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ١٩٨).
(٣) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ٢٠١).

يجعل له جهة، وبهذا يكون الله جسماً محصوراً في مكانٍ معين؛ تعالىٰ الله عن تصور العقول القاصرة!

يقول ابن تيمية: (فإذا قال القائل: إن الله في جهةٍ، قيل له: ما تُريد بذلك؟ أتريدُ بذلك أنه في جهة موجودة تحصرهُ وتُحيط به، مثل أن يكون في جوف السماء؟ أم تريد الجهةَ أمراً عدمياً؟ وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات. فإن أردتَ الجهة الوجودية وجعلت الله محصوراً في المخلوقات فهذا باطل، وإن أردت الجهة العدمية وأردت أن الله وحده فوق المخلوقات بائن منها فهذا حق، وليس في ذلك شيء من المخلوقات حَصَرَه ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها)[1].

وقال ابن تيمية مبيناً موقفه من لفظ (**جسم**) وحكمه فيه:

(إن ذكر لفظ الجسم في أسماء الله وصفاته بدعة، لم ينطق بها كتاب ولا سنة، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها، لم يقل أحدٌ منهم: إن الله جسم، ولا إن الله ليس بجسم، ولا إن الله جوهر، ولا إن الله ليس بجوهر.

ولفظ الجسم لفظٌ مجملٌ، فمعناه في اللغة هو البدن، ومن قال: إنّ الله مثل بدن الإنسان فهو مفترٍ علىٰ الله، ومن قال: إن الله يماثله شيء من المخلوقات فهو مفترٍ علىٰ الله. ومن قال: إن الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يماثله شيء من المخلوقات، فالمعنىٰ صحيح وإن كان اللفظ بدعة. وأما من قال: إن الله ليس بجسم، وأراد بذلك أنه لا يُرىٰ في الآخرة، وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي، بل القرآن العربي مخلوق أو تصنيف جبريل ونحو ذلك، فهذا مفترٍ علىٰ الله فيما نفاه عنه.

وهذا أصلُ ضلالِ الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم علىٰ مذهبهم، فإنهم يُظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل، فيقولون: نحن لا نُجسِّم، بل نقول: إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفيُ حقيقة أسمائه وصفاته)[2].

---

(١) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ٢٠٢).
(٢) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

وقال: (لا يختلف أهل السنة أنَّ الله تعالىٰ ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفّرون المشبهة والمجسمة)[1].

وبعد هذه النصوص الجليَّة الواضحة الظاهرة، كيف يليق بمسلم أن يظلم ابن تيمية، وينسبه إلىٰ التجسيم أو التشبيه، وهو يعلم أن هذه النسبة باطلة لا أساس لها من الصحة؟

ومن فضل الله، أن المنصفين من العلماء وأهل الفكر لا يزالون يشهدون بالحق، وإن غضب من غضب، وإن رغم أنف من خالف، لأن المسلم مسؤول أمام الله عما يقوله في حق عموم الناس، فكيف بخاصتهم وأهل العلم فيهم، ومما يميز أهل العلم هو الشهادة بالحق، والنطق بالصواب وإن خالف الأتباع، وأبغضته النفوس، فالحق أكبر من كل شيء، ومقدم علىٰ كل شيء.

فهذا **الحافظ ابن حجر العسقلاني** يشهد بهذه الحقيقة، وأن ابن تيمية لم يكن إلا عالماً ربانياً لا يقول بالتشهي، ولا ينطلق من هوىً، بل يقول الحق، ويبطل الباطل ومنه التجسيم، وهذه حقيقة ابن تيمية حقاً فأنه لا يصر علىٰ المعتقد مع قيام الدليل علىٰ خلافه، بل يتبع الحق ويذعن للنص الصحيح، ويتابع العقيدة الثابتة التي كان عليها السلف الصالح رضوان الله عليهم.

قال ابن حجر: (المسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي، ولا يصر علىٰ القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً، وهذه تصانيفه طافحة بالرد علىٰ من يقول بالتجسيم والتبري منه)[2].

وممن شهد ببراءة ابن تيمية من التجسيم **الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي**، وهو من متأخري الأشعوية، فقد قال العلامة الألوسي في معرض رده علىٰ ابن حجر الهيتمي حينما اتهم الإمام ابن تيمية بالتجسيم:

(وأما ما رمىٰ الشيخ ابن حجر ابن تيمية به فليس كما قال، بل هو عن

---

(١) «الرسالة المدنيَّة»، ابن تيمية، تحقيق الوليد بن عبد الرحمٰن الفريان (ص٣١).

(٢) «الرد الوافر» (ص٢٤٧)، «الشهادة الزكية» (ص٧٣).

ذلك بمعزل، وبعيد عنه بألف ألف منزل، فتأليفاته وعباراته التي سمعتها قاضية بكذب ما عزىٰ إليه، وكذلك شهادات العلماء حاكمة باختلاف ما زور عليه، فمن ذلك ما قاله الشيخ إبراهيم الكوراني الشافعي في حاشيته المسماة بـ«مجلي المعاني علىٰ شرح عقائد الدواني» ما نصه: ابن تيمية ليس قائلاً بالتجسيم، فقد صرح بأن الله تعالىٰ ليس جسماً في رسالة تكلم فيها علىٰ حديث النزول كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا. وقال في رسالة أخرىٰ: من قال: إن الله تعالىٰ يماثل المخلوقات فهو مفتر علىٰ الله سبحانه)[1].

ثم قال الشيخ **إبراهيم الكوراني**: (بل هو علىٰ مذهب السلف من الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه بليس كمثله شيء. ولكنه قائل بإن الله تعالىٰ فوق العرش حقيقة مع نفي اللوازم. ونقل عليه إجماع السلف)[2].

وهذا شيخ الأزهر (**سليم البشري**) يشهد ببراءة شيخ الإسلام من التجسيم، فقد وُجه سؤال للشيخ البشري عن ابن تيمية، وما يقال عنه من أنه مجسم ونحو ذلك بسبب قوله بالفوقية والعلو. فذكر الشيخ سليم البشري أن هذه الأمور نسبت إلىٰ ابن تيمية، وشنع عليه معاصروه، بل البعض منهم كفره، ثم قال الشيخ: (قد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه، وساق له عبارات أوضح معناها، وأبان غلط الناس في فهم مراده، وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع، وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه)[3].

وهذا الدكتور **محمد رمضان البوطي** قال عندما سُئل عن ابن تيمية:

(ودفاعي عن ابن تيمية ضد الذين كفروه. فالذين كفروا ابن تيمية لم يكفروه لأنه لم يؤول آيات الصفات، وإنما لأنهم نسبوا إليه تهمة التجسيد

---

(١) كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين»، لأبي البركات خير الدين نعمان الألوسي الحسيني (ص٣٨٩).

(٢) «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (ص٣٨٩).

(٣) «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها علىٰ الحركات الإسلامية»، صلاح الدين مقبول أحمد (٢/٥٣٦).

وهذا ما لم أجد دليلاً عليه)[١].

ويقول الدكتور **البوطي** ـ أيضاً ـ مبيناً حقيقة اعتقاد ابن تيمية:

(ونحن نعجب عندما نجد غلاة يكفرون ابن تيمية رحمه الله ويقولون: إنه كان مجسداً، ولقد بحثت طويلاً كي أجد الفكرة أو الكلمة التي كتبها أو قالها ابن تيمية، والتي تدل علىٰ تجسيده فيما نقله عنه السبكي أو غيره، فلم أجد كلاماً في هذا قط، كل ما وجدته أنه في فتواه يقول: إن لله يداً كما قال، واستوىٰ علىٰ العرش كما قال، وله عين كما قال، ورأيت أناساً يكفّرون الإمام أبا الحسن الأشعري لأنهم يقولون: إنه معطل، وإنه متأول، وبحثت ورجعت إلىٰ كتبه وإلىٰ آخر ما كتب وهو كتاب «**الإبانة**» فرأيته هو الآخر يقول كما يقول ابن تيمية، واقرؤوا كتاب الإمام أبي الحسن الأشعري «**الإبانة**» الذي يقول فيه: نؤمن أن لله يداً كما قال، وأنه استوىٰ علىٰ العرش كما قال. إذن فلماذا نحاول أن نعظم وهماً لا وجود له؟ ولماذا نحاول أن ننفخ في نار شقاق؟ والله سبحانه وتعالى سيحاسبنا علىٰ ذلك)[٢].

ويقول الدكتور **(حسن الشافعي)** ـ الأستاذ في كلية العلوم بجامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربيَّة ـ وهو في معرض حديثه عن موقف ابن تيمية من حوادث لا أول لها:

(فهم البعض موقفه هذا علىٰ أنه ذهاب منه إلىٰ قدم العالم، وقد وجه هذه التهمة إلىٰ ابن تيمية أبو بكر الحصني.. وأعتقد أن هذا غير صحيح..

---

(١) المصدر: www.bouti.net وهو موقع الدكتور محمد رمضان البوطي علىٰ الإنترنت.
أقول: ونفس هذا الكلام قاله الدكتور البوطي في قناة المستقلة وهو آخر كلام له في هذه المسألة، حينما طلب الأستاذ حسن السقاف ضرورة مداخلة الدكتور البوطي ظناً منه أن البوطي سيقف معه في غلوه وتجنيه علىٰ أئمة المسلمين، فما كان من الدكتور البوطي إلا أن شهد بشهادة الحق التي أغضبت الأستاذ السقاف، فجعل منها الذنب الذي لا يغتفر للدكتور البوطي، فسلط عليه أتباعه في موقعه علىٰ الإنترنت وجعل من الدكتور البوطي عرضاً له ولأصحابه!

(٢) «ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر» (ص٢٦٤ ـ ٢٦٥).

كل ما يريد الرجل تأكيده هو إثبات أنَّ الخلق دائم ومستمر، ولكن كل موجود ومخلوق فهو مسبوق بالعدم وموجود بقدرة الله وإرادته، وليس مقارناً لخالقه في الوجود، وهذه حقيقة يرىٰ أنها فطرية لا تكاد تحتاج إلىٰ برهنة، فضلاً عن اتفاق أكثر الخلق عليها)[1].

وقد مرّ معك آنفاً كلام ابن تيمية الذي أكد فيه مراراً أنه متبع وليس بمبتدع، وأنه إنما هو تلميذ مخلص للسلف الصالح، ومتابع لهم في العقيدة.

ولتأكيد هذا الأمر، أضع بين يدي القارئ الكريم قطراتٍ يسيراتٍ من كلام أئمة السلف وعلماء المذاهب، وشهادات غيرهم في العقيدة والصفات، لترىٰ بنفسك صدق كلام ابن تيمية، ومطابقة تقريراته لكلامهم رضوان الله عليهم أجمعين[2].

فهذه جملة يسيرة من كلام الأئمة، وشهادات العلماء حول عقيدة السلف في الصفات، وبمقارنتها مع عقيدة ابن تيمية يتضح للعاقل أنهما واحدة:

١ ـ الإمام أبو حنيفة:

قال: (وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالىٰ في القرآن، فما ذكره الله تعالىٰ في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته، أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالىٰ بلا كيف)[3].

---

(١) «الآمدي وآراؤه الكلامية»، حسن الشافعي، دار السلام (ص٣٩٠ ـ ٣٩١). وانظر: كلام الرازي عن مسألة حوادث لا أول لها في كتابه: «الأربعين» (ص٢٩).

(٢) **أقول**: لا يخفىٰ عليك أخي القارئ، أن هؤلاء الأئمة سنذكرهم هنا ـ وما سنذكره هنا إنما علىٰ سبيل المثال لا الحصر، ولا فهم من الكثرة ما لا يحصيهم هذا البحث ـ هم عند الأستاذ حسن السقاف مجسمة ومشبهة، ومن ثَمَ هم كفار ومرتدون عنده، وقد مر كلامه السابق في تعريفه للمجسم الذي ينطبق علىٰ كل هؤلاء، ثم قطعه وعدم تردده في تكفير المجسمة!

(٣) «الفقه الأكبر»، تحقيق د. محمد الخميس (ص٢٧)، مكتبة الفرقان.

٢ ـ الإمام عبد الرحمٰن بن إسماعيل الصابوني:

قال: (ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أنَّ الله ﷻ فوق سبع سماوات وعلىٰ عرشه، كما نطق به كتابه)[١].

٣ ـ أبو الحسن الأشعري:

قال وهو يحكي جملة من عقائد أصحاب الحديث وأهل السنة:

(جملةُ ما عليه أهل الحديث والسنة.. وأن الله سبحانه علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [صٓ: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينان بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن] ـ إلىٰ أن قال ـ وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب)[٢].

٤ ـ القاضي الباقلاني:

قال: (أبواب شتىٰ في الصفات: باب في أنَّ لله وجهاً ويدين. فإن قال قائل: فما الحجة في أن لله ﷻ وجهاً ويدين؟ قيل له: قوله تعالىٰ: لله ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [صٓ: ٧٥]. فأثبت لنفسه وجهاً ويدين. فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون المعنىٰ في قوله: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أنه خلقه بقدرته أو بنعمته؟ لأن اليد في اللغة قد تكون بمعنىٰ النعمة وبمعنىٰ القدرة، كما يقال: لي عند فلان يد بيضاء، يراد به نعمة. وكما يقال: هذا الشيء في يد فلان، وتحت يد فلان، يراد به أنه تحت قدرته وفي ملكه.

ويقال: رجل أيد إذا كان قادراً، وكما قال الله تعالىٰ: ﴿خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يسٓ: ٧١] يريد: عملنا بقدرتنا. وقال الشاعر:

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، الصابوني، تحقيق بدر البدر (ص٣٢)، دار الفتح.

(٢) «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (١/ ٣٤٥ ـ ٣٥٠)، المكتبة العصرية.

إذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فكذلك قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يعني: بقدرتي أو نعمتي.

يقال لهم: هذا باطل لأن قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يقتضي إثبات يدين هما صفة له، فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان. وأنتم فلا تزعمون أن للباري سبحانه قدرةً واحداً فكيف يجوز أن تثبتوا له قدرتين؟ وقد أجمع المسلمون من مثبتي الصفات والنافين لها علىٰ أنه لا يجوز أن يكون له تعالىٰ قدرتان فبطل ما قلتم..

ويدل علىٰ فساد تأويلهم أيضاً أنه لو كان الأمر علىٰ ما قالوه، لم يغفل عن ذلك إبليس وعن أن يقول: وأيّ فضل لآدم علي يقتضي أن أسجد له، وأنا أيضاً بيدك خلقتني، التي هي قدرتك وبنعمتك خلقتني؟ وفي العلم بأنَّ الله تعالىٰ فضل آدم عليه بخلقه بيديه دليل علىٰ فساد ما قالوه.

فإن قال قائل: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة، إذ كنتم لم تعقلوا يد صفة ووجه صفة لا جارحة؟

يقال له: لا يجب ذلك، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً، أن نقضي نحن وأنتم علىٰ الله تعالىٰ بذلك، وكما لا يجب متىٰ كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً أو جسماً، لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك)[1].

٥ ـ شهادة إمام الحرمين الجويني:

قال الجويني معترفاً: (ذهب بعض أئمتنا إلىٰ أنَّ اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالىٰ، والسبيل إلىٰ إثباتها السمع دون قضية العقل)[2].

٦ ـ الحافظ ابن بطال:

قال الحافظ **ابن حجر العسقلاني**: (قوله: باب قوله الله تعالىٰ: ﴿لِمَا

---

(١) «تمهيد الأوائل»، الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر (ص٢٩٥ ـ ٢٩٨)، مؤسسة الكتب الثقافية.

(٢) «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، الجويني، تحقيق أسعد تميم (ص١٤٦)، مؤسسة الكتب الثقافية.

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]. قال ابن بطال: في هذه الآية إثبات يدين لله، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة، وللجهمية من المعطلة، ويكفي في الرد علىٰ من زعم أنهما بمعنىٰ القدرة، أنهم أجمعوا علىٰ أن له قدرة واحدة في قول المثبتة، ولا قدرة له في قول النفاة، لأنهم يقولون إنه قدر لذاته، ويدل علىٰ أن اليدين ليستا بمعنىٰ القدرة أن في قوله تعالىٰ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] إشارة إلىٰ المعنىٰ الذي أوجب السجود، فلو كانت اليد بمعنىٰ القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهم به وهي قدرته)[١].

٧ ـ الشيخ عدي بن مسافر الأموي:

يقول: (وأنَّ الله علىٰ عرشه، بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه، بلا كيف، أحاط بكل شيءٍ علماً وهو بكلِّ شيء عليم)[٢].

٨ ـ الإمام أبو طاهر إبراهيم بن أحمد بن يوسف القرشي، وهو من علماء القرن الخامس الهجري:

يقول: (خالق لسائر المحدثات، مستوٍ علىٰ عرشه، بائن من كل مخلوقاته)[٣].

٩ ـ الإمام ابن عبد البر:

قال: (أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قول الله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو علىٰ العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يحتج به)[٤].

---

(١) «فتح الباري»، ابن حجر (١٣/ ٤٨١).

(٢) «اعتقاد أهل السنة والجماعة»، عدي بن مسافر، تحقيق حمدي السَّلفي وتحسين الدُّوسكي (ص٣٠)، مكتبة الغرباء الأثرية.

(٣) «فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان»، إبراهيم القرشي، عناية زكريا المعناوي (ص٢٤ ـ ٢٥)، مكتبة الغرباء الأثرية.

(٤) «التمهيد» (٧/ ١٣٨).

وقال أيضاً: (أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها من القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة)[1].

١٠ ـ محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني (الأب):

قال: (فهذه نصيحة كتبتها إلىٰ إخواني في الله أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء، لمَّا تعيَّن عليَّ محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله، فإن المرء لا يكمل إيمانه حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه.. وأعرفهم أيدهم الله بتأييده ووفقهم لطاعته ومزيده أنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل:

مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد. وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل. فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله ناطقة مبينة لحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك.

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنىٰ قائماً بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنىٰ القائم.

وممن ذهب إلىٰ هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة مثل بعض فقهاء الأشعرية الشافعيين؛ لأني علىٰ مذهب الشافعي رضي الله عنه عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلىٰ مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم.

---

(١) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أجدها نصوصاً تشير إلىٰ حقائق هذه المعاني وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها.

وأعلم بالاضطرار أنه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم، والجاهل، والذكي، والبليد، والأعرابي، والجافي، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان ﷺ يصف بها ربه لا نصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها، ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، وغير ذلك.

ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفة ربه من الفوقية واليدين وغيرهما، مثل أن ينقل عنه مقالة تدل علىٰ أن لهذه الصفات معاني أُخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المرتبة، ويد النعمة، وغير ذلك..)[1].

ثم ساق الآيات والآثار التي تثبت صفات الله، ثم قال:

(فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال حتىٰ لطف الله بي، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره، وها أنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالىٰ: والذي شرح الله صدري له في حكم هذه المسائل الثلاث: العلو، والفوقية، والاستواء..)[2].

(١) «رسالة في إثبات العلو والفوقية»، تحقيق د. أحمد معاذ حقي (ص٢٩ ـ ٣٣).
(٢) «رسالة في إثبات العلو والفوقية» (ص٦٤).

ثم شرَع في الشرح والبيان إلىٰ أن قال:

(فإذا علم ذلك فالأمر الذي تهرب المتأولة منه حيث أوَّلوا الفوقية بفوقية المرتبة، والاستواء بالاستيلاء، فنحن أشدُّ الناس هرباً من ذلك وتنزيهاً للباري ﷻ عن الحد الذي يحصره فلا يحد بحد يحصره، بل بحد تتميز به عظمته وذاته عن مخلوقاته. . إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلَّصنا من شبه التأويل، وعماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه، وفوقيته، واستواءه علىٰ عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدر ينشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل وعي مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه ولا نقف في ذلك، وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفَّقه الله للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وُقوف فقد وقع علىٰ الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالىٰ.

والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاءِ الشِّيوخ الذين أوَّلوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرَّب إلا ما يليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله استواءً يليق به ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته، بلا تكييف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله به نفسه)[١].

١١ ـ شهادة عضد الدين الإيجي:

فقد عقد عضد الدين الإيجي ـ وهو من كبار علماء الأشاعرة المتأخرين ـ في كتابه مقصداً بعنوان: (في صفات اختلف فيها).

وقال ـ فيما قاله ـ عن صفة الوجه: (أثبته الشيخ ـ يقصد الأشعري ـ في أحد قوليه، وأبو إسحاق الإسفراييني، والسلف صفة زائدة)[٢].

---

(١) «رسالة في إثبات العلو والفوقية» (ص٦٦ ـ ٧٣).

(٢) «المواقف في علم الكلام»، الإيجي (ص٢٩٨).

وقال عن صفة اليدين: (فأثبت الشيخ ـ يعني الأشعري ـ صفتين ثبوتيتين زائدتين، وعليه السلف، وإليه مال القاضي ـ الباقلاني ـ في بعض كتبه)[1].

١٢ ـ شهادة الإمام القرطبي:

قال الإمام القرطبي عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بعد عرضه رأي علماء الكلام، ثم عقيدة السلف الصالح، ما نصه: (كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينظرون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباته لله تعالىٰ كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوىٰ علىٰ عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القدر كاف)[2].

١٣ ـ شهادة ابن رشد الحفيد:

يقول ابن رشد الحفيد: (وأما هذه الصفة ـ أي: العلو ـ فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه؛ حتىٰ نفتها المعتزلة، ثم تبعهم علىٰ نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدىٰ بقوله.

وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] ومثل قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة] ومثل قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ومثل قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي إن سُلِّط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها أنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنيَّة علىٰ أن الله في

---

(١) «المواقف في علم الكلام»، الإيجي (ص٢٩٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، دار الشعب، القاهرة.

السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلىٰ النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتىٰ قرب من سدرة المنتهىٰ، وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع علىٰ ذلك)[1].

ثم يقول: (والشبهة التي قادت نُفاة الجهة إلىٰ نفيها، هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسميَّة. ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان)[2].

وقال أيضاً: (فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنىٰ عليه، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع)[3].

أقول أخي القارئ الكريم: من هذه النصوص[4] نعلم أن ابن تيمية رحمه الله كان متابعاً للسلف الصالح في عقيدتهم في الصفات، وأنه رحمه الله لم يتجنَّ ولم يحف حينما قال مراراً وتكراراً، مبيناً وحدة العقيدة بين أئمة السلف الصالح:

(اعتقاد الشافعي رضي الله عنه هو اعتقاد سلف أئمة الإسلام، كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدىٰ بهم، كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم. فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاعٌ في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه، فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء، واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة

---

(١) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ابن رشد، عناية د. محمد عابد الجابري (ص١٤٥)، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٥).

(٣) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٧).

(٤) **أقول**: إنما نقلنا قلة قليلة من النصوص، ومن أراد الزيادة فليراجع كتاب «العلو»، للإمام الذهبي، أو كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية»، للإمام ابن القيم، أو غيرهما من الكتب التي جمعت تلك النصوص.

والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسنة)[1].

وما أجود ما قاله الإمام العالم العلامة شمس الدين الموصلي الشافعي، حيث أنشد لنفسه هذين البيتين:

إن كان إثبات الصفات جميعها   من غير كيف موجباً لومي
وأصير تيمياً بذلك عندكم   فالمسلمون جميعهم تيمي[2]

وهذا الكلام صحيح ومتين، لأن هذه العقيدة ليست عقيدة ابن تيمية وحده، ولا مختصة به، ولا هو مبتدعها أو محدثها من تلقاء نفسه، بل هي عقيدة أئمة الإسلام رضوان الله عليهم، وعموم الأمة، فمن طعن فيها فإنما هو طاعن في عقائد الصحابة والسلف والأمة، بل هو طاعن في القرآن العظيم والسنة المطهرة، نسأل الله العافية والسلامة.

---

(١) «جامع المسائل» ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ١٩٥).

(٢) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص٣٠٠).

المبحث الرابع

تطور مفهوم التعطيل والتشبيه واضطرابهما

من يتأمل بعمق وهو يدرس تاريخ الفرق والمذاهب في الصفات الإلٰهية عبر التاريخ الإسلامي؛ يجد تطوراً متصاعداً في مفهوم التعطيل الذي يسمىٰ «**تنزيهاً**» وفي مفهوم التشبيه الذي يسمىٰ «**تجسيماً**»، وذلك شأن جميع الأفكار الجديدة والتي يبدأ انحرافها صغيراً ثم يتخذ امتداداً وتوسعاً في تطور مطرد.

فمنذ اللحظة الأولىٰ لتسلل مفاهيم جديدة في التصورات العقلية للصفات الإلٰهية، وذلك بعد امتزاجها بالثقافات والفلسفات الأجنبية ـ كالفلسفات اليونانية الوثنية ونحوها ـ انحرفت تلك العقول في فهمها وتصورها لحقائق الصفات الإلٰهية التي تصرح بها الآيات والأحاديث النبوية، وصارت تحتكم في فهمها للصفات إلىٰ فلسفات أرسطو، وتجعل من تلك الفلسفة البيان والمفسر للآيات القرآنية، فجعلوا كلام أرسطو في الصفات الإلٰهية حاكماً ومهيمناً علىٰ كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ، ولهذا صار عند هؤلاء ظاهر القرآن شركاً ووثنية، وصار كلام أرسطو اليوناني تنزيهاً وتوحيداً لله ـ تعالىٰ الله عما يقولونه ـ ولذا وجب عندهم حمل ظاهر كلام الله علىٰ ظاهر كلام أرسطو، وصار أرسطو هو المبيِّن لكلام الله، والمبطل لكلام رسوله ﷺ أطلقوا علىٰ ذلك مصطلح (التأويل)!

وبطبيعة الحال البشريَّة تفاوتت عقول هؤلاء، وتفاوتت درجات التأويل عندهم، وصار أكثرهم تأويلاً أقربهم للفلسفات الأجنبية، وأبعدهم عن التعطيل هو أقربهم للنص الشرعي وفهمه فهماً منسجماً مع فهم الصحابة رضوان الله عليهم.

فصار تفاوت هؤلاء في التعطيل حسب قربهم وبعدهم من النص

الشرعي، فما يراه فريق منهم أنه تنزيهاً لله يراه الآخر سلباً لحقيقة الصفات الإلـٰهية، وما يراه الفريق الآخر تنزيهاً يراه الآخر تشبيهاً، وهكذا حتىٰ تطور مفهوم «التنزيه» أو «التعطيل» عندهم حتىٰ سلبوا عن الله كل ما أثبته لنفسه، فسلبوا جميع الأسماء والصفات الثابتة عقلاً والمتواترة شرعاً؛ بزعمهم أن هذا هو التنزيه الحقيقي لله، فصار تنزيههم في حقيقته حكماً بالعدم علىٰ الله، تعالىٰ الله عن تصوراتهم القاصرة.

ولأن الأشعريَّة أقرب فرق التأويل إلىٰ النص الشرعي؛ فقد رأت أنَّ من واجب تنزيه الله؛ نفي الصفات عنه إلا سبع صفاتٍ سموها **(صفات المعاني)** أما جمهور المعتزلة ولأنهم أبعد من الأشعرية عن النص؛ فقد رأوا في عقيدة الأشعرية تشبيهاً، ولذا نفوا كل الصفات الإلـٰهيّة وأثبتوا الأسماء مع اختلافٍ بينهم في التفاصيل، ثم لما كان فلاسفة الباطنية أبعد الجميع عن الشرع وألصق بالفلسفة فقد رؤوا في عقيدة الأشعرية والمعتزلة تشبيهاً قبيحاً، وتجسيماً فاضحاً؛ ولذا نفوا الصفات والأسماء جميعاً، وقالوا: ذلك هو التنزيه الحقيقي!

وهنا لا بدّ من الإشارة إلىٰ أنَّ مسألة التعطيل مسألة متطورة بلا ضابط، وأنَّ اتهام المسلمين ـ المتمسكين بهدي الكتاب والسنة ـ بالتجسيم والتشبيه أمر خطير لأنه اتهام للشريعة بذلك، فمسألة الصفات الإلـٰهية مسألة شرعية توقيفية مصدرها الوحي الإلـٰهي، لا الهوىٰ أو العقل. فالوحي هو الذي يبينها ويوضحها، وأنَّ الله لا يضاهيه أحدٌ في بيانه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء] وأنَّه لا يوجد من هو أفصح من رسوله ﷺ، وأنه لم يترك بيان الدين ولا ترك الناس علىٰ ضلالة وعمىً، ولذلك: فمن بيان الشرع يُعرف ما هو التعطيل الحقيقي وما هو التمثيل.

والقاعدة الثابتة في هذا الباب هي: أن الله هو أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله ﷺ أعلم بربه من سائر الخلق، والمؤمن يأخذ عقيدته من كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، ويدع أقوال المتخرصين في صفات رب العالمين، كأمثال المتفلسفة والمتكلمة الذي يستقون عقائدهم من كلام اليونان ونحوهم.

ومن أقبح الأمور أن يصف العبد كلام ربه وكلام رسوله ﷺ بالتجسيم والتشبيه، لأن عقله الناقص القاصر يروم التنزيه المستورد من كلام أرسطو وأضرابه من الأمم الوثنية.

من هذا الباب ناقش ابن تيمية رحمه الله المعتزلة في نفيهم الصفات، حيث قالوا: إن الله حيٌّ بلا حياة، عليمٌ بلا علم. هروباً من التجسيم الذي يستلزمه - بزعمهم - القول: إن الله حيٌّ بحياة، عليمٌ بعلم.

وقد أجابهم ابن تيمية مبيناً أن كلامهم غيرُ مسلم به عند المثبتين وعند النفاة أيضاً، فالمثبتون يرون بطلان لازمهم، والنفاة الذين هم أشد منهم تعطيلاً كالمتفلسفة والقرامطة ونحوهم يرون في تعطيلهم قصوراً، ويرونهم مجسمة ومشبهة!

يقول ابن تيمية مخاطباً أحد المعتزلة: (إن التجسيم الذي تزعمه يلزم في هذا كما يلزم في هذا)[1].

ثم يقول ابن تيمية: (إن خصومك من النُّفاة والمُثبتة يخالفونك في هذا الفرق، فالمُثبتة للصفات يقولون: ليس في الجميع تجسيمٌ، أو التجسيم الذي نفيته ليس بمُنتفٍ. والنُّفاة القرامطة يقولون: التجسيمُ في إثباتِ الأسماء، كالتجسيم في إثبات الصفات)[2].

ثم يبيّن ابن تيمية أن الجهمية وفلاسفة الباطنية قد غلوا في التعطيل الذي يسمونه تنزيهاً؛ فذهبوا إلى القول في الله أنه: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت. وأصبحوا يرون من دونهم في التعطيل مجسمة ومشبهة، وهم وحدهم المختصون بالتنزيه والتوحيد، وقد عابوا على المعتزلة ومن هو دونهم - كالأشاعرة - تجسيمهم، حيث أثبت المعتزلة الأسماء، وأثبتت الأشعرية بعض الصفات، وهم بهذا الصنيع مجسمة عند الفريق الأول[3].

---

(١) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات»، ابن تيمية، تحقيق علي الشبل (ص٣٧ - ٣٨)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار علوم السنة، الرياض.

(٢) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٣٨).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/ ٧٠)، «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١١٩)، «التدمرية» (ص١٦).

وهنا يُلزم ابن تيمية المعتزلة ـ ووفق منهجهم ـ بقول الجهمية والقرامطة، حيث قال: (النُّفاة القرامطة يقولون: التجسيمُ في إثباتِ الأسماء، كالتجسيم في إثبات الصفات)[1].

وهذا الإلزام لازم لهم، لأن عين العلة التي تقتضي التجسيم في إثبات الصفات، هي عين العلة التي تقتضي التجسيم في إثبات بعضها أو في إثبات الأسماء، وإذا كان نفي الصفات تنزيهاً ـ بزعمهم ـ فنفي الأسماء ـ وفق منهج التعطيل ـ تنزيهٌ أيضاً، فالعلة واحدة.

يقول ابن تيمية مخاطباً أحد المعتزلة: (والقرامطة ينازعونك فيما أثبته، حتىٰ في النفس، فيقولون: لا يُقال: هو لا موجود ولا معدوم، لأن في هذا تشبيهاً له بالموجودات والمعدومات)[2].

ثم يبيّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أن ما وقعت فيه الباطنية من تناقض صارخ حين سلبوا عن الله النقيضين زعماً منهم أن ذلك تنزيه، قد وقعت في مثله بعض الفرق الإسلامية طلباً للتنزيه وفراراً من التجسيم بزعمهم.

يقول ابن تيمية: (من قال: لا هو مباينٌ ولا مُحايثٌ ولا داخلٌ ولا خارجٌ، كان بمنزلة من يقول: لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره، ولا قديمٌ ولا مُحدث، ولا موجودٌ ولا معدومٌ)[3].

ولأن التعطيل ـ الذي يسمونه تنزيهاً ـ أمرٌ مرده ومرجعه إلىٰ العقل المتفلسف المغلف بالهوىٰ، فليس له حدود ولا ضابط يمكن أن يُحكم به، وهكذا أخذ التعطيل يتطور باسم التنزيه والتأويل المحرِّف لنصوص الشرع، حتىٰ وصل الأمر إلىٰ تعطيل جميع معالم الشريعة، فهاهم غلاة المعطلة ووفق منهج التعطيل نفسه ذهبوا في التعطيل لما هو أبعد مما ذهب إليه المعتزلة ومن تابعهم.

---

(١) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٣٨).
(٢) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤١).
(٣) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤١).

يقول ابن تيمية: (قال المُتفلسفُ: أنا أتأوَّل هذا كله ـ الأسماء والصفات ـ وأتأوَّل ما ورد في معادِ الأبدان)[1].

بل وصل الحال بالقرامطة إلىٰ تأول العبادات إلىٰ رموز لا حقيقة لها، فأبطلوا حقيقة الصلاة والصيام والحج، وتأولوها إلىٰ معاني رمزية باطلة لا تمت بأي صلة للشريعة[2].

وقد حاول المعتزلة إبطال قول المتفلسفة والباطنية الذين يتأولون معاد الأبدان، فقالوا: (إن معاد الأبدان قد عُلِم بالاضطرار أن الرسول قد أخبر به)[3].

فأجابهم ابن تيمية بالجواب نفسه في مسألة الصفات الإلـٰهية، حيث قال: (والصِّفاتيةُ يقولون: إن إثبات الصفات مما عُلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به)[4].

ثم يبين لهم ابن تيمية اضطرابهم وعدم التزامهم بمنهجهم، فيقول: (إذا تأوَّلتم هذا فتأوَّلوا هذا، أو لا تتأولوا شيئاً)[5].

وهكذا يوضح ابن تيمية أنَّ أصل بلائهم هو في تخبط منهجهم في التأويل وعدم أطرادهم في منهج التعطيل، والذي يصل في نهايته إلىٰ أمور خطيرة علىٰ الدين ككل، كما وصل لها أمثال الباطنية الذين تأوَّلوا كل شيء في الشريعة، فأصبحت كالرموز والخيالات.

يقول ابن تيمية: (وبيَّنا أنَّ هؤلاء أهل التأويلات المبتدعة الذين ينفون الصفات ليس لأحدٍ منهم قانونٌ مُستقيمٌ في التأويل، بل يتناقضون)[6].

وقد حاول أهل التعطيل ـ كالمعتزلة والأشعرية ـ أن يضعوا لهم ميزاناً

---

(١) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٣٩).
(٢) انظر: «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٠).
(٣) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٠ ـ ٤١).
(٤) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤١).
(٥) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٢).
(٦) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٢).

يضبط ما يمكن تأويله وما لا يمكن، فقالوا: (ما دلَّ العقلُ علىٰ إثباته لم نتأوَّله كالإرادة، بخلافِ ما لم يدل علىٰ إثباتهِ كالغضب)[1].

ويرد عليهم ابن تيمية مبيناً اضطراب ميزان العقل الذي يعتمدون عليه، فيقول: (إن العقل يدل علىٰ ما نفيتموه، نظير دلالته علىٰ ما أثبتموه)[2].

ثم يبيّن لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة خطيرة جداً في منهجهم الذي يتعاملون به مع الصفات الإلـٰهية، ويكشف حقيقة موقفهم من النص الشرعي؛ فيقول: (إنكم لم تثبتوا إلا ما علمتم بعقولكم، وما لم تثبته عقولكم نفيتموه، فبقي كلامُ الرسول ﷺ عديمَ الفائدة في باب أسماء الله وصفاته)[3].

ثم يضع ابن تيمية يده علىٰ الداء الذي هو أصل انحراف هؤلاء، فيقول: (ومنشأ الضلال أن يظنّ أن صفات الرب كصفات خلقه، فيظن أن الله سبحانه علىٰ عرشه كالملك المخلوق علىٰ سريره، فهذا تمثيل وضلال)[4].

وهذا كلام متين، فإن أيَّ معطلٍ للصفات الربانية لم يعطل حقيقتها إلا بعد أن ظن بعقله القاصر أن صفات الله تشبه صفات خلقه، فشبه أولاً ثم هرب من التشبيه بالتزام التعطيل الذي يسميه تنزيهاً، فمثله كمثل المستجير من الرمضاء بالنار!

يقول ابن تيمية مبيناً حقيقة مذهب هؤلاء: (وهذا أصلُ ضلالِ الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم علىٰ مذهبهم، فإنهم يُظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل، فيقولون: نحن لا نُجسِّم، بل نقول: إن الله ليس بجسم، ومرادهم بذلك نفيُ حقيقة أسمائه وصفاته)[5].

ثم يضع ابن تيمية قاعدته العقلية الذهبية التي لو عقلها أولئك لما انحرفوا في باب الصفات والأسماء، فيقول: (الكلام في الصفات فرع الكلام

---

(١) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٢).
(٢) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٢).
(٣) «رسالة في النزول والمعية وإثبات الصفات» (ص٤٢).
(٤) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ٢٠١).
(٥) «جامع المسائل»، ابن تيمية، تحقيق محمد عزير شمس (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

في الذات يُحتذىٰ حذوه، ويتبع فيه مثاله. فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف)[1].

ثم يعرج ابن تيمية إلىٰ نقطة أخرىٰ هامة جداً ضل فيها هؤلاء، وهي: أن باب الأسماء والصفات باب يتعامل معه أصلاً بالتسليم والتلقي عن الوحي، وليس للعقل مجالٌ ليحكَّمَ في ذات الله أو في صفاته، بل العقل السليم هو الذي يتلقىٰ عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ صفاته، ويفهمها كما أراد الله ورسوله ﷺ، وكما نقل ذلك الفهم الصحابة رضوان الله عليهم، إذ هذا الباب ليس مسرحاً لعمل العقل وقياساته، أو لتحكيم الفلسفات، بل هذا الباب ونحوه موقوف علىٰ الوحي الإلـٰهي، إذ العقل أعجز من أن يتصور الذات أو الصفات الإلـٰهية.

يقول ابن تيمية: (ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، يؤخذ من كتاب الله ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة)[2].

وبهذا يتضح أنَّ سبب انحراف أهل التعطيل يتمثل في انصرافهم عن كلام الله ورسوله ﷺ، وعن فهم السلف الصالح له، ثم إعمالهم عقولهم فيما لا مجال لها فيه، وطلبهم فهم أصول العقيدة من فلسفات اليونان، حتىٰ أصبح كلام الشرع متشابهاً عندهم، وعقولهم هي المحكمة.

وهذه الحقائق التي بينها ابن تيمية اعترف بها هؤلاء، وأقروا بها في كتبهم وفي كلامهم، فهذا **أحمد التفتازاني الحفيد** وهو من علماء الكلام يعترف بهذه الحقائق، فها هو يقول عن مصدر مبادئ التوحيد عند أهل الكلام: (اعلم أن تلك المبادئ ليست مخالفة للشرع أو العقل، لكنها مما

---

(١) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة»، تحقيق الشيخ زهير الشاويش (ص٧٠).
(٢) «مناظرة ابن تيمية في عقيدته الواسطيَّة»، تحقيق الشيخ زهير الشاويش (ص٨٥).

استخرجها الفلاسفة أولاً، ودونوها في علومهم التي بعض مسائلها لا تطابق الشرع وإن لم يقصدوا المخالفة، ثم تبعهم المتكلمون. ودعوىٰ أن المتكلمين استخرجوها من عند أنفسهم بلا أخذ؛ مكابرة)[1].

فانظر ـ أخي القارئ ـ كيف أصبح الفلاسفة هم مصدر مبادئ توحيد رب العالمين، الذي يسمونه (علم الكلام) الذي هو عندهم أشرف العلوم وأجلها!

أما الجد **سعد الدين التفتازاني** فيقول مبيناً قصة اختلاط عقائد الفلاسفة بتوحيد المتكلمين: (لما نُقلت الفلسفة إلىٰ العربية وخاض فيها الإسلاميون، حاولوا الرد علىٰ الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفة، ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها، وهلم جراً إلىٰ أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلـٰهيات، وخاضوا في الرياضيات حتىٰ كاد لا يتميز عن الفلسفة، لولا اشتماله علىٰ السمعيات، وهذا كلام المتأخرين)[2].

ومن تلك المبادئ والمفاهيم التي أخذها أهل الكلام عن الفلسفة والفلاسفة اليونان، واختلطت بعقائدهم: الحد، والتحيز، والجهة، والتركيب، والجسم، والقِدم والحدوث، وغيرها من المصطلحات والمبادئ التي حقيقتها إبطال نصوص الشريعة، وسلب معانيها الصحيحة.

ولذا تجدهم في نهاية المطاف قد تصادموا مع نصوص الكتاب والسنة التي لم تأت بتلك المبادئ الفلسفية بل أتت بنقيضها، فوقعوا في حيرة أمام نصوص الشريعة التي لم تؤيد مبادئهم تلك، وتخبطوا في توجيه ذلك، حتىٰ انتهوا إلىٰ اتهام نصوص القرآن والسنة بأمور خطيرة، في مقابل تنزيه المبادئ الفلسفية واعتبارها الدين الحق!

ويقول **سعد الدين التفتازاني**: (فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيز والجهة، فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا

---

(١) «الدرّ النضيد من مجموعة الحفيد»، دار الكتاب العربي (ص١٤٥).

(٢) «شرح العقائد النَّسفيَّة»، التفتازاني، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية (ص١٢).

تحصىٰ بثبوت ذلك؟ من غير أن يقع في موضع منها تصريح بنفي ذلك)[١].

ويجيب التفتازاني علىٰ هذا السؤال؛ فيقول:

(أجيب: بأنه لما كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة حتىٰ يكاد يجزم بنفي ما ليس في الجهة، كان الأنسب في خطاباتهم والأقرب إلىٰ اصطلاحهم والأليق بدعوتهم إلىٰ الحق؛ ما يكون ظاهراً في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات، مع تنبيهات دقيقة علىٰ التنزيه المطلق عما هو من سمات الحدوث)[٢].

أقول: انظر كيف جعل الدين الحق هو تلك المبادئ الفلسفية، ثم انظر كيف جعل كلام الله ظاهراً في التشبيه! وهذا ظاهرٌ من كلامه، وكلام غيره من أهل الكلام والتفلسف، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وهذا **السنوسي** ـ وهو من كبار الأشاعرة المتأخرين ـ يرىٰ أن طريق الحق ليس محصوراً في القرآن والسنة، بل إن القرآن والسنة لا يحتج بهما إلا بعد معرفة مبادئ الفلسفة ـ التي يسميها النظر العقلي ـ حتىٰ يميز الباطل الذي اشتمل عليه ظاهر القرآن!!

يقول: (وأما من زعم أن الطريق بدأ إلىٰ معرفة الحق: الكتاب والسنة، ويحرم سواهما، فالرد عليه: أن حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، أيضاً فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها علىٰ ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع)[٣].

ويقول أيضاً: (أصول الكفر ستة ـ وبعد أن عددها قال ـ سادساً: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها علىٰ البراهين العقلية والقواطع الشرعية، للجهل بأدلة العقول، وعدم الارتباط بأساليب العرب، والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من

---

(١) «شرح المقاصد»، سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الرحمٰن عميرة، عالم الكتب (٤/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) «شرح المقاصد» (٤/ ٥٠ ـ ٥١).

(٣) «شرح عقيدة التوحيد الكبرىٰ»، السنوسي (ص٥٠٢).

غير بصيرة هو أصل ضلالة الحشوية)[1].

فدخول تلك المبادئ الفلسفية الفاسدة علىٰ عقائد هؤلاء، جعلتهم يسيئون الظن في نصوص القرآن ويحسنونه في فلسفة اليونان، وصارت عقيدة الإسلام الصافية السهلة اليسيرة، صعبة عسيرة فلسفية، وجعلوا مقدماتهم الفلسفية الصعبة هي أول واجب علىٰ المكلف، وكفروا من لم يعرفها، فصيروا سماحة العقيدة الإسلامية طلاسم وتعقيدات يونانية، نبذها عامة الناس، وصارت عقائد الإسلام حكراً علىٰ شرذمة قليلة من المتفلسفة وأهل الكلام.

وقد كان السلف الصالح، وأئمة الإسلام، والناس يؤمنون بما جاء به القرآن والسنة، ويسلمون بهما، ولا يقدمون كلام أحد علىٰ كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ، حتىٰ تُرجمت كتب الوثنيين اليونان، وسُربت إلىٰ الناس، ثم دخلت في عقائد أهل الكلام، وهذه حقيقة يعترف بها أهل الكلام أنفسهم، ويعترفون أن الأئمة الأوائل لم يكونوا يعطلون الصفات الإلـٰهية عن حقائقها.

يقول **الجويني**: (ذهب بعض أئمتنا إلىٰ أنَّ اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالىٰ، والسبيل إلىٰ إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين علىٰ القدرة، وحمل العين علىٰ البصر، وحمل الوجه علىٰ الوجود)[2].

ويقول **القرطبي** عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مستعرضاً رأي علماء الكلام، وعقيدة السلف الصالح في الاستواء، ما نصه:

(كان السلف الأول ﵃ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينظرون بذلك، بل

---

(١) «حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين» (ص٢١٩).

(٢) «الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، الجويني، تحقيق أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية (ص١٤٦).

أقول: بعد أن استقرت عقيدة الأشعرية علىٰ طريقة الجويني ومن جاء بعده، ناصرها بعض السلاطين ـ جاهلاً أو عالماً بحقيقتها ـ وفرضوها علىٰ الناس فرضاً، وبقوة الحديد والنار، وبحد السيف، ومن خالفها أريق دمه بلا هوادة أو تردد، فامتحنوا الناس في هذه العقائد الدخيلة، وعذبوهم عليها!

نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالىٰ كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوىٰ علىٰ عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم يعني في اللغة، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها)[1].

وقال عن مذهب أهل الكلام أنه يقوم علىٰ: (تنزيهه تبارك وتعالىٰ عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم، لأنه يلزم من ذلك عندهم متىٰ اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم علىٰ المكان والحيز والحركة والسكون للمتحيز والتغير والحدوث، هذا قول المتكلمين)[2].

وهكذا، ومنذ أن دخلت تلك الفلسفات في المجتمع الإسلامي حتىٰ مزقته وفرقته وبثت فيه الشكوك والاختلافات العقدية، وزهدت فريقاً من المسلمين بنصوص الشريعة، وجرأت طائفة أخرىٰ علىٰ إعمال التأويل الفاسد في نصوص الكتاب والسنة كي يتوافقا مع كلام الفلاسفة، ظناً منهم أنهم سيحققون التنزيه، ويجتنبون التجسيم والتشبيه، وهم في الحقيقة قاموا بتعطيل حقائق القرآن علىٰ حساب أوهام اليونان[3]!

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»، الإمام القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ، دار الشعب، القاهرة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٣) محاولة الأشعرية تنزيه الله عن طريق سلوك طريق الفلاسفة، جعلهم يعطلون جملة من صفات الله تبارك وتعالى عن حقائقها، ويعمدون إليها بالتأويل الفاسد المبطل لمعانيها الحقيقية، وهذا ما حدا بشيخ شيوخ الأستاذ حسن السقاف وهو (أحمد الغماري) أن يقول عن الأشاعرة قولاً عجيباً مُستغرباً، وهذا نصه:

(نحن لا نرىٰ كفرهم، ولكن نعتقد أنهم مبتدعة، هم إلىٰ الكفر أقرب منهم إلىٰ الإيمان، وأن ربهم الذي يتكلمون عليه، ويصفونه في عقائدهم ليس هو الله الذي لا إلـٰه إلا هو، بل هو رب خاص بمعتقدهم، لا يرضىٰ أحد منهم في الحقيقة أن يتصف بما يتصف به ربه من تلك النقائص والعيوب، التي هي صفات الجمادات والموات، وإن زعموا أنها تنزيهات عقلية). «جؤنة العطار» (٣/ ٧٦).

أقول: قارن بين قول الشيخ أحمد الغماري الذي هو شيخ شيوخ حسن السقاف، وبين =

ومع محاولة الأشاعرة الحثيثة للهروب من التجسيم والتشبيه ـ المزعوم ـ وتقديمهم التنازلات الكثيرة علىٰ حساب نصوص الشريعة، إلا أنهم لم يسلموا ـ مع تعطيلهم لبعض الصفات ـ من التجسيم والتشبيه عند طائفة أخرىٰ من طوائف التعطيل وهم المعتزلة ومن تابعهم وقلدهم في الأصول كالزيدية والإباضية والإمامية، الذين وصفوا الأشعرية بالتجسيم والشرك بسبب إثباتهم بعض الصفات!

فهذا **رجب البرسي** ـ أحد علماء الإمامية ـ يقول: (وأما الإمامية الاثنا عشرية، فإنهم أثبتوا لله الوحدانية، ونفوا عنه الإثنينية، ونهوا عنه المثل والمثيل، والشبه والتشبيه، وقالوا للأشعرية: إن ربنا الذي نعبده ونؤمن به ليس هو ربكم الذي تشيرون إليه، لأن الرب مبرأ عن المثلات، منزه عن الشبهات، متعال عن المقولات)[1].

ويقول العالم الإمامي الشيعي **المازندراني**: (إن كثيراً من محدثي العامة والكرّامية بل الأشاعرة يثبتون له تعالىٰ صفات الجسم ولوازم الجسمية ويتبرؤون من التجسيم، مثلاً يقولون: إنه علىٰ العرش حقيقة، وإنه يُرىٰ في الآخرة، ورآه نبينا ﷺ بعيني رأسه، وإنه ينزل في كل ليلة جمعة ولكن ليس جسماً، وهذا تناقض يلتزمون به ولا يبالون، وهذا يدل علىٰ عدم تفطنهم لكثير من اللوازم البينة أيضاً، وعندنا هو عين التجسيم)[2].

وقد نسبَ **نصير الدين الطوسي**، **والحليّ**، **ومحمد حسن ترحيني** إلىٰ الأشاعرة التعدد في ذات الله، حيث زعموا أنه يلزم الأشعرية من مذهبهم في

= قول ابن تيمية في الأشاعرة حيث قال عنهم: (إنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلىٰ السنة والجماعة، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلىٰ مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم). «نقض التأسيس» (٢/ ٨٧).

(١) «مشارق أنوار اليقين»، البرسي، تحقيق علي عاشور (ص٣٣٧)، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) «شرح أصول الكافي»، المازندراني (٣/ ٢٠٢).

الصفات وجود قدماء مع الله في الأزل، وهذا شرك وتعدد[1].

ولهذا يحكم العالم الإمام الشيعي **نعمة الله الجزائري** علىٰ الأشعرية بالكفر، بل ويجعلهم في درجة أقل من المشركين الأصليين. يقول: (الأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار.. فالأشاعرة ومتابعوهم أسوء حالاً في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارىٰ.. فمعرفتهم له سبحانه علىٰ هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار)[2].

بل ذهب زعيم التصوف **ابن عربي** إلىٰ أن الأشعرية مشبهة ومجسمة، حيث يقول: (إن الأشاعرة تخيلت أنها لما تأوّلت قد خرجت من التشبيه وهي ما فارقته إلا أنها انتقلت من التشبيه بالأجسام إلىٰ التشبيه بالمعاني المحدثة المفارقة للنعوت القديمة في الحقيقة والحد، فما انتقلوا من التشبيه بالمحدثات أصلاً، ولو قلنا بقولهم لم نعدل مثلاً من الاستواء الذي هو الاستقرار إلىٰ الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا، ولا سيما والعرش مذكور في نسبة هذا الاستواء، ويبطل معنىٰ الاستيلاء مع ذكر السرير، ويستحيل صرفه إلىٰ معنىٰ آخر ينافي الاستقرار، فكنت أقول: إن التشبيه مثلاً إنما وقع بالاستواء، والاستواء معنىٰ لا بالمستوىٰ الذي هو الجسم، والاستواء حقيقة معقولة معنوية تنسب إلىٰ كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات، ولا حاجة لنا إلىٰ التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره فهذا غلط بيّن لا خفاء به)[3].

---

(١) انظر: «شرح الإشارات والتنبيهات»، الطوسي، تحقيق سليمان دنيا (٣/ ٧٠)، الطبعة الثالثة، دار المعارف. «الرسالة السعدية»، الحلي، عناية محمود المرعشي، عبد الحسين محمد علي بقال (ص٥٠ ـ ٥١). «الإحكام في علم الكلام»، السيد محمد حسن (ص٢٥)، دار الأمير للثقافة والعلوم.

(٢) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٨).

(٣) «الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية»، محيي الدين ابن عربي الطائي، عناية محمد المرعشلي (١/ ٨٣ ـ ٨٤)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وهكذا لم ينفع الأشعرية تعطيلهم عند فرق المعطلة الأخرىٰ، كالمعتزلة ومن تبعهم في الأصول، بل هم مجسمة في نظرهم!

وكذلك المعتزلة لم ينفعهم تعطيلهم[١]، ولم يظفروا بالتنزيه المزعوم، فها هم فلاسفة الباطنية والقرامطة يرون المعتزلة ومن تبعهم مجرد مشبهة ومجسمة لا غير!

فالإسماعيلية والقرامطة والفلاسفة ذهبوا إلىٰ أن الأشاعرة والمعتزلة ومن تابعهم كالزيدية والإمامية والإباضية كلهم مجسمة ومشبهة، ولم يذوقوا طعم التنزيه الحقيقي والصحيح، بل غرقوا في وحل تشبيه الله بخلقه، وتجسيمه!

فالإسماعيلية يرون نفي جميع الصفات والأسماء الإلٰهية، ويرون أنَّ هذا هو التنزيه الصحيح، ووصل بهم الغلو إلىٰ أن قالوا عن الله: لا يقال: موجود ولا غير موجود!

وهم ينطلقون في إنكارهم هذا إلىٰ اعتقادهم أن الله - في نظرهم - فوق متناول العقل بأي شكل من الأشكال، فهو لا موجود ولا غير موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، ليس بالقديم وليس بالمحدث.

فهذا هو الداعي الإسماعيلي **(إبراهيم بن الحسين الحامدي)** في كتابه السريّ «**كنز الولد**» قد خصص الباب الأول لهذا الموضوع، ووضعه تحت عنوان: (في القول علىٰ التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل) وسرد فيه عقيدة القوم السالفة.

وينقل هذا الداعي الإسماعيلي الحامدي عقيدتهم في الله التي يسمونها تنزيهاً؛ عن أحد أئمته فيقول: (الحمد لله الذي لا يدركه من لا تدركه الأبصار، ولا يحصره من لا تحصره الأفكار، الذي دون تناوله للأفكار أستار، أو لإقدام الأوهام زلل وعثار، فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا

---

(١) انظر ما كتبه المعتزلة في وصف الأشاعرة بالتشبيه والتجسيم في: «المغني»، للقاضي عبد الجبار، و«شرح الأصول الخمسة»، للقاضي عبد الجبار، و«رسائل العدل والتوحيد» جمع د. محمد عمارة، وغيرها.

صفة، ولا يومأ إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه: حيّاً، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تاماً، ولا فاعلاً)[1].

وقال **الكرماني**: (إنه تعالىٰ لا ينال بصفة من الصفات)[2].

ويقول الداعي الإسماعيلي **علي بن محمد الوليد**: (إنّ وضع التسمية عليه محال، إذ كانت التسمية إنَّما جعلت وسماً يوسم بها المخلوقات، ليكون الخلق بها فصولاً، يتميّز بها كلّ صورة عن الصورة الأخرىٰ، حتىٰ ينحفظ كلّ صنف منه)[3].

ويقول ـ أيضاً ـ **علي بن محمد الوليد**: (إنّ نفي الصفات عنه معتقد صحيح، لا يسوغ تركه)[4].

وذهبت الإسماعيلية إلىٰ نفي الصفات والأسماء عن الله علىٰ الإطلاق، واكتفت في مقام معرفته سبحانه بالقول بهوية مجردة عن كل شيء، حتىٰ صفات الكمال والوجود!

ولهذا نرىٰ أنّ **الداعي الكرماني** يعترض علىٰ المعتزلة الذين قالوا بنفي الصفات؛ قائلاً:

(المعتزلة قالوا بأفواههم قول الموحدين، واعتقدوا بأفئدتهم اعتقاد الملحدين، بنقضهم قولهم أوّلاً بأنّ الله لا يوصف بصفات المخلوقين، بإطلاقهم علىٰ الله ﷻ ما يستحقه غير الله تعالىٰ، من الصفات من القول بأنّه حيٌّ قادرٌ، عالمٌ، وسائر الصفات، نعوذ بالله)[5].

وهذا هو **ابن سينا** المشائي تفلسفاً، والإسماعيلي مذهباً، يوضح الأمر بجلاء لا لبس فيه، فيقول: (أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد

---

(١) «كنز الولد»، الحامدي، تحقيق مصطفىٰ غالب، (ص١٣)، دار الأندلس.
(٢) «راحة العقل»، أحمد حميد الدين الكرماني (ص١٣٥).
(٣) انظر: «تاج العقائد ومعدن الفوائد» (ص٢٦).
(٤) «تاج العقائد ومعدن الفوائد» (ص٢٧).
(٥) «راحة العقل»، الكرماني (ص٥٢ ـ ٥٣).

وهو: أن الشرع والملل الآتية علىٰ لسان نبي من الأنبياء، يرام بها خطاب الجمهور)[1].

ثم يقول: (ولهذا ورد التوحيد تشبيهاً كله، ثم لم يرد في القرآن من الإشارة إلىٰ هذا الأمر الأهم ـ يقصد تنزيه المتفلسفة ـ شيء، ولا أتىٰ بصريح ما يحتاج إليه من التوحيد بيان مفصل، بل أتىٰ بعضه علىٰ سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه تنزيهاً مطلقاً عاماً جداً لا تخصيص ولا تفسير له.. وإذا كان الأمر في التوحيد هكذا؛ فكيف فيما هو بعده من الأمور الاعتقادية)[2].

ويقول: (فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون، مقرباً ما لا يفهمون إلىٰ أفهامهم، بالتشبيه والتمثيل، ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع ألبتة)[3].

فهذا كلام واضح لا لبس فيه، يبين حقيقة عقيدة أهل التعطيل في كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ، وكيف جعلوا نصوص الشريعة نصوص تشبيه وتجسيم، وأنها لم تأت بالحقائق بل أتت بأوهام تتناسب مع عقل السذج والأغبياء من العوام، وأن الحقائق الناصحة أتىٰ بها الفلاسفة وخص بها الخلص من الخواص فقط!

ولذا يتبين لك ـ أخي القارئ ـ أن الاسترسال في مذهب ومنهج هؤلاء يؤدي إلىٰ هدم أصول الدين ونقض معالمه باسم التأويل والتنزيه، سواء بحسن قصد أو بسوء قصد، وهذه حقيقة شهد بها عقلاء الناس. وأي حق يؤخذ من الشريعة إذا كانت نصوص الكتاب والسنة أصلاً للشرك والكفر والتشبيه والتجسيم؟!

وهذا هو الفقيه والفيلسوف المعروف **(ابن رشد)** وهو لا يحسب ألبتة علىٰ المدرسة السلفية، يشهد بتلك الحقائق، وينعي علىٰ أهل الكلام إفسادهم

---

(١) «رسالة أضحوية في أمر المعاد»، ابن سينا، تحقيق د. سليمان دنيا (ص٤٤)، دار الفكر العربي.
(٢) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» (ص٤٥).
(٣) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» (ص٥٠).

للنصوص الشرعية بما أدخلوا عليها من تأويلات باطلة، وأن ذلك إبطال كامل لمضامينها.

يقول: (إذا أُوِّلت ـ أي: نصوص الصفات ـ فإنما يؤول الأمر فيها إلىٰ أحد أمرين: إما أن يُسَلَّط التأويل علىٰ هذه وأشباه هذه في الشريعة، فتتمزق الشريعة كلها، وتبطل الحكمة المقصودة منها، وإما أن يقال في هذه كلها: إنها من المتشابهات، وهذا كله إبطال للشريعة ومحوٌ لها من النفوس، من غير أن يشعر الفاعل لذلك بعظيم ما جناه علىٰ الشريعة)[1].

ويقول أيضاً: (وأما هذه الصفة ـ أي: العلو ـ فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه؛ حتىٰ نفتها المعتزلة، ثم تبعهم علىٰ نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدىٰ بقوله)[2].

ثم يقول: (والشبهة التي قادت نُفاة الجهة إلىٰ نفيها، هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسميَّة. ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم، فإن الجهة غير المكان)[3].

---

(١) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، ابن رشد، عناية د. محمد عابد الجابري (ص١٤١)، مركز دراسات الوحدة العربية.

أقول: هذا اعتراف من الفيلسوف ابن رشد بأن منهج المتكلمة في حقيقته إبطال للشريعة، وأن الزعم بأن نصوص الشرع متشابهات إبطال لها، كما أن تأويلها وفق منهجهم ـ أيضاً ـ إبطال لها. لكن ما يلزم ابن رشد أشد مما يلزم أهل الكلام، وإذا كان هذا هو حال أهل الكلام عنده، فإن حال الفلاسفة في الحقيقة أشد إبطالاً وبعداً عن الشريعة، لأنهم يرون أن الشريعة ليست إلا أوهاماً وخيالات يجب أن تترك كما هي للعوام، أما الفلاسفة (**النخبة الثقافية**) فليسوا بحاجة لثقافة العوام، فلديهم ثقافتهم الخاصة النابعة من كلام أرسطو!

ومن كلام ابن رشد السابق نلزمه باعترافه هو أن عقيدة الإثبات هي عقيدة أهل الإسلام والشريعة والتي لم يزالوا يؤمنون بها، حتىٰ أنكرها أهل التعطيل، وإذا كان فعل أهل الكلام جناية، فإن فعل المتفلسفة أكبر وأعظم جناية، ويلزمه ما ألزم به أهل الكلام.

(٢) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٥).

(٣) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٥).

وأخيراً يقول: (فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة ـ أي: العلو ـ واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبنىٰ عليه، وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع)[1].

ومن تأمل كلام أهل الكلام والتأويل ومن تابعهم، وكلام أهل الفلسفة ومن تأثر بهم، يعلم صدق كلام ابن تيمية حينما بيَّنَ حقيقة مذاهب القوم وأنهم يُظهرون للناس التنزيه، وحقيقة كلامهم التعطيل، ونفي حقيقة أسمائه وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة.

---

(١) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٧).



المبحث الخامس



جناية الفلسفة وعلم الكلام

تحدثنا في المبحث السابق عن التأويل وأثر الفلسفات الأجنبية في ذلك، وكيف أدخلت مصطلحات جديدة، ومفاهيم غريبة إلىٰ العقيدة الإسلامية، ومن ثَم جُعلت من صميم العقيدة الإيمانية[1]، فأصبح التنزيه عند المتكلمة هو ما يقوله أرسطو طاليس اليوناني، والتشبيه والتجسيم هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة!

ولما صارت تلك المصطلحات اليونانية عندهم هي ألفاظ التوحيد، وكلمات القرآن الكريم هي كلمات التشبيه ـ والعياذ بالله ـ صار الصحابة الكرام الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبسنة رسوله ﷺ ـ لِزاماً ـ هم أجهل الخلق بتوحيد وتنزيه أهل الكلام!

وما أجمل ما قاله **ابن عقيل الحنبلي** حينما قال لبعض أصحابه: (أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر واعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولىٰ من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت)[2].

---

(١) **أقول**: من الأشياء العجيبة ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي من أنه يلزم المصلي عند تكبيرة الإحرام أن يذكر حدوث العالم وأدلته، وإثبات الأعراض، واستحالة عروض الجواهر عنها، وإبطال حوادث لا أول لها، وأدلة العلم بالصانع، وإثبات الصفات، وما يجب له تعالىٰ، وما يستحيل وما يجوز، وأدلة المعجزة، وتصحيح الرسالة.
وقال نحو ذلك الجويني أيضاً!!
قال الإمام المازري تعليقاً علىٰ ذلك: أردتُ اتباع كلام القاضي عند إحرامي، فرأيت في منامي كأني أخوض في بحر من ظلام. فقلت: هذه والله الظلمة التي قالها القاضي أبو بكر. كتاب «الذخيرة» (٢/ ١٣٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٤٣).

ومما يؤسف له أن المتفلسفة والمتكلمة مع فرحهم بهذه العلوم، ودعواهم أنها البراهين الصادقة، والأدلة الباهرة، وأنها العقليات الراسخة، حتىٰ بالغوا وغلو فيها وزعموا أنها الطريق الوحيد الموصل لليقينيات.

لكن الفلسفة لم تنتج يقيناً ما زعموا، بل كانت عاملاً رئيساً في زعزعة العقيدة، وخلخلة اليقين عند الناس، وتفاقمت الجناية علىٰ العقيدة بسبب كثيرٍ من مسائلها التي كان عليها مبنىٰ علم الكلام، فتحول الإيمان إلىٰ مسرح للشبهات، ومرتعٍ للوساوس، التي أنتجتها براهين الفلسفة المتكافئة، وأدلتها المتضادة، فعظمت بها المصيبة، وتفاقم بسببها الحال.

وقد سأَلَ الحافظ **عمر بن علي البزَّار** شيخه ابن تيمية عن سبب اهتمامه بالتأليف في أصول العقيدة والرد علىٰ المتفلسفة والمتكلمة، ولماذا لم يتفرغ للتأليف في الفقه؟

فأجابه شيخ الإسلام: بأن أمر الفقه والفروع قريب، ويجوز للمسلم أن يقلد أحد العلماء المقلَّدين، أما أصول العقيدة فكثر فيها الخطأ والانحراف، وأحدث أهل الفلسفة والكلام فيها ضلالات خطيرة، قادتهم إلىٰ الشك، وشككوا الخلق في أصول الدين، ولهذا وقف ابن تيمية من الكلام والفلسفة موقفاً نقدياً، ومحصَ مسائله، وبيَّن الخطأ والصواب فيها، في ضوء الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

قال ابن تيمية: (إن جمهورهم ـ أيِ الفلاسفة وأهل الكلام ـ أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قلّ أن سمعتُ أو رأيتُ مُعرضاً عن الكتاب والسُنّة، مُقبلاً علىٰ مقالاتهم إلا وقد تَزَنْدَقَ أو صار علىٰ غير يقين في دينه واعتقاده)[1].

وبسبب هذا الموقف العلمي النقدي، اتهم بعض الكتَّاب ابن تيمية بأنه عدو العقل، وخصم العقلانية، وأنه من أشد المحاربين للتفكير والفكر!

واعتقد أن من اطلع علىٰ شيء من تراث ابن تيمية يعلم أن دفع هذه

---

(١) «الأعلام العليَّة» (ص٣٣).

التهمة لا يتطلب الكثير، فابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ هو أبرز رائد في عصره دعا لاحترام العقل الصحيح، والفكر السليم، وهو أبرز العلماء الناقدين الذين كتبوا النفيس من المؤلفات في النقد العقلي، بخلاف غيره ككثير من الفلاسفة وعلماء الكلام الذين سلموا عقولهم للفلسفات اليونانية، واستسلموا لها.

ومن تصفح الكتب النقدية والعقلية سوف يقف علىٰ أقوال كبار العلماء والمفكرين ـ قديماً وحديثاً ـ التي شهدت لابن تيمية بأنه من القلائل الذين شيدوا بناء التفكير العقلي السليم، وأسسوا مبادئ النقد العلمي الرصين، وأصبح لأفكاره النقديَّة، وآرائه العقلانية صداً عند من جاء بعده من كبار المفكرين في الشرق والغرب، وكتابه العظيم «**درء التعارض**» أبلغ شهادة علىٰ مساهمته الكبيرة في البناء النقدي والفكري والعقلي، وبراءة ساحته من مزاعم محاربة العقل أو التفكير.

إن العاقل والمنصف يعلم أن ابن تيمية لم يرفض العقليات الصحيحة، وإنما رفض أوهاماً سُميت عقليات، ساهمت في تفريق الأمة، وثلم الدين، وقادت أصحابها للتهلكة.

يقول ابن تيمية: (والله ما رأيتُ فيهم أحداً ممن صنَّف في هذا الشأن، وادّعىٰ علو المقام، إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام. وسببُ ذلكَ إعراضه عن الحق الواضح المبين، وعن ما جاءت به الرُّسل الكرام عن ربّ العالمين، واتباعه طُرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سمّوها بزعمهم: حِكَميّات، وعقليّات. وإنما هي جهالات، وضلالات)[1].

وقال عن المتفلسفة ومن تابعهم: (ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء، لما لم يتبين له الهدىٰ في طريقه، نكص علىٰ عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه، وفرجه، أو رياسته، وماله، ونحو ذلك، لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه وينشرح له صدره)[2].

---

(١) «الأعلام العليَّة» (ص٣٣).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥).

وما قاله ابن تيمية حقٌ اعترف به غيره من العلماء والفقهاء، بل وكبار وعظماء رجالات الكلام والفلسفة في وقتٍ متأخر من حياتهم، بعد أن ألفوا فيها عشرات الكتب، وكانوا طوال عمرهم يدافعون عنها ويسمونها عقليات ويقينيات، إذا بهم يتبرؤون منها، ويشتكون منها، بسبب ما أورثته فيهم من الشك والوسواس، والحيرة والتخبط والضياع، مع أنهم أذكياء العالم، ونظَّار هذا الفن، فكيف بمن دونهم؟!

ومن الطريف اللطيف، الحكاية التي ينقلها السيوطي رحمه الله مبيِّناً أن آفة هذه الفلسفات قديمة، وآثارها ليست بجديدة، وأن دخولها إلىٰ المجتمع المسلم كان بداية تفاقم الانحراف، وأساس الاختلاف والتنازع بين المسلمين في مسائل العقيدة.

قال السيوطي: (قال الصلاح الصفدي في «شرح لامية العجم»: حُكي أن المأمون لمّا هادن ملوك النصارىٰ ـ أظنه صاحب جزيرة قبرص ـ كتب يطلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد.

فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه، إلا بطريق واحد ـ أي: قائد حاذق ـ فإنه قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم علىٰ دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها)[1].

وهذه الحكاية ـ إن ثبتت ـ تفسر لنا أسباب ما حصل في الأمم السابقة من شقاق وافتراق، وتنازع وتحزب، واختلاف وانشقاق، ليس في فروع المسائل، بل في أصولها.

وأما أثر الفلسفة في أمتنا الإسلامية فإنه لا يخفىٰ علىٰ كل منصف، فما حصول الاختلاف في أصول عقيدة الأمة إلا من بعد ما زهد بعض نظارها بالمنبع الصافي، وذهبوا يغترفون من منابع أخرىٰ آسنة، وهذه حقيقة يشهد لها العلماء من كل فريق، ومن كل حزب.

---

(١) «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام»، السيوطي، تعليق د. علي سامي النشار، (ص٨ ـ ٩)، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ عن علم الكلام: (وإذا تركنا المداهنة ومراقبة الجوانب؛ صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام، لكثرة الآفة فيه)[1].

ثم قال: (المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً، مشرف علىٰ التزلزل بكل شبهة، بل الإيمان الراسخ إيمان العوام)[2].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ مبيّناً حال أهل الكلام:

(وأفضىٰ الكلام بكثير من أهله إلىٰ الشك، وببعضهم إلىٰ الإلحاد، وببعضهم إلىٰ التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشرع، وتطلبهم حقائق الأمور من غيره.. وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم)[3].

وقال: (لو لم يكن في الكلام إلا مسألتان هما من مبادئه لكان حقيقاً بالذم: إحداهما قول بعضهم إن أول واجب الشك.. وثانيتهما: قول جماعة منهم: إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه، حتىٰ لقد أورد علىٰ بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك، فقال: لا تشنع عليّ بكثرة أهل النار)[4].

وقال العلامة المؤرخ ابن خلدون مبيناً أثر الفلسفة في الحضارات:

(الفصل الرابع والعشرون: في إبطال الفلسفة وفساد منتجها. هذا الفصل وما بعده مهم لأن هذه العلوم عارضة في العمران، كثيرة في المدن، وضررها في الدين كثير، فوجب أن يصدع بشأنها، ويكشف عن المعتقد الحق فيها)[5].

ثم قال: (إن كتب أولئك المتقدمين ـ اليونان ـ لمّا ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلىٰ اللسان العربي، تصفحها كثير من أهل

---

(١) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» (ص٨٣).
(٢) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» (ص٨٣).
(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» الحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٢٨).
(٤) «فتح الباري»، الحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).
(٥) «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٤١).

الملة، وأخذ من مذهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها)[1].

ويبين الفيلسوف ابن رشد حال أهل الكلام، وكيف وقعوا في الشبهات والشك والحيرة، وكيف أحدثوا في الإسلام من البدع ما فرق الأمة، فيقول:

(عرضت أشد حيرة تكون، وأعظم شبهة، للمتكلمين من أهل ملتنا، أعني الأشعرية)[2].

ويقول: (هذه كلها كما تراه، بدع حادثة في الإسلام، هي السبب فيما عرض فيه من الفرق التي أنبأ المصطفىٰ أنه ستفترق أمته إليها)[3].

وقال أيضاً: (وهذه هي حال هذه الفرق الحادثة ـ أي: أهل الكلام ـ في هذه الشريعة ومع الشريعة، وذلك أن كل فرقة منهم تأولت في الشريعة تأولاً غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرىٰ وزعمت أنه الذي قصده صاحب الشرع، حتىٰ تمزق الشرع كل ممزق، وبَعُدَ عن موضعه الأول)[4].

ويقول الدكتور محمد عبد الرحمٰن مرحبا: (إن التناقض ظاهرة عامة عند جميع الفلاسفة والمفكرين)[5].

وأقدم بين يديك ـ أخي القارئ الكريم ـ نبذة يسيرة من اعترافات علماء الكلام والفلسفة، وإعلانهم التوبة والندم عن اشتغالهم بهذه العلوم المحدثة في الدين، كما يلي:

١ ـ أبو حامد الغزالي.

هو إمام في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وصل في تلك العلوم إلىٰ غايتها، ودرسها وأتقنها، وأحسن ظنه بها، حيث ظنَّ أنها توصل لليقين، حتىٰ

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٤٢).

(٢) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة»، عناية د. محمد عابد الجابري، (ص١٧٢)، مركز دراسات الوحدة العربية.

(٣) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٤٢).

(٤) «الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة» (ص١٥٠).

(٥) «من الفلسفة اليونانية إلىٰ الفلسفة الإسلامية» (ص٦٤٨).

قال عن المنطق: من لم يتعلمه فلا يوثق في علمه. لكن تلك العلوم لم توصله إلىٰ الحق، ولم يصل بواسطتها إلىٰ الحقيقة، بل جرته تلك العلوم إلىٰ آفات ومخاطر عظيمة في دينه وعقله وسلوكه اعترف بها الغزالي نفسه، وظل يتخبط مدة من الزمن لا يدري أين يتجه، ولا يلوي علىٰ شيء، وعاش فترة زمنيَّة في ظلمة وحيرة وضياع مطبق، ولم تنفعه تلك الآليات والعلوم، ولم تعصمه ـ كما زعم أهلها ـ من الخلل في الفكر، بل زادت في ظلمته وضياعه، إلىٰ أن هجرها وتركها، معترفاً بفسادها وعدم جدوىٰ تعلمها.

وكان أولَ خطأٍ عند الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو بعده عن مشكاة الوحي، وقلة علمه بالسنة النبوية، حيث صرف جُلَّ عمره في تعلم الفلسفة والكلام والمنطق، وتولىٰ عن تعلم السنة الشريفة، وتلك إحدىٰ جنايات المناهج العقلية علىٰ أصحابها، حيث ربتهم علىٰ الزهد في دراسة وتعلم السنة المطهرة، وعظمت في قلوبهم الدراسات الفلسفية والمنطقيَّة، وهنا يعلم العاقل أن أساس البلية التي فتكت بالغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي تقديم العقل وتقديسه، في مقابل إهمال النقل!

قال الحافظ المؤرخ الذهبي: (ولم يكن له علم بالآثار، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية علىٰ العقل)[١].

وهذه الحقيقة يقر بها الغزالي نفسه، حيث اعترف بأن بضاعته في الحديث النبوي قليلة، حيث قال: (وبضاعتي في علم الحديث مزجاة)[٢].

ولهذا كان قلبه مشبعاً بعلوم اليونان ومنطقهم، وبعلوم أهل الكلام، فأقبل عليها بشغف، وعظمها غاية التعظيم، وآمن أنها أسس العلم والمعرفة، ومبدأ اليقين، حتىٰ اكتشف في وقتٍ متأخرٍ أنها علومٌ مفلسة، لا يحتاج إليها الذكيّ، ولا ينتفع بها البليد.

فبعد أن ألّفَ الغزالي كتبه الشهيرة في علم المنطق، وأطلق عليها أفخم

---

(١) «سير أعلام النبلاء»، الذهبي (٩١/٣٢٨).
(٢) «قانون التأويل» (ص١٦).

الألفاظ مثل: «لباب النظر» و«محك النظر في المنطق» و«معيار العلم في فن المنطق» و«القسطاس المستقيم»، واعتقد أنَّ هذا العلم آلة تعصم الذهن من الخلل في الفكر، وذهبَ إلىٰ أنَّ من لم يتعلمه فلا ثقة في علمه، وبعد كل ذلك إذا به يسجل في كتابه «المنقذ من الضلالة» تجربته المرة والحزينة، ويحكي قصته المثيرة، ومحنته العجيبة، بعد ردحٍ من الزمن مع هذه العلوم!

وتأمل حكاية الغزالي عن نفسه، وكيف عاش في تخبطٍ وانحراف، وظلمة وضلال، حتىٰ وصل به الحال إلىٰ الشك في كل شيء، حتىٰ شكَّ في وجود المحسوس ـ نسأل الله العافية والسلامة ـ وذلك بسبب ما أورثته تلك العلوم من آفاتها وسمومها.

يقول الإمام الغزالي: (لم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري، منذ راهقت البلوغ قبل العشرين إلىٰ الآن وقد أناف السن علىٰ الخمسين، أقتحم لجّة هذا البحر العميق.. أتوغل في كل مظلمة، وأتهجم علىٰ كل مشكلة.. لا أميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع.. فلما خطرت لي هذه الخواطر، أنقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر.. فأعضل هذا الداء، ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما علىٰ مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال.. فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا، ودواعي الآخرة، قريباً من ستة أشهر، وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلىٰ الاضطرار، إذ أقفل الله علىٰ لساني.. ثم لما أحسستُ بعجزي، وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلىٰ الله تعالىٰ التجاء المضطر الذي لا حيلة له)[1].

وهكذا لم تنفعه تلك العلوم، ولم تعصم ذهنه آلة المنطق كما زعم المناطقة، بل استولت الخواطر علىٰ قلبه، والوسواس علىٰ عقله، وسيطرت الأوهام علىٰ فكره، حتىٰ عجز عن دفعها، واستسلم لها مقهوراً غير مختار!

وفي هذا الكتاب، يعرض الغزالي تجربته تلك، ثم يستخلص منها

(١) «المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال»، الغزالي، تحقيق د. سميح دغيم (ص٥٠ ـ ٥٤).

النتائج والعبر، ويعقد الغزالي فصولاً لمحاكمة علم الكلام والمنطق والفلسفة ويذمها ويعيبها.

يقول الغزالي عن تجربته مع علم الكلام وهو الخبير به: (إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي.. فلم يكن الكلام في حقي كافياً، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافياً)[1].

ثم يقول عن علماء الكلام: (خاضوا في البحث عن الجوهر والأعراض وأحكامها، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوىٰ، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق. ولا أبعد أن يكون قد حصل ذلك لغيري، ولست أشك في حصول ذلك لطائفة، ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات)[2].

وفي موضع آخر قال الغزالي عن علم الكلام: (المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً، مشرف علىٰ التزلزل بكل شبهة، بل الإيمان الراسخ إيمان العوام)[3].

وهكذا يمضي الغزالي نقداً وذماً للفلسفة والمنطق وعلم الكلام، من خلال تجربته الحيَّة، وخبرته الشخصيَّة، فكانت شهادة من الداخل علىٰ تلك العلوم والآلات!

يقول الدكتور **(سليمان دنيا)** وهو الخبير بتراث الغزالي وفكره: (إن معضلة الغزالي أنه عاب علىٰ علوم عصره بعد أن ألف فيها، فقد عاب علىٰ علم الكلام وهو مؤلف فيه، وعاب علىٰ الفلسفة وهو مؤلف فيها، والغزالي شك وأمعن في شكه، وقد كان قبل الشك يستعمل موازين للحقيقة لم يرض عنها بعد الشك)[4].

---

(١) «المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال» (ص٥٩).
(٢) «المنقذ من الضلال» (ص٦٠).
(٣) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» (ص٨٣).
(٤) «الحقيقة في نظر الغزالي» (ص٨٩).

ويقول الدكتور **طه الدسوقي حبيشي**: (ويكاد الإمام الغزالي يجزم جزماً لا تردد فيه، أن المتشكك المرتاب الذي يبحث عن الحق في مصادره الصحيحة، والذي ابتلاه الله بشيء من القلق، لم يستطع أن يستفيد من علم الكلام شيئاً ينفعه في رفع الريب والشك)[(١)].

وقال الدكتور **علي سامي النشار** بعد أن عَرَضَ موقف الغزالي المؤيد لعلم المنطق في كتبه: «القسطاس»، و«المعيار»، و«المحك»: (ولكن هل كان هذا الحكم علىٰ المنطق هو النهائي عند الغزالي؟ كلا بل وضع الغزالي هذا الحكم في كتاب له متأخر عن كتبه المنطقية وهو «المنقذ من الضلال»)[(٢)].

وبعد عرضه لأدلة الغزالي في نقده للمنطق، يقول: (ولهاتين العلتين هدم الغزالي فكرته الأولىٰ عن المنطق، باعتباره منهجاً من مناهج البحث الموصلة إلىٰ اليقين في جميع فروع المعرفة الإنسانية)[(٣)].

وخلاصة القول: أن الغزالي يأس من علم الكلام والمنطق والفلسفة (**المناهج العقلية**) والتي لم توصله لبرد اليقين، وألف في آخر حياته كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام» وهو من آخر كتبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيِّناً موقف الغزالي الأخير من الفلسفة والمنطق:

(وبيَّن ـ أي: الغزالي ـ في آخر كتبه أن طريقتهم فاسدة لا توصل إلىٰ يقين، وذمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين)[(٤)].

ويقول **محمد المعتصم بالله البغدادي**: (من المتفق عليه أن الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف هذا الكتاب قبل وفاته بفترة وجيزة)[(٥)].

---

(١) «الجانب الإلـٰهي في فكر الغزالي» (ص١٦).

(٢) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» (ص١٧٢).

(٣) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» (ص١٧٢).

(٤) «صون المنطق» (ص٢٨٦).

(٥) مقدمة كتاب «إلجام العوام» (ص٢١).

ويقول الدكتور **جلال موسىٰ**: (وآخر ما كتب الغزالي «إلجام العوام عن علم الكلام» وهو رسالة في مذهب السلف، وقد كتبه الغزالي قبل وفاته بقليل، وكأن الغزالي قبل وفاته بقليل أحس بالنهاية، فأظهر الإيمان بمذهب السلف، وأشهد الكل أنه يموت معتقداً هذا المذهب)[١].

ومن فضل الله أن رحمته تداركت الغزالي في لحظاته الأخيرة، حيث طلق علوم اليونان، وأقبل علىٰ علوم القرآن، وتعلم السنة النبوية الشريفة، وطفق يدرس «صحيح الإمام البخاري»، ومات رحمه الله و«صحيح البخاري» علىٰ صدره!

يقول تلميذه **عبد الغافر الفارسي** وهو يحكي آخر مراحل حياته: (وكانت خاتمة أمره إقباله علىٰ حديث المصطفىٰ ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة «الصحيحين» البخاري والمسلم اللذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن في يسير من الأيام، يستفرغه في تحصيله، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية، واشتغل في آخر عمره بسماعها)[٢].

فانظر ـ أخي القارئ الكريم ـ إلىٰ جناية تلك العلوم علىٰ الأمة، وكيف جعلت ذكياً من أذكياء الأمة ـ كالغزالي ـ يعيش فترة طويلة من عمره في اضطرابٍ وتناقضٍ، بل يصل به الحال إلىٰ أن يشك في الموجودات والمحسوسات، وانظر كيف تعطلت قدراته العقلية فيما يفيده أو فيما يفيد الأمة في علومها الشريفة، والتي لو انصرف لها الغزالي في شبابه لكان من أعلامها[٣]!

---

(١) «نشأة الأشعرية وتطورها» (ص٤٢٦).

(٢) انظر: «تاريخ مدينة دمشق»، ابن عساكر (٥٥/ ٢٠٤)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ»، تاج الدين السبكي (٦/ ٢١٠)، و«مرآة الجنان»، اليافعي (٣/ ١٨٥)، و«المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور»، أبو إسحاق إبراهيم الصريفيني (١/ ٨٧).

(٣) **أقول**: يرىٰ بعض الباحثين أن حياة الغزالي كانت غامضة ومحيرة، ويرون أنه لم يكن واضحاً، بل كان شخصيَّة قلقة ومضطربة، وقد ذهبَ بعضهم إلىٰ أنه ختم حياته بالزندقة، ومذهب الباطنية، ونسبوا إليه مجموعة من الكتب مثل: «سر العالمين» =

ومما يضاف ـ أيضاً ـ إلىٰ جناية هذه المناهج العقلية الفاسدة؛ أنها جعلت النخب المثقفة تسكن في أبراجها العاجية، بعيدة عن هموم الشعوب، وبعيدة عن أحاسيس الناس، فحياة الناس في عالم، وهؤلاء المتكلفون [العقلانيون] في عالم آخر، عالم السلبيَّة مع الوسواس والاضطرابات والشكوك!

يقول الدكتور **محمد رشاد سالم**: (ولعل من الأمور التي تتصل بالكلام عن ثقافة الغزالي، بيان مدىٰ السلبيَّة التي كان عليها الغزالي إزاء الأحداث السياسية الضخمة التي تحدث أثناء حياته، فقد فتح الصليبيون إنطاكية، ثم معرة النعمان، وقتلوا فيها مائة ألف، ثم اجتاحوا البلاد كلها يقتلون ويدمرون، فلم يحرك ساكناً، ولم يذكرهم بلسانه)[1].

ويقول الباحث الشيعي الدكتور **علي الوردي** بعد أن عقد مقارنة بين الإمام الغزالي والإمام ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ:

(رأينا الغزالي في أواخر أيامه ييأس مِن الناس، ويعتزل الحياة، حيث لم يجد لغزْله الممتاز نسيجاً يليق به، أما ابن تيمية فلم ييأس ولم يعتزل، بل ظل مشاركاً للناس في حياتهم يكافح فيها كفاح المستميت، حتىٰ وصل به الحال مرة أن لبس لامة القتال، واشترك مع الجيوش العربية في محاربة المغول قرب دمشق عام ٧٠٢هـ، وكان إيمانه وحماسته في المعركة من عوامل النصر علىٰ المغول)[2].

٢ ـ أبو المعالي الجويني:

وهو إمام من أئمة الأشاعرة الكبار، ومنظر من منظريهم العظام، قاد

= و«المضنون به علىٰ غير أهله» وغيرهما من الكتب السريَّة التي يُقال: إن الغزالي صرح فيها بعقيدته الحقيقية!

إلا أننا نستبعد ذلك، ونرىٰ أنه ختم حياته بمذهب السلف، ومات و«صحيح البخاري» علىٰ صدره، كما ثبت عنه ذلك، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال الذهبي: (فأما كتاب «المضنون به علىٰ غير أهله» فمعاذ الله أن يكون له). «سير أعلام النبلاء» (٩١/ ٣٢٩).

(١) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص١٨).

(٢) «منطق ابن خلدون» (ص٥٧).

المذهب الأشعري خطوات متقدمة في التأويل وإنكار بعض الصفات، وخرج كثيراً بالمذهب عن مسار الإمام الأشعري. ألف في الكلام، وعظمه وأشاد به، ثم في نهاية المطاف اكتشف أنه لا فائدة من تحصيله، ولا خير من تعلمه، وأن كل الضرر يأتي من تحصيله.

يقول الأديب علي بن عبد الغني القيرواني - وكان ممن يختلف إلىٰ دروس إمام الحرمين الإمام الجويني يقرأ عليه الكلام - سمعت الأستاذ أبا المعالي اليوم يقول: (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلىٰ ما بلغ ما اشتغلت به)[1].

وقال الجويني - أيضاً - في مرض موته: (اشهدوا عليّ، أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وإني أموت علىٰ ما تموت عليه عجائز نيسابور)[2].

٣ - الشهرستاني:

وهو بحر من بحور علم الكلام، درس الفلسفة والأديان والمذاهب والفقه، فأحاط بها، وأتقن المنطق، ودرس الفلسفة وخبرها، ثم قال في نهاية المطاف يصف حال رواد مدارس الكلام والمنطق:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر   علىٰ ذقن أو قارعاً سن نادم[3]

وأجابه محمد بن إسماعيل الأمير بقوله:

لعلك أهملت الطواف بمعهد   الرسول ومن لاقاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد   ولست تراه قارعاً سن نادم[4]

وقال الشهرستاني - أيضاً - بعد اكتشافه المتأخر بوار علم المنطق،

---

(١) كتاب «العلو»، للعلي العظيم، الإمام الذهبي، تحقيق د. عبد الله البراك (٢/ ١٣٤٣).

(٢) كتاب «العلو»، للعلي العظيم (٢/ ١٣٤٥).

(٣) كتابه «نهاية الإقدام»، الشهرستاني، عناية الفرد جيوم (ص١).

(٤) حاشية «درء تعارض العقل والنقل»، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم (١/ ١٥٩).

وضعف الفلسفة وعلم الكلام في زراعة اليقين: (عليكم بدين العجائز، فهو من أسنىٰ الجوائز)[1]!

٤ ـ الفخر الرازي.

وهو من أكابر علماء الكلام، وحاذق الفلسفة والمنطق، مقدم أهل الكلام والعقليات، رائد المدرسة العقلية الفلسفية، قال بعد أن عرض الاختلافات في مسألة (الماهية والوجود، والصفات) وقد حار فيها، ولم يهتد إلىٰ الصواب:

ومن الذي وصل إلىٰ هذا الباب ـ أي: الحقيقة ـ أو ذاق من هذا الشراب؟ ثم أنشد:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا[2]

وقال في وصيته الشهيرة والثابتة عنه في مرض موته، بعد أن تبرأ من كل الفلسفات، ومسائل علم الكلام، التي سبق أن وصفها باليقينيات والبراهين:

(اعلموا أني كنت رجلاً محباً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء لأقف علىٰ كميته وكيفيته ـ سواءً كان حقاً أو باطلاً ـ إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرت الطريق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعىٰ في تسليم العظمة والجلال لله.. وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما)[3].

---

(١) كتابه «نهاية الإقدام»، الشهرستاني، عناية الفرد جيوم (ص٢).

(٢) انظر: «درء التعارض» (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠)، «منهاج السنة» (٥/ ٢٧١).

(٣) «الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية»، محمد صالح الزركان (ص٦٣٨ ـ ٦٤١)، دار الفكر.

٥ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي الزيدي المتفلسف.

وهذا بحر كبير في الأدب والعلوم والفلسفة والمنطق، كان من كبار أعيان المعتزلة الزيدية، توفي ببغداد سنة (٦٥٥هـ). قال يصف علم المنطق بعد أن خاض في بحره وخبره وأتقنه، ثم أفلس وحار وضل في آخر عمره:

فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقضىٰ عمري

سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذىٰ السفر

فلحىٰ الله الأولىٰ زعموا أنك المعروف بالنظر

كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن قوة البشر[(١)]

٦ ـ الوليد الكرابيسي المعتزلي.

يقول أحمد بن سنان: كان الوليد خالي، فلما حضرته الوفاة، قال لبنيه: تعلمون أن أحداً أعلم بالكلام مني؟

قالوا: لا.

قال: فتتهموني؟

قالوا: لا.

قال: إني أوصيكم تقبلون؟

قالوا: نعم.

قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق معهم، لست أعني الرؤساء ولكن هؤلاء الممزقين، ألم تر أحدهم يأتي إلىٰ الرئيس منهم فيخطئه ويهجيه[(٢)].

٧ ـ القاضي أفضل الدين الخونجي.

يقول ابن تيمية عنه: (وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم وهو الخونجي صاحب «**كشف الأسرار في المنطق**» وهو عند كثير منهم غاية في

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦١).

(٢) انظر: «المنتظم»، ابن الجوزي (١٠/ ٢٧٣)، «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي (١٣/ ٤٧١)، «شرف أصحاب الحديث» (ص١٠٩)، «سير أعلام النبلاء»، الذهبي (١٠/ ٥٤٨).

هذا الفن، أنه قال عند الموت: أموت وما علمت شيئاً، إلا أن الممكن يفتقر إلىٰ الواجب. ثم قال: الافتقار وصف عدمي أموت وما علمت شيئاً)[1]!

٨ ـ ابن واصل الحموي.

وهو أفضل أهل زمانه في المنطق والفلسفة والكلام، قال:

(أضطجع علىٰ فراشي، وأضع الملحفة علىٰ وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وهؤلاء حتىٰ يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء)[2].

ويعلق شيخ الإسلام علىٰ قوله هذا:

(ولهذا انتهىٰ أمره إلىٰ كثرة النظر في الهيئة ـ العمارة والهندسة ـ لكونه تبيَّن له فيه من العلم ما لم يتبين له في العلوم الإلـٰهية)[3].

وهذه إشارة ذكية من شيخ الإسلام، وبيَّن فيها الخير الذي يحصل للباحث الذي يصرف عقله وفكره في العلوم التجريبية العملية، والتي فيها منفعة ورقي وحضارة، وخطورة البحث العقلي في الغيبيات ـ ما وراء الطبيعة ـ الذي لم يحصد الإنسان منه إلا الخسارة، وتشتت الأمة، وتفرق الناس، ثم إفلاسهم وحيرتهم وعدم اهتدائهم للحق والصواب.

قال ابن تيمية: (.. أني كنت دائماً أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد، ولكن كنت أحسب أن قضاياه صادقة، لما رأينا من صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه.. ولم يكن ذلك من همتي، لأن همتي كانت فيما كتبته عليهم في الإلـٰهيات، وتبيَّن لي أن كثيراً مما ذكروه في المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلـٰهيات)[4].

ومما تقدم يدرك العاقل سبب موقف ابن تيمية من هذه العلوم والآليات، وأنه نقدها ومحصها ورد عليها لأنه علم بعد دراسة فاحصة أن هذه العلوم هي أصل ضلال هؤلاء في العقائد والإلـٰهيات، وأنها أسس تخبطهم وضياعهم

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٢٦٢)، «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١١٤، ٢٤٨).
(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥)، «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠٩).
(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥). (٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٨٢).

وسقوطهم في دائرة الشكوك والوساوس، ولم يكن له موقف تقليدي منها، لكنه بعد دراستها وجد أنها أصلُ البليَّة!

ولذا فإن العاقل حينما يستعرض سيرة هؤلاء الذين أضاعوا أوقاتهم في تلك العلوم، ثم حصل لهم ما حصل في نهاية المطاف، يدرك إدراكاً يقينياً حجم الجناية الكبيرة التي سببتها علوم الفلسفة والكلام في أذكياء الأمة، ويتفق كثيراً مع قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما قال: (ولهذا قلَّ أن سمعتُ أو رأيتُ مُعرضاً عن الكتاب والسنة، مُقبلاً علىٰ مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار علىٰ غير يقين في دينه واعتقاده)[1].

---

(١) «الأعلام العليَّة» (ص٣٣).




المبحث السادس

الجانب العقلي عند ابن تيمية

من أبرز الجوانب الكثيرة التي ظُلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية؛ جانبه العقلي ونظراته العقلية العميقة في العلوم الإسلامية والعلوم الأخرىٰ، وأجزم بالقول: إنه لم يمر في التاريخ العقلي الإسلامي المحض بعد الإمام الشافعي من جدد للأمة في جوانبها العقلية مثل ما فعل ابن تيمية، وهو الذي خلف مشروعه العقلي العظيم مبثوثاً في أكثر كتبه، ومركزاً علىٰ وجه الخصوص في كتابه الكبير العظيم «درء تعارض العقل والنقل» وكتابه المنفرد «الرد علىٰ المنطقيين».

وبحق ما ذكره الدكتور **(محمد رشاد سالم)** حينما تحدث عن الجهد العقلي الجبار الذي بثه ابن تيمية في كتابه «الرد علىٰ المنطقيين»، فقال:

(هو من أعظم الكتب في التراث الفكري الإسلامي، بل وفي التراث الإنساني)[1].

وأيضاً ما بينه الدكتور **علي سامي النشار** ـ وهو أشعري ومن خصوم ابن تيمية ـ في مقدمته علىٰ كتاب «الرد علىٰ المنطقيين» لابن تيمية، حيث قال:

(كتاب ابن تيمية «نصيحة أهل الإيمان في الرد علىٰ منطق اليونان» يعاون الباحثين في تاريخ الحضارة الإسلامية علىٰ الكشف عن العبقرية الإسلامية في أرفع مظاهرها العقلية)[2].

ومما يؤسف له أن المشروع العقلي الجبار لابن تيمية لا يزال متروكاً بلا

---

(١) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص٢٩).

(٢) «صون المنطق»، المقدمة (ص ن).

عناية، حيث تمت العناية بجوانب معينة من تراث ابن تيمية، أما مشروعه العقلي العملاق المبثوث في تراثه، فإلىٰ هذا الوقت لم يلق اهتماماً يذكر من أهل الاختصاص في هذا الجانب.

ولذا فأنني أجد من المغالطة الكبيرة زعم البعض أن ابن تيمية كان يحارب العقل والمنطق الصحيح والتفكير العقلاني السليم. والحقيقة أن ابن تيمية هو العالم الذي تفرد بصيانة العقل العربي والإسلامي في عصره مما اعتراه من صدأ وانحرافات دخيلة عليه، وهو الذي شيد بكل جدارة المشروع العقلي العربي الإسلامي، والذي لا يزال بكل أسف مطموراً في تراثه، ينتظر من يبعثه من جديد.

وما أحوجنا اليوم لمثل هذا البعث الجديد لهذا التراث المتفرد، فما مرت به الأمة الإسلامية في السابق من موجات فكرية أجنبية عاصفة أطاحت بعقول الكثيرين؛ لا تزال تمر به حتىٰ الآن وفي هذا العصر الذي شهد طفرة كبيرة في المعلومات وسرعة انتقالها، وشهدت بعثاً جديداً للفلسفات القديمة وتمجيدها، في مقابل ازدراء التراث العربي والإسلامي، وقد أطاحت هذه الموجات بعقول كثير من المثقفين في عالمنا العربي والإسلامي، دون أن يجدوا البديل المتين من صميم ثقافتنا وتراثنا الأصيل.

وهكذا ظهرت طائفة من مثقفي هذا الجيل ترىٰ تراثها ميتاً، لا روح فيه، وأن علوم الغرب وتراثه هو الحل الوحيد في نهضتها وتطورها، فتبنوا محاربة الدين باسم نبذ التراث، واعتقدوا الانفصال والانفصام بين العقل والدين، وبين التراث والتطور.

والعجيب أنهم مع نبذهم للتراث الإسلامي والعربي، تجدهم مقبلين بكامل عقولهم علىٰ تلقي تراث وفلسفة الغرب، وبمختلف عصوره (اليوناني ـ والوسيط ـ والحديث) محترمين تراثه، بل وضعوا حوله هالة وقداسة، وأذعنوا له بإخبات وإجلال!

فوقفت هذه الطائفة موقف المبهورة المشدوهة بالمنطق اليوناني، واستسلمت لسلطانه، وبريقه، وأخذت تتلمس من تراثها ما يوافقه ويتابعه،

لتمريره علىٰ سائر الأمة، فوجدت ضالتها في كتب أمثال: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد.

وبحكم أن الأخير ـ أي ابن رشد ـ هو أكثر الفلاسفة العرب تقليداً ومحاكاة للفلسفة اليونانية، وانقياداً لها إلىٰ درجة المطابقة والتقديس لآراء أرسطو طاليس، وجدت طائفة من المثقفين في تراثه المبتغىٰ، فراحت تبعث تراثه وتتبناه وتطبعه، بل ويبني أحدهم مشروعه في نقد العقل العربي والإسلامي علىٰ ابن رشد بحكم أنه المفسر الحقيقي لفلسفة أرسطو، والذي كان له مكانة بارزة في الغرب.

وتأتي شهرة الفيلسوف الأندلسي (ابن رشد) ـ قديماً وحديثاً ـ من كونه خادماً لتراث الفيلسوف اليوناني أرسطو، حتىٰ أطلق عليه الأديب الإيطالي الشهير (دانتي) في روايته المعروفة «الكوميديا الإلـٰهية» لقب (الشارح الأعظم)[1].

ومن العلاقة التي ربطت بين ابن رشد وأرسطو في الدراسات الغربية، وجد الأول رواجاً وانتشاراً عند طائفة مثقفة في العالم العربي رأت فيه جسراً للالتقاء بالفكر الغربي، أو علىٰ الأقل تقريباً للعالم العربي من العقل الأوروبي بواسطة تراث ابن رشد!

مع أن بعض الدراسات الغربية الحديثة، وبعض المستشرقين والمفكرين الغربيين بعد فحص هذا التراث الرشدي، وجدوا أن ابن رشد لم يكن سوىٰ مقلداً لأرسطو، بل مقدساً له، ومتابعاً له في كل صغيرة وكبيرة؛ بل حتىٰ

---

(١) جعلت طائفة من فلاسفة أوروبا في العصور الوسطىٰ ابن رشد، أهم وأعظم شارح لفلسفة المعلم الأول أرسطو، وعرفوا باسم (الرشديين) وكانوا متحررين من سلطان الكنيسة والدين، وكان معظمهم من الملاحدة الذين يقولون بقدم العالم وإنكار وجود الله.
في مقابل ذلك، كانت مدرسة (توما الأكويني) التي جمعت بين النظريات الفلسفية والنظريات الدينية كتوفيقية تلفيقية، وشنت مدرسة الأكويني هجمة شرسة علىٰ ابن رشد وعمدت إلىٰ تكفيره واتهمته بأنه ملحد بل أنه كبير الملحدين!

الفارابي وابن سينا لم يكونوا سوىٰ صدىً للفلسفة اليونانية وخاصة الأفلاطونية الحديثة.

ولهذا يقول المستشرق **(مونك)** عن ابن رشد وغيره:

(أنه لم يكن مبتكراً، وأنه لا يختلف لا في القليل ولا في الكثير عن غيره من فلاسفة الإسلام الذين تأثروا بمذهب الأفلاطونية الحديثة)[١].

وكذا قال الشيء نفسه الفيلسوف الإنجليزي الشهير **(برتراند رسل)** الذي أكدَّ أنَّ الفلسفة العربية لم تكن مبتكرة، ولم تضف شيئاً جديداً إلىٰ الإغريق وفلسفتهم، وإنما كانت عبارة عن شرح للفلسفة الإغريقية ليس إلا. فابن سينا وابن رشد والفارابي والكندي؛ وغيرهم، لم يكونوا سوىٰ شرّاح ومفسرين لفلسفة أرسطو والفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ولم يكن لهم دور يذكر سوىٰ أنهم كانوا مجرد خدم ونقلة للتراث اليوناني[٢]!!

في المقابل تجاهلت الدراسات العقلية العربية شيخ الإسلام ابن تيمية، ودوره الكبير في إنشاء مشروع عقلي متكامل، قام علىٰ نقد العقل الغربي اليوناني، وتفكيكه، ثم خطىٰ خطوة جبارة في رسم ملامح العقل الإسلامي العربي، وسبق بوقت مبكر الكثير من فلاسفة الغرب الجدد في نقدهم ونقضهم للفلسفة والمنطق اليوناني، وإقامة المنهج التجريبي العلمي.

ومن يقرأ التاريخ العقلي والفكري، يعلم أن الغرب لم يتطور ولم يتقدم إلا بعد أن تخلىٰ عن منطقه القديم، ونقض المنطق الأرسطي، وبعد أن نجح في عزله عن ساحته الفكرية والعقلية؛ تقدم بواسطة العلوم التجريبية الحديثة.

إن كبار فلاسفة الغرب حطموا المنطق الأرسطي نقداً، وبينوا ما فيه من نقص وخلل، وما قام به الفيلسوف (فرنسيس بيكون) والفيلسوف (جون ستيوارت مل) وغيرهما من مفكري الغرب وفلاسفته خير دليل علىٰ تقويض الفلسفة الحديثة للمنطق الأرسطي، واستبداله بمنطق الاستقراء الذي سبق إليه

---

(١) «نصوص ومصطلحات فلسفية» (ص١٧٢).

(٢) انظر: «تاريخ الفلسفة الغربية»، فصل (الثقافة الإسلامية والفلسفة)، برتراند رسل.

علماء الإسلام بقرون، فلقد نقض (فرنسيس بيكون) الأقيسة المنطقية التي ليس لها مبنىٰ، كما نقد التحليق في الكليات، ونقد المنطق الأرسطي الفيلسوف (جون لوك) وبيّن عدم صلاحيته، وكذلك فعل (جورج بركلي)، ونفس العمل قام به المنطقي الإنجليزي (بوزانكيت).. وغيرهم كثير.

هذا المجهود الجبار الذي بذلته عقول الغرب كي تتقدم، سبقهم في بذله علماء الإسلام وعلىٰ رأسهم ابن تيمية، الذي أراد أن يحرر العقل العربي والإسلامي من أغلال وقيود منطق اليونان، ويشيد لهم منطقهم الخاص. لقد نجح ابن تيمية في إتمام مشروعه، لكن للأسف لم تستوعبه الأمة في وقته، وإلىٰ هذه اللحظة لا يزال أهل التخصص في غفلة عنه.

يقول الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق: (ولو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية علىٰ منهاجه في النقد، بدل الشرح والتفريع والتعمق، لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغاً عظيماً، وعسىٰ أن يتدارك شباب هذا الجيل ما فات أجيالاً ماضية)[1].

إن الأمة الإسلامية في زمن ابن تيمية وقبله ـ وما أشبه زمنهم بزمننا هذا ـ عاشت مرحلة امتحان حقيقي يتمثل بوفود أفكار أجنبية ذات هيمنة قوية علىٰ العقل، ولم يوجد في الساحة الإسلامية من يمثل النقد العلمي المنظم لتلك الأفكار مع التمسك التام بالشريعة إلا قلة نادرة، فانقسم المجتمع تجاه تلك الأفكار الجديدة (الفلسفة والمنطق) إلىٰ ثلاثة طوائف:

١ ـ طائفة وقفت مبهورة ومنفعلة بتلك الأفكار، حيث استسلمت لسلطانها وبريقها، وتمثلت تلك الطائفة بفريق الفلاسفة كابن سينا والفارابي وابن رشد وغيرهم، كما يضاف إليهم كثير من رواد المدرسة الكلامية وخاصة المتأخرين منهم.

٢ ـ طائفة ذُعرت من تلك الأفكار الدخيلة ـ كالمنطق مثلاً ـ بسبب ما

---

(١) «خمسة من أعلام الفكر الإسلامي»، مصطفىٰ عبد الرازق (ص١٢٥)، دار الكاتب العربي.

أدخلته علىٰ الدين من تحريفات وشبهات، فوقفت منها موقف الرفض دون تحليل أو نقد، واكتفت بإصدار فتوىٰ بالتحريم، كابن الصلاح وغيره.

٣ ـ طائفة درست تلك الأفكار دراسة علمية وفي ضوء العلم الشرعي المتين، وأصبحت فاعلة غير منفعلة، فتمرست فيها وكشفت بطلانها وتهافتها، فنقضتها نقضاً علمياً، وبينت عورها وبلادتها، ولم تقف عند هذا الحد، بل أقامت بدلاً عنها منطقاً جديداً علمياً مستنبطاً من الشريعة. وكان علىٰ رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية. وقد كان انطلاق ابن تيمية من مرجعيته الإسلامية، لا من مرجعية خارجية كما يفعل بعض المثقفين قديماً وحديثاً[(١)].

يقول الدكتور محمد رشاد سالم: (ابن تيمية يقف موقفاً معاكساً، وهو لا يكتفي في رده علىٰ المنطق بإصدار الفتاوىٰ بتحريمه كما فعل بعض العلماء)[(٢)].

ثم يقول: (أما ابن تيمية فهو يكشف بطريقة منهجية فساد هذا المنطق، وقد ألف عدة كتب في الرد علىٰ المنطق)[(٣)].

ومما يؤسف له أنه بعد عصر ابن تيمية بقرون ـ ومع إهمال جهود ابن تيمية من أهله ـ وفي عصر التنوير الأوروبي، نبذ أهل الفكر في الغرب المنطق الأرسطي، وحاربوه ونسبوا إليه سبب التخلف والركود الفكري الذي تعاني منه أوروبا، ونسبوا إليه الأوهام والجهل.

فهذا العالم الإنجليزي (فرنسيس بيكون ـ ١٦٢٦م) وهو من زعماء

---

(١) **أقول**: كما قال الدكتور برهان غليون: لا تستطيع أمة أن تتمتع بإرادة ذاتية، وقوة معنوية، ورؤية نظرية، وقاعدة معيارية، إلا بقدر ما تنجح في تأسيس مرجعية ثابتة، عميقة، مرتبطة بتاريخها أو بتجربتها التاريخية. ولا تستطيع جماعة أن تبني نشاطها أو تؤسس وجودها علىٰ مرجعية خارجية، مستمدة من خارج تاريخها، ومستقاة من ثقافة أخرىٰ، أي لا تستطيع أن تجعل من رمز استعبادها وتهميشها مرجعاً لنهضتها الجديدة! انظر: «اغتيال العقل» (ص١٦٠).

(٢) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص٢٩).

(٣) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص٢٩).

الفلسفة الحديثة، قد ندد بالمنطق الأرسطي فحمل عليه حملة شعواء، وعارضه معارضة شديدة، حتىٰ ألف كتاباً سماه «الإرغانون الجديد» يعارض به كتاب أرسطو الذي سماه «إرغانون».

وهذا العالم الإنجليزي (جون ستيوارت مل ـ ١٨٧٢م) وهو من زعماء المذهب الحسي، جدد ضبط قوانين الاستقراء ـ الذي سبقه فيه ابن تيمية ـ وأنكر الكليات والمعاني العامة غير المعترف فيها إلا بالوقائع الجزئية، ناسفاً بذلك منطق أرسطو.

هذه الجهود الغربية في نهضة أمتهم قد سبقهم إليها ابن تيمية رحمه الله بقرون عديدة في نقده للمنطق، وبناء المنهج التجريبي الاستقرائي، وحتىٰ لا يكون الكلام عاطفياً دون بيّنة، أضع بين يدي القارئ الكريم شهادات أهل الاختصاص بهذا الفن والعلم.

قال الدكتور علي سامي النشار:

(ترك ابن تيمية بما كتبه عن المنطق تراثاً علمياً لا يقدر، وقام بمحاولة لا تجد لها شبيهاً في تاريخ العصور الوسطىٰ)[١].

وقال الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق:

(وليس ابن القيم الجوزية ولا أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية من أنصار الفلسفة، لكنهما ممن اتصل بها، وألمّا بعلومها فيما ألمّا به من مختلف العلوم، وأسلوبهما في النقد والجدل عنيف، غير أن نفحات النظر العميق والاطلاع الواسع تخفف من لذع أسلوبهما)[٢].

ويقول مصطفىٰ عبد الرازق أيضاً:

(إنا نرجو أن تتوجه همم المشتغلين بالفلسفة، وعلوم الكلام، والتصوف، إلىٰ درس آراء ابن تيمية في الفلسفة والكلام والتصوف، وهذه الدراسة نافعة في توضيح آراء كلامية وصوفية وفلسفية، كشف ابن تيمية

---

(١) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» (ص٢٨١).
(٢) «تمهيد لتاريخ الفلسفة» (ص٨٩).

غموضها بفكره النفاذ، وردها إلىٰ أصولها وأحسن بيانها بقوله الواضح المبسوط، ولابن تيمية في ثنايا رده علىٰ الفلاسفة، والمتكلمين، والصوفية، نظرات فلسفية طريفة قد تفتح لدراساتنا الفلسفية الناشئة آفاقاً جديدة)[١].

ويقول الدكتور محمد رشاد سالم: (ابن تيمية أعظم من كتب في نقد المنطق)[٢].

ويقول العالم الشيعي (مصطفىٰ طباطبائي) بعد دراسة تحليلية دقيقة لأقوال شيخ الإسلام في المنطق وأقوال فرنسيس بيكون، ما نصه:

(ابن تيمية عاش قبل فرنسيس بيكون بثلاثمائة عام قد انتقد الأقيسة التي ليس لها مبنىٰ والتحليق في الكليات، وصرح بأهمية التجارب العلمية، وابن تيمية هنا يعتقد أن التجريبية قابلة للتصديق أكثر من الدعاوىٰ الفلسفية، ولكن طريقته تتفاوت مع طريقة فرنسيس بيكون في أن بيكون قد أغلق عينيه علىٰ الاستقراء فقط، أما ابن تيمية فقد أدخل التمثيل في دائرة التجارب، وإذا أردنا إثبات كل أمر عن طريق القياس كما يذهب لذلك بيكون فإن الأمر سيطول وسيكون في غاية الصعوبة، وهنا يجدر أن لا ننسىٰ أمراً؛ وهو كما يعتقد ابن تيمية أن الأمور التجريبية نفسها تحصل من الحس والعقل كلاهما معاً)[٣].

وتحت عنوان (جون لوك وابن تيمية) يقول الدكتور مصطفىٰ، بعد أن بيّن نقد جون لوك للمنطق، وأنه قد سُبق بنفس النقد من ابن تيمية:

(هذا الرأي هو الذي بيّنه ابن تيمية قبل جون لوك بشكل أوضح، وابن تيمية قبله بعدة قرون قال هذا الكلام بعينه)[٤].

ويقول ـ أيضاً ـ بعد ذكر نقد (جورج بروكلي) للمنطق:

(وقبل بروكلي حوالي أربعة قرون قد أنكر ابن تيمية تقسيم الأجسام إلىٰ الجواهر المادية والأعراض)[٥].

---

(١) «خمسة من أعلام الفكر الإسلامي» (ص١٢٣).

(٢) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص١٣٨).

(٣) «المفكرون المسلمون في مواجهة المنطق»، مصطفىٰ طباطبائي (ص١٣٠).

(٤) «المفكرون المسلمون» (ص١٣٨). (٥) «المفكرون المسلمون» (ص١٣٩).

وتحت عنوان (جون ستيوارت مل ونقاد المسلمين) يقول بعد عرض آرائه ونقده للمنطق: (إن القراء الكرام إذا رجعوا إلىٰ فصل نقد ابن تيمية لمنطق أرسطو في هذا الكتاب، سيلاحظون في نقد ابن تيمية عن المنطق جميع آراء «سيتوارت مل» التي ذكرناها قبله بخمسة قرون)[١].

ويقول: (لا بدّ من الاعتراف أن فوائد ابن تيمية في ميدان المنطق لا تحد ولا تقتصر علىٰ ما أتينا به هنا، ولا سيما كتابه الكبير بمنزلة البحر، حيث علىٰ الغواصين الأذكياء المتطلعين أن يجدوا فيه جواهر قيمة)[٢].

ويقول الدكتور علي النشار تحت عنوان (نقد مبحث القضايا الأرسطاليسي عند ابن تيمية) ونأخذ منه فقط مقتبسات سريعة: (يضع ابن تيمية أعظم فكرة عرفتها الإنسانية في ميدان التجربة.. ولَكم مجّد ابن تيمية التجربة والتجريب ويرىٰ أنها حاسمة قاطعة وأننا نحتج بها علىٰ المنازع.. وقد سبق ابن تيمية المنطقي الإنجليزي «بوزانكيت» وغيره.. وهنا يتبين لنا عبقرية ابن تيمية الفكرية إنه يربط بين نظرية اليونان في العلم الكلي وأنه أشرف العلوم.. وهنا يتشابه ابن تيمية وجون استيوارت مل، بل يكاد استيوارت مل يتكلم بأسلوب ابن تيمية في كتابه وهو يذكر مثال النار)[٣].

ويقول تحت عنوان (الجانب الإنشائي ـ البنائي ـ لنقد ابن تيمية):

(لم يكن ابن تيمية هادماً فقط كان يهدم جانباً ليبني جانباً.. وبهذا حقق ابن تيمية فكرته القائلة بأن للمسلمين طرقاً خاصة في البحث مستمدة من القرآن وقائمة عليه)[٤].

ويقول الدكتور الشيعي العراقي (علي الوردي):

(وصل نقد المنطق علىٰ يد ابن تيمية إلىٰ القمة.. إن العلوم الطبيعية في نظر ابن تيمية تجريبية أكثر مما هي قياسية استنباطية، وأكاد أعتقد أن ابن تيمية

---

(١) «المفكرون المسلمون» (ص١٤٨).   (٢) «المفكرون المسلمون» (ص١١٦).

(٣) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» (ص٢٠٧).

(٤) «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» (ص٢٧٢).

وضع في محاولته هذه أساساً للمنهج الاستقرائي الواقعي الذي نجده واضحاً لدىٰ ابن خلدون، ولو أتيح للحضارة الإسلامية أن تواصل نموها وازدهارها بعد هذه الفترة التي ظهر فيها ابن تيمية وابن خلدون، لربما رأينا المنهج الاستقرائي يتطور أكثر مما رأيناه علىٰ يد هذين المفكرين العظيمين، ونلاحظ في «مقدمة ابن خلدون» كثيراً من الآراء التي جاء بها ابن تيمية، في نقد العقل والمنطق، وهذه الآراء قد ترد في المقدمة أحياناً بألفاظ تشبه ألفاظ ابن تيمية!)[١].

هذه بعض النصوص التي تكشف مدىٰ عبقرية ابن تيمية ودوره في التاريخ الإسلامي والإنساني، وجهوده في تأسيس المنهج العلمي التجريبي والاستقرائي الذي قامت عليه نهضة أوروبا اليوم.

إنَّ ابن تيمية قد شخَّصَ مرض الأمة في وقته، وبيّن أن طلائع المثقفين الذين أتوا قبلهم، أدخلوا تلك الأفكار الأجنبية كالمنطق اليوناني والفلسفة إلىٰ العلوم العربية والإسلامية، فأفسدتها، وأصبحت حاجزاً وقيداً علىٰ عقولهم تمنعهم من الإبداع والتجديد، وعطلت قدراتهم الذهنية تلك الآلة الفاشلة التي أصابت العقل بالخلل والزلل.

يقول ابن تيمية: (كنت أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد)[٢].

ويشاركه هذا الرأي العلامة المؤرخ ابن خلدون، حيث يقول: (إن كثيراً من فحول النظار في الخليقة يحصلون علىٰ المطالب في العلوم بدون صناعة المنطق)[٣].

ومن المعضلات الفكرية التي واجهت الأمة الإسلامية ـ وقدم ابن تيمية

---

(١) «منطق ابن خلدون»، علي الوردي (ص٥٧).
أقول: النصوص أكثر من أن تحصىٰ، ولعل القارئ يراجع الكتب التي أحلنا عليها، ويضيف إليها ما كتبه الدكتور أبو يعرب المرزوقي في كتابه «منزلة الكلي في الفلسفة العربية» وكتابه الآخر «إصلاح العقل في الفلسفة العربية».

(٢) «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٣).
(٣) «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٩٠).

حلاً تفصيلياً لها ـ معضلة تزعم تعارض العقل والنقل، ووجوب تقديم العقل، وهذه وجهة نظر المدرسة العقلية. وقد ألف ابن تيمية لهذا الغرض كتابه الشهير «درء تعارض العقل والنقل» وبيّن فيه بكل وضوح العلاقة بين الأدلة العقلية والأدلة النقلية، ويمكن تلخيص ذلك، في ما يلي:

بيّن ابن تيمية أنه إما أن يكون الدليل العقلي صريحاً والنقلي صحيحاً، وفي هذه الحالة فلا تعارض ألبتة. وإما إذا كان هناك تعارضاً فلا يخلو الأمر من ثلاث حالات:

إما أن يكون العقل صريحاً والنقل غير صحيح، وإما أن يكون النقل صحيحاً والعقل غير صريح، وإما أن يكون النقل غير صحيح والعقل غير صريح.

ولا يمكن بحال أن يكون هناك تعارض بين العقل والنقل في غير هذه الحالات، فإذا كان النقل صحيحاً والعقل صريحاً كان لزاماً أن يتوافقا.

قال ابن تيمية: (ما عُلم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع ألبتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط. وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط)[1].

وقال: (والقول كلما كان أفسد في الشرع، كان أفسد في العقل، فإن الحق لا يتناقض)[2].

ويقول ابن تيمية: (إن كثيراً مما دلّ عليه السمع، يعلم بالعقل أيضاً، والقرآن يبيِّن ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه)[3].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٤٧). (٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٨٢).
(٣) «الرسالة التدمرية» (ص٩٣).

ويبيّن **أحمد بن مري الحنبلي** منهج ابن تيمية حول هذا الموضوع، فيقول:

(كان يجعل النقل الصحيح أصله وعمدته في جميع ما يبني عليه، ثم يعتضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك وبغيرها، ويجتهد علىٰ دفع كل ما يعارض ذلك من شبه، ويلتزم أيضاً الجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول، ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال، إن كانا عقليين أو عقلياً ونقلياً، قال: لأن الدليل هو الذي يجب ثُبُوت مدلوله، فإما أن لا يكونا قطعيين، وإما أن يكون مدلولاهما متناقضين.

وعلىٰ هذا المقصد الجليل بنىٰ كلامه المتين، وتقاسيمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي ألفها في دفع تعارض العقل للنقل)[1].

ويقول الدكتور عبد الصبور شاهين:

(لقد ظن أدعياء الفكر أن بين الشريعة المنزلة وعطاء العقل تناقضاً وتعادياً، يدعوان الإنسان إلىٰ مرافقة العقل، ومفارقة الشريعة، وكانت هذه المقولة أساس الصراع المحتدم بين الاتجاهات والفرق المتناحرة علىٰ أرضية الحضارة الإسلامية، فجاء ابن تيمية ليفند هذا الادعاء، ويؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن العقل والشريعة متعاونان علىٰ رسالة واحدة، ساعيان إلىٰ غاية واحدة هي الحق المطلق)[2].

ويقول الدكتور محمد السيد الجليند:

(يقرر ابن تيمية أن عامة ما تنازع فيه الناس من المسائل الإلـٰهية لا يوجد فيها نقل صحيح مناقض لمعقول صريح)[3].

ويقول الدكتور الجليند مبيناً أهمية كتاب ابن تيمية «درء التعارض»:

---

(١) «الوصية»، ابن مري الحنبلي، تحقيق فهد العتيبي (ص١٤١)، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ، دار بلنسية، الرياض.

(٢) «تقريب درء التعارض» (ص٨).

(٣) «الإمام ابن تيمية وقضية التأويل» (ص٢٣٨).

(يعالج الكتاب مشكلة العلاقة بين العقل والشرع، تلك المشكلة التي أرقت كثيراً من المفكرين قديماً وحديثاً، وقد حدد ابن تيمية الأسباب الكامنة وراء الزعم بتعارض العقل والنقل في أمور أهمها: عدم التفرقة في كثير من الأحيان بين العقل القطعي الصريح الدلالة وبين ما يسميه الناس معقولات أو دلالة عقلية، فليس كل ما يراه الناس معقولاً يكون قطعي الدلالة، وليس كل ما يراه الناس شرعاً وشريعة صحيحاً متناً أو سنداً أو استنباطاً، ولقد أخذ المؤلف في مواقفه مع معارضيه بمنهج تحليلي رائع وفريد)[1].

يقول شيخ الإسلام:

(يمتنع أن يقوم عقلي قطعي يناقض نقلي صحيح صريح، فتبين أن كل ما قام عليه دليل سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي. ومثل هذا الغلط يقع فيه كثير من الناس، يقدرون تقديراً يلزم منه لوازم، فيثبتون تلك اللوازم، ولا يهتدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً، والتقدير الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة)[2].

وسبب اهتمام ابن تيمية بهذه القاعدة العظيمة، اضطراب الناس في مدىٰ برهانية المنقول والمعقول، الذي أنتج معضلة فكرية واجهت العقل البشري ـ قديماً وحديثاً ـ وعجز كثير من العقلاء عن الإجابة علىٰ سؤال مهم جداً، وهو:

ما هو مرجعنا في التفكير؟

النقل أم العقل؟ وأيهما يصلح برهاناً وحكماً علىٰ الآخر؟

وهل يصلح أن يكون العقل مرجعاً بنفسه؟

هذا السؤال الكبير، حيّرَ الفكر البشري عملياً ونظرياً، وجعل أذكياء الفلاسفة وأهل الكلام ـ كالرازي والآمدي وغيرهما[3] ـ يقعدون لهم قواعد في

---

(١) «تقريب درء التعارض» (ص٨).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٨٠).

(٣) **أقول**: يقول الرازي: (القرآن مشتمل علىٰ دعوة الخواص، والعوام تنبو في أكثر الأمور عن إدراك الحقائق العقلية المحضة، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم محض فوقع في =

تقديم العقليات على النقليات، وجعل الأولى ثوابت قطعية، وبراهين يقينية، والثانية ظنيات نسبية!

لقد قرأتُ لكثيرين يطالبون بأن يكون العقل قائداً ومدبراً، ويكون الوحي تابعاً له، فإذا تعارض العقل مع الوحي، فإننا نقدم العقل، أما الوحي فيؤول، أو تلوىٰ عنقه كي يلتقي مع العقل الذي يسمونه: البرهان، المنطق، اليقين، الحق، الميزان. فإذا تقابلت حقائق برهانية ـ كما يسمونها ـ مع نصوص دينية ثابتة فإنهم يضحون بالوحي!

وذهب آخرون إلىٰ وجهٍ آخر، فقالوا: سبب فرقتنا هو الدين، فلذلك يجب أن يكون مرجعنا جميعاً العقل، فالعقل فينا واحد، وبذلك يمكننا أن نتحد في نسق واحد، يكون الجامع المشترك هو العقل، ويكون هو مرجعنا وحكمنا.

وهذه الآراء لا يخفىٰ أنها جاءت بتأثير من الغرب القديم والحديث، ذلك الغرب الذي جعل العقل في مقابل النص، وكأنهما ضدان لا يجتمعان، وعلىٰ حين رفعوا مكانة العقل حتىٰ جعلوه صنماً، فقد هووا بالنص فجعلوه لا شيء!

= التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة علىٰ بعض ما يناسب ما تخيلوه وتوهموه، ويكون مخلوطاً بما يدل علىٰ الحق الصريح). «أساس التقديس» (ص١٩٢).

وقال الآمدي: (ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة وأقوال بعض الأئمة، وهي بأسرها ظنية، ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية، فلهذا آثرنا الإعراض عنها ولم نشغل الزمان بإيرادها). «غاية المرام» (ص٢٠٠).

وقال الآمدي أيضاً: (وعلىٰ الجملة فلسنا نعتمد في هذه المسألة ـ يقصد الرؤية ـ علىٰ غير المسلك العقلي الذي أوضحناه، إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصارات العقلية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا علىٰ سبيل التقريب واستدراج قانع بها إلىٰ الاعتقاد الحقيقي إذ رب شخص يكون انقياده إلىٰ ظواهر الكتاب والسنة واتفاق الأمة، أتم من انقياده إلىٰ المسالك العقلية والطرق اليقينية لخشونة معركها وقصوره عن مدركها). «غاية المرام» (ص١٧٣).

وقال الصاوي: (الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر). «حاشية علىٰ تفسير الجلالين» (٣/ ١٠).

ولقد بيَّن الفيلسوف الألماني (**فريدريك نيتشه**) أنَّ العقل أضحىٰ صنم الفلاسفة الأكبر، آمنوا بقدراته علىٰ اكتشاف الحقيقة والوجود، وجعلوه الحاكم المطلق، واعتبروا قوانينه قوانين الوجود، ثم فصَلوه عن الحياة، بل جعلوه فوق الوجود، وهكذا جعلوه إلـٰهاً ذا سلطة إلـٰهية وجوهر إلـٰهي[1].

وبعد ذلك التعظيم للعقل؛ قالوا: العالِم لا يكون متديناً، والمتدين لا يكون عالماً. وقد تأثر بهذا المنهج بعض ضعاف النفوس من المسلمين.

ولو تأمل الإنسان في هذا الموضوع لوجدَ أن العقول تختلف في الذكاء، كما تختلف في العلم والمعرفة، وإذا كانت الأديان تقوم علىٰ النص وتفهمه، فإن الفلسفة وكثير من العلوم تقوم علىٰ العقل، وإذا كانت الاختلافات الدينية كثيرة مع أنها تنتمي لأديان معدودة، فكيف باختلاف العقول وهي تنتمي إلىٰ عقول غير محدودة، ومن ثم إلىٰ مرجعيات غير متناهية!

ثم هناك نقطة أخرىٰ جوهرية، وهي أن من يتأمل طبيعة العقل البشري يعلم أنه يصعب عليه أن يعمل دون وجود **إطار مرجعي، يمنحه شيئاً** من الثوابت والأسس الصارمة، ولا يمكن أن يكون العقل نفسه مرجعاً لذاته.

إن العقل لا يمكن أن يستقل بتقرير الأحكام وحده، أو يكون مرجعاً بذاته لذاته، وذلك لعدة أمور:

١ ـ أن العقل صفحة بيضاء، تمتلئ عبر الأيام بالعقائد والعادات والتقاليد، وعن طريق ذلك المجموع يتخذ العقل تصوراته.

٢ ـ من الأمور الواضحة أن (**الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره**)، فالعقل لا يمكن أن يحكم ذاتياً علىٰ الأشياء دون تصورها، ولذا لا يمكننا أن نعطي حكماً في شخص ما، أو في أمر ما، ونحن لا نعرف عنه شيئاً!

فتصورنا للأشياء أساس حكمنا عليها، وتلك هي المرجعية التي تتكون لبناتها منذ النشأة، وسط البيئة، والدين، والعادات، والتقاليد، فهذه

---

(١) انظر: «نحن والصديق اللدود»، نعمان السامرائي (ص٧٢).

المتراكمات هي اللبنات المعرفيَّة التي تشكل قاعدة التصور، والتي من خلالها ينطلق العقل في حكمه علىٰ الأشياء قياساً عليها وفي ضوئها، ومن هنا يأتي التفاوت في الأحكام العقلية تابعاً للاختلاف في التصورات، فما يراه الإنسان خرافة بحكم العقل، يراه غيره حقيقة بحكم العقل، وما تراه باطلاً بحكم عقلك، أراه حقاً بحكم عقلي، وهكذا يكون أصل الخلاف العقلي راجع للتصور.

٣ ـ لو رجعنا لذات العقل، لوجدنا أن العقول متفاوتة في التصور والإدراك نفسه، ليس بحسب مرجعية وخلفية التقاليد والعادات والدين والموروث فقط، بل لذات العقل الذي يختلف في الإدراك والتصور من شخص إلىٰ شخص؛ أي: اختلاف القوة العاقلة بين الناس.

٤ ـ بل لو ذهبنا إلىٰ نفس الشخص، لوجدنا أن إدراكاته العقلية، وتصوراته للأحكام، تختلف من مرحلة إلىٰ مرحلة، فالشيء الذي يرىٰ أنه حق في زمن ما، يراه الآن باطل، وهكذا.

٥ ـ أن كبار فلاسفة العقول الذين يعول عليهم عبر التاريخ، لم يتفقوا علىٰ أكبر البديهيات، كأصل وجود المخلوق، وطبيعة الوجود وأصله!

٦ ـ أن أكثر الفلاسفة في الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد وابن باجة وابن طفيل، لم يتفقوا علىٰ أكثر الأشياء بداهة، فما يقرره الأستاذ ينقضه تلميذه، ونحن لا نتكلم عن الفروع الفقيهة بل عن أصول الوجود والخلق والخالق. بل إن بعضهم أثبت أفكاراً في غاية السخف عقلاً كنظرية **(العقول العشرة)**!

٧ ـ أن كبار رواد المدارس العقلية نجدهم يقرون ويعترفون بفشلهم، وحيرتهم وضياعهم، نتيجة فشل مناهجهم العقلية. ولهذا كله فلا بدّ من مرجعية ينتظم فيها العقل، ويكون فيها دائراً وباحثاً وخادماً.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**، ناقداً قاعدة العقلانيين:

(القول بتقديم الإنسان لمعقوله علىٰ النصوص النبوية؛ قول لا ينضبط،

وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما يسمونه عقليات، كل منهم يقول: إنه يعلم بضرورة العقل أو بنظره ما يدعي الآخر أن المعلوم بضرورة العقل أو بنظره نقيضه.

وهذا من حيث الجملة معلوم؛ فالمعتزلة ومن اتبعهم من الشيعة يقولون: إن أصلهم المتضمن نفي الصفات والتكذيب بالقدر ـ الذي يسمونه التوحيد والعدل ـ معلوم بالأدلة العقلية القطعية، ومخالفوهم من أهل الإثبات يقولون: إن نقيض ذلك معلوم بالأدلة القطعية العقلية. وكلٌّ من طائفتي النفي والإثبات فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ما هم متميزون به علىٰ كثير من الناس، وهذا يقول: إن العقل الصريح دل علىٰ النفي، والآخر يقول: العقل الصريح دل علىٰ الإثبات.

ثم كل من كان عن السنة أبعد، كان التنازع والاختلاف بينهم في معقولاتهم أعظم، فالمعتزلة أكثر اختلافاً من متكلمة أهل الإثبات، وبين البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره.

وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع؛ بل هم أعظم الناس اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارىٰ.

وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة، بل وبالتصوف، الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول ﷺ تجدهم فيه حيارىٰ)[1].

وقد وجد ابن تيمية أن أصل ضلال الناس هو الخوض في الأمور الغيبية بعقولهم، وأن أصل اختلافهم في أديانهم هو من جهة تحكيم العقل فيما لا سلطان له عليه.

يقول الشيخ الدكتور محمد خليل هراس:

(نظر ابن تيمية فوجد الاختلاف في العقائد قد بلغ حدّاً لا يجمُل الإغضاء عنه، ورأىٰ أن كل فرقة تدعي أن عندها من المعقول ما ليس عند

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٥٦).

غيرها، وأن مذهبها هو المذهب الصحيح الموافق لصريح العقل، ولم يجد هنالك ما يصح أن يكون مرجعاً لهذا، الفِرق كلها ترد إليه ما تنازعت فيه ليحكم بينها غير الكتاب والسنة»[1].

وقد تأمل ابن تيمية الأمور ملياً، فوجد أن توجّه معارف الناس ينقسم إلىٰ قسمين تبعاً لأصله:

أولاً: عالم الغيب، أو ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا).

ثانياً: عالم الشهادة، أو الطبيعة.

فوجد أن أصل ضلال الناس إنما وقع من جهة إعمالهم عقولهم في العالم الأول، وإهمالهم للعالم الثاني الذي هو نطاق ومسرح العقل الحقيقي. ولبيان ذلك تفصيلياً، نقول:

أولاً: عالم الغيب، أو ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا):

نعىٰ ابن تيمية علىٰ الفلاسفة ومن تابعهم من رواد المدارس الكلامية والعقلية، إعمالهم العقل كأصل في هذا العالم الغيبي، إذ إنَّ هذا العالم غيب وغير مشهود، والعقل ليس من وظيفته الصعود إلىٰ هذا العالم، إذ هو عالم موقوف علىٰ نزول الوحي، فأسماء الله وصفاته وسائر أمور الغيب توقيفية، ودور العقل فيها التلقي والفهم والاستيعاب، ثم العمل.

لكن الفلاسفة ومن تابعهم راموا الوصول لعالم الغيب بعقولهم المجردة، فضلوا وأضلوا، وأضاعوا أوقات الأمة، وجهودها، وعطلوا عقولها الذكية في تسطير الأوهام، فكتبت آلاف الكتب في الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وعشرات الآلاف من الشروح، وتناظر الناس وتصارعوا فيما دخل عليهم منها.

وضاعت علىٰ الأمة مئات السنين وعقلها مخدر في تلك الأوراق الصفراء، تعيد وتكرر في كلام أرسطو وأفلاطون في الإلـٰهيات، وفي الماهية

---

(١) «باعث النهضة الإسلامية، ابن تيمية السلفي» (ص٥١).

والذات، والوجود والعدم، فعطل عقل الأمة عن مسرحه الحقيقي، ونقل إلىٰ مكان ليس له إطلاقاً، فضاع العقل وضاع الدين!

يقول ابن خلدون عن الفلسفة: (تصفحها كثير من أهل الملة، وأخذ من مذهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم، وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها)[1].

ولو أن تلك الجهود الجبارة والعقول الذكية وجهت إلىٰ دراسة الهندسة والرياضيات والطب ونحوها، لعاد ذلك علىٰ الأمة بخير كبير ومنفعة عظيمة، تعود علىٰ الأمة بخير في دنياها، ولا تمس دينها بشيء، لأن تلك العلوم يقينية.

يقول ابن تيمية:

(إن علم الحساب الذي هو علم بالكم المنفصل، والهندسة التي هي علم بالكم المتصل، علم يقيني لا يحتمل النقيض البتة)[2].

وفي المقابل يقول عن الفلسفة: (وأساطين الفلسفة يزعمون أنهم لا يصلون فيه ـ العلم الإلـٰهي ـ إلىٰ اليقين، وإنما يتكلمون فيه بالأولىٰ والأحرىٰ والأخلق، وأكثر الفضلاء العارفين بالكلام والفلسفة بل وبالتصوف الذين لم يحققوا ما جاء به الرسول تجدهم فيه حيارىٰ)[3].

ومن يتأمل حقيقة الفلسفة اليونانية التي هي مصدر علوم فلاسفة الإسلام، يجد مدىٰ تفاهة ما وصلت له في الإلـٰهيات، فهؤلاء اليونان يعتقدون أن الأفلاك آلهة تتصارع في السماء، وتلك مرحلة وثنية بدائية هي أقرب للأساطير ـ ميثولوجيا ـ منها للعقل، فما كان يدور فيها من خرافات وأساطير الأورفية، والإلياذة، والأديسا ونحوها، يدل علىٰ ذلك بوضوح تام.

ولم تختلف المدارس الفلسفية اليونانية (٧٠٠ ق.م ـ ١٥٠م) التي يزعم أنها فلسفية عن تلك الروايات والأساطير، فما اعتقده طاليس الملقب بأبي

---

(١) «مقدمة ابن خلدون» (ص٤٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/١٢٦).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٥٩).

الفلسفة وتلاميذه انكسمدريس، وانكسمنس، وديمقريطس، وما ذهب إليه رواد المدرسة الفيثاغورسية اليونانية، ورواد المدرسة الإليائية: زينون، واكسانوفان، ورواد المدرسة الأيونية: هيروقليطس، وغيرهم في الإلـٰهيات ليس إلا وثنية وخرافات.

وما ذهب إليه أفلاطون وإن كانت مدرسته أقل خرافة ممن سبقها، إلا أنها لا تختلف كثيراً في الإلـٰهيات عمن سبقها، فنظرية (المُثل) و(العقول) وغيرها ليست إلا خرافات وثنية.

صحيح أنه حصل التطور الكبير في الفلسفة اليونانية، وخاصة في الجانب الطبيعي علىٰ يد أرسطو الذي برع في الرياضيات إلىٰ جانب برعاته في المنطق والفلسفة، لكنه لم يختلف في تصوراته في الإلـٰهيات عن تصورات قومه اليونان.

والتصور الفلسفي اليوناني للعقل تصور في قمة السذاجة، حيث إنهم اعتقدوا أن العقل كائن مستقل؛ أي: ليس حالة ذهنية مجردة، وإنما جوهر مستقل بذاته، حتىٰ وصل بهم الأمر إلىٰ اعتقاد أن العقل الجوهر ليس إلا إلـٰه، ولذلك ذهب أرسطو إلىٰ أن كينونة الله هي عبارة عن ثلاثية الأبعاد: عقل، عاقل، معقول.

هذا التصور (الميثولوجي) كان موجوداً في الروايات (الأورفية) قبل وجود المدارس الفلسفية اليونانية، حيث كان اليونان يعتقدون أن الأفلاك والنجوم والأجرام السماوية (آلهة) تدبر الكون، فالشمس، والقمر، والزهرة، وعطارد. . . إلخ، ليست سوىٰ آلهة يونانية مكونة من قسمين: هيكل الأفلاك، وعقولها!!

ولذلك تطور هذا الفكر الخرافي منذ ذلك الزمن، ومروراً بأرسطو، حتىٰ وصل إلىٰ الفيلسوف الغنوصي أفلوطين، الذي طوّر نظرية (الفيض الإلـٰهي) وصاغها في نظريته (العقول العشرة)؛ أي: الأفلاك وعقولها، وأنها هي التي تدبر العالم، وأن الله ـ تعالىٰ ـ أوكل لها تنظيم العالم وتدبيره، وأما الله ـ تعالىٰ عما يقولون ـ فقد جلس في برجه العاجي بعيداً عن أحداث العالم، تاركاً أمر

تصريف الكون الفسيح لهذه العقول (الأفلاك)، وأصبح فلك (القمر) هو المسؤول عن تدبير أمر العالم السفلي (الأرض) وما حولها[1]!!

هذه النظرية الخرافية تلقفها فلاسفة العالم الإسلامي كالفارابي وابن سينا، وفسّروا بها (النبوة) علىٰ أنها قوة قدسيَّة تستخدم قوة التخييل والقوىٰ النفسانية لتلقي المعلومات عبر عملية (الفيض) اللاإرادي من العقول العشرة، ولذلك ذهب الفارابي وابن سينا إلىٰ أن الفيلسوف أفضل من النبي، لأن النبي معلوماته قائمة علىٰ قوة التخييل، أما الفيلسوف فقائمة علىٰ القوة العقلية، وهذا خير دليل علىٰ الحصاد المر للفلسفات الوثنية التي توصف بأنها عقلية يعارض بها النقل وتقدم عليه!

يقول ابن تيمية: (فلسفة القدماء فإن فيها من التقصير والجهل في العلوم الإلـٰهية ما لا يخفى علىٰ أحد)[2].

وبيَّن ابن تيمية أن العقلاء الذين خبروا كلام أرسطو وغيره من الفلاسفة في العلم الإلـٰهي؛ علموا أنهم من أقل الناس نصيباً في معرفة العلم الإلـٰهي، وأنهم أكثر الناس اضطراباً وضلالاً، وكلامهم في الإلـٰهيات ففي غاية الاضطراب[3].

ويقول ابن تيمية مبيناً حال الفلاسفة الذين استقوا دينهم من تلك الفلسفات:

(إن الله قد أرسل رسله بالحق وخلق عباده علىٰ الفطرة، فمن كملَ فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدىٰ واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض، لكن هؤلاء ـ أي: الفلاسفة وأهل الكلام ـ أفسدوا فطرتهم العقلية، وشرعتهم السمعية، بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه إلىٰ الحق)[4].

---

(١) للاطلاع علىٰ فلسفة اليونان انظر: «الملل والنحل» الشهرستاني، و«الفلسفة اليونانية» يوسف كرم، و«ربيع الفكر اليوناني» عبد الرحمٰن بدوي، و«خريف الفكر اليوناني» عبد الرحمٰن بدوي.. وغيرها.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٨/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٣) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٧٢). (٤) «منهاج السنة» (٥/ ٢٧١).

ثانياً: عالم الشهادة، أو الطبيعة:

وإذا كان العقل ليس مكانه عالم الغيب، إذ دوره محصور في هذا العالم بالتلقي والفهم والعمل بما ينزل به الوحي، لأن الله ﷻ قد تكفل ببيان دينه، وتيسير شريعته لكل مدكر، وقد جاء الأنبياء بالدين أبيضاً ونقياً وسهلاً واضحاً لعموم الناس.

ولذا فلا حاجة للبشر لأن يضيعوا أوقاتهم وأعمارهم وعقولهم في تقصي حقائق الغيب من طريق غير طريق الوحي، الذي هو المعين الصافي.

وما ضل من ضل في الأمة، إلا حينما صرف عقله من محله الصحيح إلىٰ غير محله؛ أي: من عالم الشهادة إلىٰ عالم الغيب، فبدلاً من أن تذهب الجهود وتوجه العقول الذكية لعالم الطبيعة وعلومها كالهندسة والرياضيات والطب والعمران ونحوها مما ينفع الأمة، وُجهت العقول الذكية للفلسفة والمنطق بحثاً عن الله وعن صفاته وحقيقته!

فلا الحياة عُمرت، ولا الدين حفظ وصين من عبث العابثين، بل زاد فيه العبث والتحريف والأوهام، ونشبت الخلافات والصراعات الدينية بين أبناء الأمة الإسلامية، وسالت الدماء وقتلت الأنفس، ولم يهتد هؤلاء إلىٰ الحق ولا ذاقوا برد اليقين.

يقول ابن تيمية: (وهكذا كل من أمعن في معرفة هذه الكلاميات والفلسفيات التي تعارض بها النصوص من غير معرفة تامة بالنصوص ولوازمها وكمال المعرفة بما فيها وبالأقوال التي تنافيها؛ فإنه لا يصل إلىٰ يقين يطمئن إليه، وإنما تفيده الشك والحيرة، بل هؤلاء الحذاق الذين يدعون أن النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه؛ تجدهم حيارىٰ في أصول مسائل الإلـٰهيات، حتىٰ مسألة وجود الرب تعالىٰ وحقيقته حاروا فيها حيرة أوجبت أن يتناقض هذا كتناقض الرازي وأن يتوقف هذا كتوقف الآمدي)[1].

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٤).

ويبيِّن شيخ الإسلام أن أرباب العقول والمناهج الفلسفية هم من أكثر الناس حيرة وضلالاً واضطراباً، فهذا ابن واصل الحموي أفضل أهل زمانه في المنطق والفلسفة والكلام، يقول: (أضطجع علىٰ فراشي، وأضع الملحفة علىٰ وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وهؤلاء حتىٰ يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء)[1].

ثم يعلق شيخ الإسلام عليه منبهاً ومشيراً إلىٰ اشتغاله فيما بعد فيما فيه فائدة له، قائلاً:

(ولهذا انتهىٰ أمره إلىٰ كثرة النظر في الهيئة ـ العمارة والهندسة ـ لكونه تبين له فيه من العلم ما لم يتبين له في العلوم الإلـٰهية)[2].

ثم يبيِّن الفرق بين إنتاج الفلاسفة العقلي وإنتاجهم الطبيعي، موضحاً أن إنتاج الفلاسفة الطبيعي كالطب والهندسة والرياضيات جيد وصحيح، بخلاف إنتاجهم في الجانب الميتافيزيقي الذي يزعمون أنه عقلي.

يقول ابن تيمية: (فإن الفلاسفة كلامهم في الإلـٰهيات والكليات العقلية كلام قاصرٌ جداً وفيه تخليطٌ كثيرٌ، إنما يتكلمون جيداً في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد)[3].

وبيَّن ابن تيمية أن العقلاء الذين خبروا مذاهب الفلاسفة في العلم، يعلمون أنهم أقل نصيباً في معرفة العلم الإلـٰهي، وأنهم أكثر الناس اضطراباً وضلالاً، أما كلامهم في الحساب والعدد والرياضيات فغلطهم في ذلك قليل نادر، وكلامهم في الطبيعيات غالبه جيد[4].

فلو وجهت عقول الأمة ـ قديماً وحديثاً ـ إلىٰ الإبداع في العالم الطبيعي، والاتباع في العالم الغيبي لكان لها اليوم شأن آخر غير الذي هي عليه الآن، لكنها ـ وللأسف الشديد ـ غلب علىٰ عقولها الذكية الابتداع في

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥)، «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٠٩).
(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٦٥). (٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٥).
(٤) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٧٢).

العالم الغيبي، والاتباع في العالم الطبيعي، وأهدرت العقول والكتب في مؤلفات علم الكلام والمنطق وشروحه وحواشيه وتعليقاته، فصارت العقيدة صعبة المنال، وخاصة بقلة قليلة من أهل فنون المنطق والكلام[1]!

---

(١) **أقول**: *تحضرني هنا تجربة اليابان التي أرىٰ أنها خير شاهد علىٰ أهمية إعمال العقل* في عالم الطبيعة، وأخذ المنهج العلمي القائم علىٰ التجربة والملاحظة والاستقراء.
فاليابان تعد الآن من الناحية الصناعية متقدمة جداً علىٰ أكثر البلدان الغربية، بل إن صناعاتها أدق علمياً وأكثر تطوراً من مثيلاتها الغربية، مع أن اليابان لم تدرس ولم تأخذ فلسفات أوروبا والغرب، بقدر ما أخذت الوسائل المنهجية للمنجزات الحضارية، لقد تعلم اليابانيون منهج الاستقراء، والملاحظة، والتجربة، حتىٰ أتقنوها، وتعلموا الصناعة، ورجعوا إلىٰ بلدانهم صنّاعاً وصلوا باليابان إلىٰ مصاف الدول المصنعة الكبرىٰ!
وتحضرني قصة طريفة عن اليابان: ففي بداية عصر النهضة في الشرق، سبقت دولة عربية وهي (مصر) اليابان في الإرساليات التعليمية إلىٰ إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا بحوالي ١٠٠ سنة.
ولما أرادت اليابان بعث إرسالياتها العلمية إلىٰ الغرب، أرسلت بعثة علمية إلىٰ مصر تستشيرها في ذات الموضوع، فأشار المصريون عليهم بإرسال البعثات العلمية وشجعتهم عليها. ولما سأل اليابانيون عن طبيعة مجال البعثات المصرية؟
قال المصريون: نحن نرسل أولادنا إلىٰ الغرب لتعلم الفلسفة، والموسيقىٰ، والثقافة، وبعض الصناعات.
فقال لهم اليابانيون: لسنا بحاجة إلىٰ تعلم موسيقىٰ أو فلسفة، نحن بحاجة إلىٰ تعلم صناعة الماكينات، ومعرفة تصميم الآلات الصناعية الضخمة، هذا ما نحتاجه فقط.
وقد أوصىٰ الإمبراطور الياباني هؤلاء الشباب بإتقان عملهم، وشدد عليهم بأن لا يرجعوا إلىٰ بلدهم إلا وقد أتقنوا صناعة الماكينات الآلية.
وبعد سنوات رجع هؤلاء الشباب وقد أتقنوا عملهم، وأنجزوا مهمتهم علىٰ أكمل وجه، واستقبلهم الإمبراطور، وأقاموا حفلاً بمناسبة تصنيع أول ماكينة يابانية، فقام هؤلاء الشباب وصبوا قطع الحديد حسب المقاسات التي تعلموها، وركبوا منها ماكينة جديدة، ثم قاموا بتشغيلها، فاشتغلت الآلة بشكل ناجح، لكن صدر عنها صوت مزعج جداً. فقال لهم الإمبراطور: إنه أعذب صوت سمعته في حياتي، لأنه صوت نابع مما صنعته يد يابانية!
في المقابل، هذه مصر سبقت اليابان بـ(١٠٠) سنة في مجال البعثات التعليمية، ومع ذلك لا تزال في مؤخرة العالم، واليابان الآن في مقدمة العالم المتحضر!!
لقد رجع رفاعة الطهطاوي من باريس مفلساً، وليس في جعبته إلا الإعجاب بباريس =

ثم نبّه ابن تيمية لأمرٍ مهمٍّ جداً، وهو أن بعض علماء الكلام ومن تابعهم حينما أدخلوا عقولهم في الفلسفة وإنتاجها مع ضعفهم في الجانب الشرعي، أصبحوا متخبطين في الشرع والعقل معاً، فأصبحوا يرفضون جوانب عقلية وطبيعية صحيحة أتىٰ بها الفلاسفة، ظناً من المتكلمين أنها تخالف الشرع، وسبب ذلك قصر نظرهم العقلي، وقلة بضاعتهم الشرعية، فأنكروا كروية الأرض وبعض الحقائق العلمية بسبب هذا القصور والخلط.

يقول ابن تيمية: (مثل من يرىٰ كثيراً من المتكلمين يخالفهم ـ أي: يخالفون الفلاسفة ـ في أمور طبيعية ورياضية ظاناً أنه ينصر الشرع ويكون الشرع موافقاً لما عُلم بالعقل. مثل استدارة الأفلاك فإنه لم يُعلم بين السلف خلافٌ في أنها مُستديرة، والآثار بذلك معروفةٌ والكتاب والسنة قد دلا علىٰ ذلك، وكذلك استحالة الأجسام بعضها إلىٰ بعض هو مما اتفق عليه الفقهاء كما قال هؤلاء، إلىٰ أمور أُخر. لكن كثيراً من المتكلمين أو أكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل ينصر مقالات يظنها دينُ المسلمين بل إجماع المسلمين ولا يكون قد قالها أحدٌ من السلف، بل الثابت عن السلف مُخالفٌ لها)[1].

ولذلك ركز ابن تيمية جهده واهتمامه لنقض هذه الأوهام المنطقية والفلسفية والكلامية، التي أضرت بالعقل والشرع معاً، وأصبحت عائقاً أمام عقل الأمة، ومشوهاً ومحرفاً لعقيدتها البسيطة الصافية، ولم يكن هدف ابن تيمية مصادرة هذه العلوم الفلسفية والمنطقية بالتشهي والمزاج، بل عاش ابن تيمية في واقع مرير غلبت فيه تلك العلوم علىٰ عقول أهل عصره وزمانه.

يقول ابن تيمية مبيناً منهجه في دراسة تلك الأفكار المنطقية، وأنه لا

= وبنسائها المتبرجات، ورجع الطلاب المصريون وهم يجيدون الفلسفة والغناء والعزف والرقص وشيء من العلم، في المقابل رجع الياباني إلىٰ بلده وهو يعرف كيف يصنع القطارات والسيارات وأدق الأجهزة الإلكترونية!

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٣٣٤).

يقصد نقضها لمجرد أنها أفكار أجنبية، وأنه لا يحمل نية مبيتة لذلك، بل هدفه هو بيان ما ينفع منها وما لا ينفع:

(كنت أحسب أن قضاياه صادقة لما رأينا من صدق كثير منها، ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياه وكتبت في ذلك شيئاً. . ولم يكن هذا من همتي لأن همتي كانت فيما كتبته عليهم في الإلـٰهيات. وتبين لي أن كثيراً مما ذكروه في المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلـٰهيات، مثل ما ذكروه من تركيب الماهيات من الصفات التي سموها ذاتيات، وما ذكروه من حصر طرق العلم فيما ذكروه من الحدود والأقيسة البرهانيات، بل ما ذكروه من الحدود التي بها تعرف التصورات بل ما ذكروه من صور القياس ومواده اليقينيات)[1].

إن ابن تيمية عبقري من عباقرة الفكر الإنساني، وقد سبق فلاسفة الغرب ومفكريهم إلىٰ نقد المنطق الأرسطي، وبيان ما فيه من نقص وخلل، ويحيف الباحثون علىٰ الحقيقة حين ينسبون إلىٰ **بيكون، وجون ستيوارت مل** وأمثالهم من مفكري الغرب وفلاسفته الفضل الأول والأخير في تقويم المنطق الأرسطي وضبط منطق الاستقراء، فابن تيمية كان أسبق منهم جميعاً إذ نقد المنطق الأرسطي في عصر كان فيه ذلك المنطق صنم الفكر المعبود، نقده نقداً صحيحاً وشيّد للأمة منطقها العقلي الخالص.

لكن الفرق بين ابن تيمية وبين أمثال: بيكون، وستيوارت مل، هو أن هؤلاء وجدوا من يحتفي بهم، فذاع لهما ذلك الصيت البعيد، أما ابن تيمية فكان بين معجب لم يعن ببحث مناحي العظمة الفكرية للإمام ابن تيمية، وبين مُبغض ومخالف يحاول طمس هذه العظمة وتلك العبقرية[2].

وهذه حقيقة مؤسفة، إذ لو كان ابن تيمية من علماء الغرب لوجدت له تلك الحفاوة والتعظيم اللائق به، خاصة جوانبه العقلية المتميزة، لكنه للأسف لم يلق تلك العناية اللائقة به كعالم ومجتهد جدد للأمة في نواحٍ كثيرة، بل

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٨٢).

(٢) انظر: مقدمة كتاب «نقض المنطق»، عبد الرحمٰن الوكيل (ص٥).

للأسف لا يزال البعض يصر علىٰ التجني علىٰ ابن تيمية، وتعمد الافتراء عليه، بل وتكفيره!

وأخيراً. . أجدني أتفق مع الدكتور محمد رشاد سالم رَحِمَهُ اللَّهُ حينما قال:

(إنني أعتقد أن نهضة المسلمين وانبعاثهم من رقدتهم وغفوتهم إنما تتوقف إلىٰ حد كبير علىٰ مدىٰ أخذهم بهذا التيار السلفي السني، أخذاً قائماً علىٰ الفهم والدراسة والعلم والعمل بالعلم، لا أخذاً قائماً علىٰ التعصب الفارغ والحماسة العاطفية)[1].

---

(١) «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ص٥).

المبحث السابع




موقف ابن تيمية من تكفير المسلمين

من المسائل المهمة والخطيرة والتي كثيراً ما تعرّض لها خصوم الدعوة السلفية عموماً وابن تيمية خصوصاً: مسألة تكفير المسلم، حيث كُتب بهذا الصدد الكثير من الكتب، لكن مما يؤسف له أن خصوم الدعوة كثيراً ما يحيفون في حكمهم في هذه المسألة بالذات، ويتهمون ابن تيمية بشكل خاص بأنه مُنظر التكفير، ومؤسس الإقصاء!

ومن يتأمل جوهر مذهب ابن تيمية؛ بل الدعوة السلفية يعلم علماً يقينياً أنهم براء مما يُتهمون به، وأنهم كذلك براء من التفريط والإفراط، ولبيان هذه المسألة بشكل واضح لا بدّ من توضيح بعض الأمور المهمة في هذا الموضوع.

أولاً: مقدمات وقواعد منهجيّة في مسألة التكفير:

قبل الحديث عن مسألة التكفير وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله منها، أود أن أضع بين يديّ القارئ الكريم بعض المقدمات والقواعد المنهجية التي أرىٰ أنها ضرورية في معالجة هذه المسألة، حتىٰ لا نهرب من إفراطٍ فيها إلىٰ تفريط، والفضيلة هي الوسط العدل الذي يقع بين رذيلتين، وهذا الوسط هو حقيقة روح الإسلام ومعدن الشريعة التي فصلت وبيَّنت هذه المسألة، وسار علىٰ ذلك السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وهذه أهم المقدمات والقواعد المنهجية في مسألة التكفير:

١ ـ التكفير موجود في كل دين وفي كل مذهب وفي كل فكرة. ودين ليس فيه أصول يكفر من ينكرها ليس بدين، وهذا أمر تتفق عليه جميع الديانات السماوية كالإسلام واليهودية والنصرانية، بل إن الأيديولوجيات

الوضعيّة كالشيوعية والعلمانية وغيرها يكون تكفيرها بإخراج من لم يؤمن بأصولها عن دائرتها[1].

٢ ـ التكفير حكم شرعي لا يُنكر، وهو من أحكام الله وأحكام رسوله ﷺ، وإنما الإنكار علىٰ من توسع وغلا وأفرط فيه، أو كفر مسلماً.

٣ ـ كل طائفة إسلامية قد تقرر عندها مبدأ التكفير، لكن السلفيون (أهل السنة والجماعة) هم الوسط في هذا الباب، وهم أضبط وأعدل وأقسط الناس فيه، ومنهجهم في ذلك معلوم منضبط.

٤ ـ أن عدم التكفير مطلقاً ليس مفخرة ولا إيجابية؛ لأمرين: أن هذا منافٍ للواقع وتكذيب للوقائع، ثم هو يناقض فكرة الإيمان بفكرة محددة لها أصول ثابتة.

٥ ـ لا توجد طائفة أو فرقة أو دين إلا ويمارس فيه الإقصاء للمخالف مع تفاوت الدرجات. وأعدل وأضبط وأرحم الخلق في تعاملهم مع المخالفين هم أهل السنة والجماعة.

٦ ـ السلفية منهج وليست أشخاصاً، وهي الإسلام بنقائه وصفائه، وكما أن حال أفراد المسلمين اليوم ليسوا بحجة علىٰ الإسلام، فكذلك الحال بالنسبة لأفراد السلفية، فالحجة في منهجهم وأصولهم لا بأفرادهم.

٧ ـ أن الواقع والتاريخ والنصوص تدل وتثبت أن السلفية هي ضحية التكفير والعنف والإقصاء من قبل الآخرين الذين يوصفون بالعقلانية والتنوير والتسامح، فلقد كُفر الإمام أحمد واستحل دمه، وعذب وضرب بالسياط حتىٰ سقط، وسجن، وقُتل خلق من أنصاره، ومنعوا من الحج، وقطعت عنق الإمام أحمد بن نصر المروزي وصلب مدة طويلة، وامتُحن علماء السلف في إيمانهم في فتنة خلق القرآن، وفصلوا من أعمالهم، وقطعت أرزاقهم، وكُفر ابن تيمية، وسجن وضرب وعذب، ونالته الألسن بالألفاظ البذيئة، في زمنه وحتىٰ عصرنا هذا.. والقائمة تطول.

---

(١) **أقول**: انظر تكرماً المبحث التاسع من هذا البحث وهو بعنوان: (موقف الفرق والمذاهب من المخالفين) (ص١٩٠ ـ ٢٢٢).

٨ ـ أن الأخطاء والانحرافات التي تتماشىٰ وتتفق مع أصول المذهب ويقرها، هي ما يدان به المذهب أو تدان به الطائفة، وليست أخطاء الأفراد أو الجماعات التي أصولهم ومنهجهم ومذهبهم يرفضها ويدينها ويرد عليها.

ثانياً: موقف ابن تيمية من التكفير ومن المخالفين:

تناولت الكثير من الدراسات العلمية والأكاديمية المنصفة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التكفير، وأبانت بشكل واضح وجلي حقيقة آراء ابن تيمية، وأنها لا تختلف في شيء عن مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب العدل والرحمة بالمسلمين وبالناس جميعاً.

ونحن هنا لسنا بصدد عرض موقف ابن تيمية بالتفصيل، بل بصدد عرضٍ موجزٍ لأهم آراء وأقوال وأفكار ابن تيمية حول مسألة التكفير وموقفه من المخالفين؛ والتي أطال أهل الخلاف فيها الكلام؛ وامتدت ألسنتهم الحداد ضد ابن تيمية واتهموه بما ليس فيه، وقوّلوه ما لم يقله. أما هنا فأنا أضع بين يديك ـ أخي القارئ ـ كلام ابن تيمية نفسه، وتطبيقاته العملية، ليتضح لك ولكل منصف حقيقة موقف ابن تيمية.

فأول أمر يقرره رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما قرره أهل السنة والجماعة من أن التكفير حكم الله عَزَّ وَجَلَّ، وحكم رسوله ﷺ، وأن التعدي علىٰ المسلم بالتكفير من أعظم الأمور شناعة، وأكثرها بشاعة، وأخطرها أثراً علىٰ الإسلام والمسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتىٰ تقام عليه الحجة، وتُبيّن له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك)[١].

وقال: (ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة)[٢].

وقال مؤكداً منهجه الذي لا يحيد عنه: (هذا مع أني دائماً، ومن

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٦٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٢).

جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت علىٰ الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرىٰ، وعاصياً أخرىٰ)[1].

وبعد بيان خطورة التكفير، وضرورة التحري فيه، يبيِّن المنهج السلفي السني في مسألة التكفير، وأن أهل السنة والجماعة يفرقون في أحكام التكفير بين التكفير المطلق (جنس التكفير) وبين تكفير المعيَّن، لأن للتكفير شروطاً لا بدّ من تحققها، وموانعاً لا بدّ من ارتفاعها حتىٰ يتحقق الحكم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعيّن، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعيّن، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبيّن هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفّروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه)[2].

ويقول: (وكنت أبيّن لهم أن ما نُقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، وهذه أول مسألة تنازعت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة الوعيد، فإن نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ الآية [النساء]، وكذلك سائر ما ورد من فعل كذا فله كذا. فإن هذه مطلقة عامة وهي بمنزلة قول من قال من السلف: من قال كذا فهو كذا. ثم الشخص المعين يلتغي حكم الوعيد فيه بتوبة، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة مقبولة)[3].

ويعتبر ابن تيمية أن هذا المنهج الصارم المنضبط في التكفير هو من خصائص أهل السنة والجماعة، والذي فارقوا فيه أهل الخلاف الذين توسعوا في التكفير، وكفّروا غيرهم من المسلمين لأجل مخالفتهم في مذهبهم الذي

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٢٩).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٨٧).
(٣) «مجموع التفاوىٰ» (٣/ ٢٣٠).

وضعوه من تلقاء أهوائهم وعقولهم وأذواقهم[1]!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون، وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً، وقد يكون كفراً لأنه تبيّن له أنه تكذيب للرسول وسبٌّ للخالق، والآخر لم يتبيّن له ذلك، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر إذا قاله أن يكفر من لم يعلم بحاله)[2].

وقال: (وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون علىٰ من خرج منها ولو ظلمهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨] ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدىٰ والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا)[3].

ثم يبسط ابن تيمية كلامه في بيان منهج أهل السنة في عذر المخالف، وبيان أنهم من أرحم الناس بالمخالفين، ويقول راداً علىٰ أهل الخلاف ومبيناً لهم المنهج الوسط العدل لأهل السنة: (قلت لهم وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته)[4].

---

(١) **أقول**: انظر تكرماً المبحث التاسع من هذا البحث وهو بعنوان: (موقف الفرق والمذاهب من المخالفين) (ص١٩٠ ـ ٢٢٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٥١).

(٣) «تلخيص كتاب الاستغاثة»، تحقيق محمد علي عجال (٢/ ٤٩٠)، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ.

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٧٩).

وقال: (وأما التكفير، فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطأه، ومن تبين له ما جاء به الرسول ﷺ فشاق الرسول ﷺ من بعد ما تبين له الهدىٰ واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد تكون له حسنات ترجح علىٰ سيئاته. فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً بل ولا فاسقاً بل ولا عاصياً)[1].

وقال: (الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام)[2].

ثم يبيّن رحمه الله موقف أهل الخلاف من أهل السنة والجماعة، وموقف أهل السنة من أهل الخلاف، فيقول:

(والخوارج تكفّر أهل الجماعة، وكذلك المعتزلة يكفّرون من خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يكفّر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفّرون من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق)[3].

وقال: (الخوارج هم أول من كفّر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله. وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ١٨٠).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٤٦).
(٣) «منهاج السنة» (٥/ ١٥٨).

والسنة ويطيعون الله ورسوله ﷺ فيتبعون الحق ويرحمون الخلق)[1].

ويبيّن ابن تيمية بكل وضوح موقفه الشخصي ممن كفّره من أهل الخلاف، ليتبيَّن للجميع أنه رَحِمَهُ اللَّهُ هو العالِم الذي يحتذي بكل تجرد منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالفين، وأنهم لا يقابلون التكفير بالتكفير، ولا التفسيق بالتفسيق، ولا الشتم والسباب بمثلها.

يقول ابن تيمية: (هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيَّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية؛ فأنا لا أتعدىٰ حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدىً للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه)[2].

وقال مبيناً أن ذلك هو منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة:

(فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفّرهم. لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنىٰ بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنىٰ حرام لحق الله تعالىٰ، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفّر إلا من كفّره الله ورسوله)[3].

وهذا الكلام من ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ليس كلاماً تنظيرياً بحتاً لا رصيد له من الواقع؛ بل تجد صداه في ممارساته العملية الكثيرة مع المخالفين، فكم مرة كفّروه واعتدوا عليه، وهو يقابل ذلك بالصفح والعفو، والاعتذار لمخالفيه والتماس المبررات لهم.

يقول: (كنت أقول للجهمية من الحلولية، والنفاة الذين نفوا أن الله تعالىٰ فوق العرش ـ لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم. وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٧٩).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٤٥).
(٣) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (٢/ ٤٩٢).

لرؤوسهم في قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له)[1].

ثم يطبق ذلك عملياً، حيث قام أحد شيوخ الصوفية وهو الشيخ علي البكري بتكفير ابن تيمية والاعتداء عليه جسدياً، ومع ذلك لم يحد ابن تيمية عن منهجه السلفي.

قال: (لم نقابل جهله ـ أي: البكري الصوفي ـ وافتراءه بالتكفير بمثله، كما لو شهد شخص بالزور علىٰ شخص أو قذفه بالفاحشة كذباً عليه؛ لم يكن له أن يشهد عليه بالزور ولا أن يقذفه بالفاحشة)[2].

ثم يوصي ابن تيمية عموم الطوائف والفرق الإسلامية بوصية هامة جداً، وهي تجنب التكفير واستحلال الدم فيما بينها، حيث يقول:

(فلا يحل لإحدىٰ الطوائف أن تكفّر الأخرىٰ ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفِّرة لها مبتدعة أيضاً، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه)[3].

ثم يبيّن رَحِمَهُ اللَّهُ بشكل جلي وواضح حقيقة مذهب السلف، ويزيل عنه اللبس، فيقول: (طائفة تحكي عن أحمد في تكفير أهل البدع روايتين مطلقاً، حتىٰ تجعل الخلاف في تكفير المرجئة والشيعة المفضلة لعلي، وربما رجحت التكفير والتخليد في النار، وليس هذا مذهب أحمد ولا غيره من أئمة الإسلام، بل لا يختلف قوله أنه لا يكفر المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ولا يكفر من يفضل علياً علىٰ عثمان، بل نصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم، وإنما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ظاهرة بينة، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد أبتلي بهم حتىٰ عرف حقيقة أمرهم

---

(١) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (٢/ ٤٩٤).
(٢) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (٢/ ٤٩٤). (٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٣).

وأنه يدور علىٰ التعطيل، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة، لكن ما كان يكفر أعيانهم فإن الذي يدعو إلىٰ القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط، والذي يكفّر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق وأن الله لا يُرىٰ في الآخرة وغير ذلك، ويدعون الناس إلىٰ ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفّرون من لم يجبهم حتىٰ إنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتىٰ يقر بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق وغير ذلك، ولا يولون متولياً ولا يعطون رزقاً من بيت المال إلا لمن يقول ذلك، ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ ترحّم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنهم لم يتبيّن لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأوّلوا فأخطؤوا وقلدوا من قال لهم ذلك)[1].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: (فإن الإمام أحمد مثلاً قد باشر الجهمية الذين دعوه إلىٰ خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم علىٰ التجهم؛ بالضرب، والحبس، والقتل، والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم يكفّرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم علىٰ نفي الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر، فلا يولونه ولاية ولا يَفْتَكُّونه من عدو، ولا يعطونه شيئاً من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة ولا فتياً ولا رواية، ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك، فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان، ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان، ومن كان داعياً إلىٰ غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه، ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم، فإن الدعاء إلىٰ المقالة أعظم من قولها، وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٣/٣٤٦ ـ ٣٤٩).

والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب، ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلىٰ القول الذي هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؟ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفّروا المعينين من الجهمية)[1].

ثم يقدم ابن تيمية رؤية أهل السنة والجماعة لأهل الخلاف، الرؤية القائمة علىٰ العدل والرحمة والرأفة بهم، وإجراء أحكام القرآن والسنة عليهم، بعيداً عن تحكم الأهواء المذهبيَّة، والرغبات الطائفيَّة التي دفعت الكثير منهم لظلم المخالف لهم، والتعدي عليه بغير الحق.

يقول ابن تيمية: (إن المتأول الذي قصده متابعة الرسول ﷺ لا يكفَّر، بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج، والمعتزلة، والجهمية، ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة كبعض أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم)[2].

ويقول: (فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول ﷺ وما جاء به، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً)[3].

ثم يعرض ابن تيمية جملة من أصناف أهل الخلاف مبيناً موقفه منهم، كممارسة تطبيقية لآرائه وأقواله السالفة، ليرىٰ القارئ الكريم مدىٰ توافق منهج ابن تيمية وأقواله مع أعماله وتطبيقاته، وهنا تلحظ هذه النفسية الكبيرة القائمة علىٰ العدل والرحمة والإنصاف بحق المخالفين.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩). (٢) «منهاج السنة» (٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٢١٧).

تلك النفسية التي أثرت علىٰ ابن تيمية كثيراً حينما يتناول الطوائف والفرق المخالفة، فابن تيمية أولاً وقبل كل شيء باحث عن الحق، ومن مهمة الباحث العلمي أن يعري ويكشف حقائق الأفكار وزيفها وصدقها، لأنه يقوم بمهمة علمية يفترض فيه الأمانة والصدق والصراحة مع العدالة والرحمة، ومع ما يوصف به ابن تيمية من الحدة والقوة في الجدل، إلا أنه أنصف أشد الطوائف بعداً عن عقيدة أهل السنة، فحينما تناول شيخ الإسلام الجهمية والخوارج والشيعة بالنقد والتحليل، لم تمنعه مخالفتهم والرد عليهم ونقض أصولهم أن ينصفهم ويعدل معهم، ونصوصه في ذلك كثيرة.

فحينما تحدث عن طائفة **الخوارج**، قال فيهم:

(والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين، واتفق علىٰ قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفّرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتىٰ سفكوا الدم الحرام وأغاروا علىٰ أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسْبِ حريمهم، ولم يغنم أموالهم. وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم)[1].

ويتحدث ابن تيمية عن **المعتزلة** وبعض رجالاتها، فيتكلم بعدل وصدق وإنصاف، ولا يدفعه خلافه معهم إلىٰ الكذب عليهم أو ظلمهم أو التعدي عليهم.

فيقول عن أحد أبرز رجالات المعتزلة: (فعمرو بن عبيد وأمثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول ﷺ)[2].

وقال عن المعتزلة: إنهم مع مخالفتهم نصروا الإسلام في مواطن كثيرة،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٨٢).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٤٦).

وردوا علىٰ الكفار والملاحدة بحجج عقلية[1].

وقد عاب شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ **ابن فورك الأشعري** تكفيره للمعتزلة، وتأليب الحكام عليهم، يقول رَحِمَهُ اللهُ عن ذلك:

(قصد بنيسابور القيام علىٰ المعتزلة في استتابتهم وكما كفرهم عند السلطان، ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ويعذرهم بالخطأ في الاجتهاد، بل ابتدع بدعة وعادىٰ من خالفه فيها أو كفره فإنما هو ظالم لنفسه، وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق، ويرحمون الخلق، ويتبعون الرسول ﷺ فلا يبتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول ﷺ عذروه)[2].

وهذا هو ابن تيمية يتحدث عن مخالفيه من أهل الكلام (**الماتريدية والأشاعرة**) فيقول عنهم: (إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد علىٰ كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفىٰ علىٰ من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف)[3].

ويتحدث عن **الأشاعرة** بالذات مع مخالفته لهم في كثير من الأصول والفروع، فيقول:

(إنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلىٰ السنة والجماعة، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلىٰ مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم؛ بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم)[4].

وحينما تحدث ابن تيمية عن **الشيعة** رد عليهم مخالفاتهم بأسلوب علمي رصين، قائم علىٰ البراهين والأدلة العقلية والنقلية، ومع مخالفتهم الكبيرة

---

(١) انظر: «درء التعارض» (٧/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٩٦).

(٣) «درء التعارض» (٢/ ١٠٢).

(٤) «نقض التأسيس» (٢/ ٨٧).

لأهل السنة، ومباينتهم العظيمة لأهل الجماعة؛ إلا أن ذلك لم يمنع ابن تيمية من إنصافهم والعدل معهم.

فيقول وهو يتحدث عن **طائفة الشيعة الجعفرية الإمامية**: (كثيراً منهم ليسوا منافقين ولا كفاراً، بل بعضهم له إيمان وعمل صالح، ومنهم من هو مخطئ يغفر له خطاياه، ومنهم من هو صاحب ذنب يرجىٰ له مغفرة الله)[1].

وقال: (والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد)[2].

وقال منصفاً الشيعة: (وينبغي أيضاً أن يعلم أنه ليس كل ما ينكره بعض الناس عليهم يكون باطلاً، بل من أقوالهم أقوال خالفهم فيها بعض أهل السنة ووافقهم بعضهم، والصواب مع من وافقهم)[3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن لهم جهوداً في دعوة الكفار إلىٰ الإسلام، فدخل علىٰ أيديهم خلق كثير من الكفار، هذا مع إيمانه وتصريحه باشتمال مذهبهم علىٰ جملة من الضلالات والمكفرات في الإسلام.

ويبيّن ابن تيمية نقطة هامة جداً في أخلاقيات السلف الصالح أهل السنة والجماعة مع مخالفيهم، وهي الرحمة بهم والعدل معهم أكثر من رحمتهم لبعضهم البعض!

قال ابن تيمية: (فأهل السنة يستعملون معهم ـ أي: المخالفين ـ العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً، كما تقدم؛ بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً.. ولا ريب أن المسلم العالِم العادل أعدل عليهم وعلىٰ بعضهم من بعض)[4].

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عموماً من أشد الناس رحمة بالمسلمين بشكل خاص،

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٣٠٢).
(٢) «منهاج السنة» (٥/ ١٥٧).
(٣) «منهاج السنة» (١/ ٤٤).
(٤) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

وبالمخالفين بشكل عام، فهذا **الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي** يقول:

(رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد عليّ أني لا أكفِّر أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلىٰ معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات.

قلتُ: ـ أي: الذهبي ـ: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفِّر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ: «**لا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن**» فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم)[1].

فانظر أخي القارئ الكريم ـ وأنت قد قرأت تلك النصوص، وقد تكون قرأت غيرها الكثير، وعرفت مصدرها من كتب ابن تيمية ـ إلىٰ موقف ابن تيمية من المسلمين، وكيف كان يتعامل مع مخالفيه بالرحمة والعدل والحق، وأظنه قد تبيَّن لكل بشكل جلي وواضح أقوال الرجل ومنهجه في هذه المسألة، وعليه كيف نقبل قول القائل: (إن ابن تيمية كان مكفراً للمسلمين، ساعياً في تفريقهم، باذلاً جهده للطعن فيهم) وهذه نصوص ابن تيمية شاهدة بزيف هذا الادعاء وبطلانه جملة وتفصيلاً؟!

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/٨٨).

المبحث الثامن




سيرة ابن تيمية العملية مع مخالفيه

ليست هناك شخصية عظيمة في تاريخنا الإسلامي المتأخر ظُلمت في عصرها ـ وبعده ـ مثل شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. فالعصر الذي عاش فيه وما تعرض له من عداء وهجوم وسجن وتعذيب واعتداء خير شاهد علىٰ هذا الظلم.

بل إن مرارة الظلم تزداد ـ تجاه هذه الشخصية الكبيرة ـ حينما نجد من يدّعي الثقافة والمعرفة والعقلانية والحرية؛ ثم يقف في صف السجَّان ضد المسجون، وفي خندق الظالم ضد المظلوم، ويتحالف مع المُكفِر ضد ضحية التكفير!

ولو تأمل هؤلاء بطريقة علمية رصينة أقوال وأفعال وسيرة ابن تيمية، لما ظلموا أنفسهم بظلمهم له، حيث تكلموا فيه بغير علم، بل بجهلٍ وهوىً وتقليد أعمىٰ منعهم من معرفته علىٰ حقيقته الناصعة، فالرجل ـ أي: ابن تيمية ـ كان يحكمه في جل تصرفاته مع مخالفيه ميزان العدل والرحمة، وكان كلمة إجماع عند عقلاء العلماء، ومحل محبة الناس، وكانت سيرته الخالدة رمزاً للعدالة والتسامح ومحبة الناس، والتضحية من أجل الحق.

قال الإمام **الذهبي** عنه: (وسائر العامة تحبه، لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً، بلسانه وقلمه)[١].

وجميل ما ذكره العلامة **الإمام ابن طرخان الملكاوي** في حق أعداء ابن تيمية، حيث قال: (لو دروا ما يقول لرجعوا إلىٰ محبته وولائه)[٢].

---

(١) «الرد الوافر» (ص٧١).

(٢) «الرد الوافر» (ص١٤١).

وقال القاضي **بهاء الدين السُّبكي**: (والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوىً، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوىٰ يصده هواه عن الحق بعد معرفته به)[1].

وليس الغرض هنا ـ أخي القارئ الكريم ـ عرض جميع سيرة ابن تيمية الطيبة والسمحة مع مخالفيه؛ بل المقصود عرض شيء يسير من مواقفه التسامحيَّة لبيان الصورة الحقيقية الناصعة للروح التي كان ابن تيمية يقابل بها كراهية وعداء خصومه.

لقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يدرك أن الاختلاف أمر طبعي؛ بل حتمي في هذا الكون، وهذه سنة إلـٰهية، حيث بيّن الله ﷻ أن الناس في اختلاف، وأنهم لا يزالون كذلك، وأن الخلاف لا يعرف أحقيته أو بطلانه بكثرة الأعداد أو قلّتها، وأن الحق لا يرتبط بالأشخاص ولا بالدول ولا بالمؤسسات، والحق أصيل وقديم، وهو الغالب بالكلمة والحجة والبرهان، وأن الحق لا يحتاج إلىٰ أشخاص يجيدون الشتائم والسباب، بل الحوار الهادف، والنقد البناء، فالحق في صراعه مع الباطل ظاهر في مآلاته، ويوم يرث الله الأرض ومن عليها لن يكون للباطل وأهله كلمة ولا صولة ولا جولة.

ومن إيمان ابن تيمية الراسخ بالحق، ورحمته بالخلق كانت مواقفه النابعة من العدل والرحمة والتسامح تجاه مخالفيه، مواقف عدل حقيقية، قائمة علىٰ بيان الحق بوضوح، والعدل مع الخصوم، وليست المسألة عنده لعبة سياسية، أو مجرد نفاق، أو خوف و«تقيَّة» أو رغبة لتحصيل منافع دنيوية عاجلة.

كما أن مواقفه العادلة الأصيلة لم تكن في حال الضعف؛ بل كانت في مواقف القوة والغلبة، ومع كون الحق معه وله، إلا أنه يتسامح مع من ظلمه، مع قدرته علىٰ إنزال العقوبة به، تلك حقاً نفس كريم الخلق والروح.

ولقد وضع ابن تيمية قاعدة عظيمة للتسامح في حياته السلوكيَّة والعملية، هذه القاعدة مقولته المشهورة: (**أحللت كل مسلم عن إيذائه لي**) والتي ظل

---

(١) «الرد الوافر» (ص٩٩).

يرددها عند كل موقفٍ ظُلم فيها وتُعدي عليه من قبل خصومه، وحين يُطلب منه الرد عليهم بالمثل؛ يجيب أنصاره بتلك المقولة!

لقد كان لسان حال شيخ الإسلام مع أعدائه: أنني لا أنقم عليكم شيئاً من حظوظ الدنيا، ولا أنافسكم علىٰ شيء من حطامها، ولا أكرهكم لذواتكم، ولا أريد الانتقام منكم؛ بل أريد أن يعلو الحق وتظهر الحقيقة، كما أحب الخير لكم ولكل مسلم، وأحب أن تكونوا دائماً سعداء وتنعمون بالبهجة والرضا، وكل شر يصلني منكم سأرده بخير، وكل شتيمة من قبلكم ستجدون في مقابلها دعاء لكم بكل خير.

هكذا كانت سيرته الراسخة في التعامل العادل مع خصومه، ومهما اشتد عليه الأذىٰ والتضييق من خصومه، نجده يبادلهم العفو والتسامح والغفران، بنفس مؤمنة، وبقلب طاهر. ولأن ابن تيمية رجل يقول الخير ويفعله، ويؤسس التسامح ويمارسه، لذلك وجدنا حياته صورة صادقة وتعبير دقيق لهذا الروح، إنها التربية العملية التي يسعىٰ صاحبها للمارسة النظريات الأخلاقية التي يؤمن بها.

وإليك ـ أخي القارئ ـ بعض الأمثلة العملية لعدل ورحمة وتسامح ابن تيمية مع خصومه:

١ ـ موقف ابن تيمية من خصمه علي بن يعقوب البكري الصوفي:

كانت أشد المحن التي مرت بابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي محنته مع غلاة الصوفية، ففي مصر حينما خرج من السجن وظل في مصر يُدرس تلاميذه، ويعظ الناس، ويرسخ عقائد السلف في نفوس الناس، وينقد الخرافات والخزعبلات التي كانت منتشرة هناك، وكان ذلك في عام ٧٠٧هـ حيث لم يعجب ذلك شيوخ الصوفية الغلاة، أمثال: نصر المنبجي، وابن عطاء الله السكندري، وعلي البكري. فجمعوا أتباعهم من المتصوفة والعوام وساروا إلىٰ السلطان ليستعينوا به علىٰ ابن تيمية، من أجل إيداعه السجن، وفعلاً نجحوا في ذلك!

إلا أن ابن تيمية لم تهن عزيمته، بل واصل في الحبس دروسه، وأخذ الناس يقصدونه ويزورونه للتفقه في أمور دينهم والاستفتاء، وهكذا أكب الناس عليه من كل حدب وصوب، فساء ذلك أعداءه من الصوفية وغيرهم، فأخرجه حاكم مصر آنذاك «الجاشنكير» تلميذ الصوفي نصر المنبجي من القاهرة إلىٰ الإسكندرية كالمنفي سنة ٧٠٩هـ، ومنعوا أن يجتمع عنده أحد.

وكان ابن تيمية في كل ما يصيبه من هؤلاء صابراً محتسباً أجره عند الله، يقابل الإساءة بالإحسان، والظلم بالعفو والمغفرة، وفي مقابل ذلك كان يظهر الحق ويجيب السائل بكل أمانة وموضوعية، ويعدل في القول وينصف الخصم.

وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً بعنوان «الاستغاثة» وهو رسالة علمية بالأدلة الشرعية في حكم الاستغاثة، وهو رد علىٰ رسالة كتبها الشيخ الصوفي علي البكري.

وكان الأليق بالعلماء الذين يختلفون في أمر ما، أن يتصدوا لمثل هذه المسألة بالدليل والبرهان العلمي، بعيداً عن التكفير والحكم بالزندقة والشتائم والسباب.

لكن الشيخ علي البكري رَحِمَهُ الله كان رده علىٰ هذه الرسالة الحكم علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية بالكفر والزندقة والخروج عن ملة الإسلام[١]!

ولم يكتف الشيخ الصوفي البكري ـ عفا الله عنا وعنه ـ بمجرد التكفير، بل بالغ في إيذاء ابن تيمية بالقول والعمل، حيث كتب إلىٰ السلطان يستعديه علىٰ ابن تيمية، ويحثه علىٰ قتله! بل قد قام باستعداء العوام علىٰ الشيخ، وحرض الجند وأصحاب الدولة علىٰ شيخ الإسلام، وشهر به وأقذع الشتيمة في حقه، وأهدر دمه.

وكان الشيخ الصوفي البكري من أشد الصوفية علىٰ شيخ الإسلام ابن

---

(١) انظر: «كتاب الاستغاثة»، لابن تيمية، تحقيق عبد الله السهلي (٢/٥٩٦)، دار الوطن، الرياض.

تيمية، ففي محنة الشيخ مع الصوفية سنة ٧٠٧هـ حول قضية «الاستغاثة» طالب بعضهم بتعزير شيخ الإسلام، إلا أن الشيخ البكري طالب بقتله وسفك دمه[1]!

وفي سنة ٧١١هـ تجمهر بعض العوام من الصوفية ومعهم الشيخ علي البكري، وتبعوا شيخ الإسلام ابن تيمية حتىٰ تفردوا به وضربوه، وفي حادثة أخرىٰ تفرد البكري بابن تيمية ووثب عليه ونتش أطواقه وطيلسانه، وبالغ في إيذاء ابن تيمية والاعتداء عليه، ولم يزد ابن تيمية إلا أن قال: حسبنا الله ونعم الوكيل[2]!

في المقابل تجمع الناس وشاهدوا ما حل بشيخ الإسلام من أذية وتعدي، فطلبوا الانتقام من الشيخ البكري فهرب، وطُلب أيضاً من جهة الدولة فهرب واختفىٰ، وثار بسبب ما فعله فتنة، وحضر جماعة كثيرة من الجند والفرسان، وتتابع الناس تجمعاً وتجمهراً علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية لأجل الانتصار له، والانتقام من خصمه الذي كفره واعتدىٰ عليه.

وقالوا: يا سيدي، قد جاء خلق من الحسينية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا!

فقال لهم: لأي شيء؟

فقالوا: لأجلك!

فقال لهم: هذا ما يحق.

فقالوا: نحن نذهب إلىٰ بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم، فإنهم شوشوا علىٰ الخلق وأثاروا هذه الفتنة علىٰ الناس.

---

(١) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٥٥)، و«نزل من اتقىٰ بكشف أحوال المنتقىٰ»، للعلامة الكشميري، نقلاً عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٦٧٨ ـ ٦٧٩).

(٢) انظر: «العقود الدرية» (ص٣٠٥)؛ و«نزل من اتقىٰ بكشف أحوال المنتقىٰ»، للعلامة الكشميري، نقلاً عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٦٧٨ ـ ٦٧٩)؛ و«المقفىٰ الكبير»، للعلامة المقريزي، نقلاً عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٥٠٩)؛ و«الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، للعلامة ابن رجب الحنبلي، نقلاً عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٤٧٨ ـ ٤٧٩).

فقال لهم: هذا ما يحل.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحل؟ هذا شيء لا نصبر عليه، ولا بدّ أن نروح إليهم ونقاتلهم علىٰ ما فعلوا.

وظل ابن تيمية ينهاهم ويزجرهم، ويقول لهم: (أنا ما أنتصر لنفسي)!

فحينها ماج الناس والجند والفرسان وأكثروا عليه وألحوا في طلب الانتقام والمطالبة بنصرته، وأن يشير عليهم بما يراه مناسباً للرد علىٰ خصمه؛ فقال لهم مشدداً عليهم:

«إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله. فإن كان الحق لي فهم في حل، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني وافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتىٰ يشاء».

فقالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟

فرد عليهم ابن تيمية وقال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه!

فقالوا: فتكون أنت علىٰ الباطل وهم علىٰ الحق، فإذا كنت تقول إنهم مأجورين؛ فاسمع منهم ووافقهم علىٰ قولهم!

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد المخطئ له أجر.

فبلغ هذا الكلام كثيراً من خصومه، فتعجبوا وقالوا: والله لقد كنا متجنين في حق هذا الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذي يقوله هذا هو الحق[(١)].

ولما اشتد طلب الدولة للشيخ البكري وضاقت عليه الأرض بما رحبت، هرب واختفىٰ عن أنظار الناس والدولة، ولكن العجيب أنه لم يجد له مكاناً آمناً إلا بيت ابن تيمية نفسه، حيث هرب واختفىٰ عنده لما كان مقيماً في مصر، حتىٰ شفع فيه ابن تيمية عند السلطان وعفا عنه[(٢)]!

---

(١) انظر: «العقود الدرية» (٣٠١ ـ ٣٠٥).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٤/ ٨٠، ١٣١)، و«نزل من اتقىٰ بكشف أحوال المنتقىٰ»، =

قال ابن تيمية مبيناً أن هذا الأمر منهجه العملي وخطابه الفكري تجاه مخالفيه:

(لم نقابل جهله ـ أي: البكري الصوفي ـ وافتراءه بالتكفير بمثله، كما لو شهد شخص بالزور علىٰ شخص، أو قذفه بالفاحشة كذباً عليه؛ لم يكن له أن يشهد عليه بالزور، ولا أن يقذفه بالفاحشة)[1].

وقال أيضاً مبيناً تسامحه مع أعدائه: (هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيَّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية؛ فأنا لا أتعدىٰ حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدىً للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه)[2].

ثم يبين ابن تيمية أن هذا ليس موقفه الشخصي فحسب، بل هذا منهج السلف الصالح، والذي دأب ابن تيمية علىٰ ملازمته، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم. لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنىٰ بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنىٰ حرام لحق الله تعالىٰ، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله)[3].

أقول: انظر أيها القارئ إلىٰ عظيم تسامح هذا الإنسان الكبير، فالبكري ومن معه من الصوفية قابلوه بالظلم والتكفير والاعتداء والعدوان والبهتان، وابن تيمية قابلهم بالعفو والإحسان والكرم، إن في ذلك لآية عظيمة لكل منصف.

= للعلامة الكشميري، نقلاً عن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٦٧٨ ـ ٦٧٩).

(١) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (٢/ ٤٩٤). (٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٤٥).

(٣) «تلخيص كتاب الاستغاثة» (٢/ ٤٩٢).

٢ ـ موقف ابن تيمية من خصومه الذين تسببوا في سجنه وطالبوا بقتله:

لم يكن امتحان الصوفية هو الامتحان الوحيد الذي ابتلي به ابن تيمية، بل ابتلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقرناء حسدوه علىٰ محبة الناس والخلق له، وعلىٰ ما منَّ الله به عليه من علم ودين وخلق، وما ناله من مكانة عظيمة في قلوب الجميع، لقد كان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكثر العلماء الجهابذة الذين تعرضوا لأذىٰ الأقران الحساد، ولكنه كان مع كل ذلك صابراً محتسباً، وكان معهم من ألطف الناس وأرحمهم.

يقول **الحافظ البزّار** حاكياً حال خصومه: (ولما رأوا هذا الإمام عالم الآخرة، تاركاً لما هُمْ عليه من تحصيل الحُطام، من الشُّبه الحرام، رافضاً الفضل المُباح فضلاً عن الحرام، تحققوا أنّ أحواله تفضح أحوالهم وتوضِحُ خفِيَّ أفعالهم، وأخذتهم الغيرةُ النفسانيّةُ، علىٰ صفاتهم الشيطانية، المباينة لصفاته الروحانية، فحرصوا علىٰ الفتك به أينما وجدوه)[١].

ولذا فقد اجتمع هؤلاء عليه وهم أشتاتٌ كثيرة، وأطياف منوعة، يجمعهم هدفٌ واحد وهو إسقاط ابن تيمية والنيل منه، حاولوا محاورته فأسقط في أيديهم، راموا مجاراته في العلم والفقه والمعرفة فرجعوا خائبين، ناظروه وجادلوه فبيَّن لهم المحجة وألزمهم الحجة، فاستعانوا عليه بالسلطان، فكتبوا التقارير الكاذبة، والشكاوىٰ الكيديَّة، محاولين نكبته عند ولاة الأمر بعد أن يئسوا من الظهور عليه بالحجة والبرهان، وما أشبه الليلة بالبارحة!

يقول ابن فضل الله العمري: (فلقد اجتمع عليه عصب الفقهاء والقضاة بمصر والشام، وحشدوا عليه خيلهم ورجلهم، فقطع الجميع، وألزمهم الحجج الواضحات أيّ إلزام، فلما أفلسوا أخذوه بالجاه والحكام)[٢].

وفي عام ٧٠٩هـ بعد أن وشىٰ به بعض هؤلاء وكذبوا عليه وألّبوا الحكام والأمراء عليه، وتزلفوا لدىٰ الكبراء في أمر ابن تيمية؛ سُجن وعُذب، هو

---

(١) «الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية» (ص٤٢ ـ ٤٣).

(٢) «الرد الوافر» (ص١٤٩).

وأصحابه، وتولىٰ كِبَر ذلك الجُرم شيخ غلاة الصوفية في زمنه الشيخ نصر المنبجي والأمير ركن الدين (بيبرس الجاشنكير) تلميذ المنبجي، وجماعة من الفقهاء والعلماء علىٰ رأسهم القاضي المالكي ابن مخلوف، وهؤلاء هم ممن ناصر الحاكم بيبرس في انقلابه ضد السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

قال **ابن عبد الهادي** حاكياً ما فعله خصوم ابن تيمية: (وأوذي جماعة من أصحابه، واختفىٰ آخرون، وعزر جماعة، ونودي عليهم)[١].

وقال الإمام الذهبي عن أحد أصحاب ابن تيمية، وهو المحدث جمال الدين الإسكندري: (أوذي من أجل ابن تيمية وقطع رزقه، وبالغوا في التحرير عليه)[٢].

هذا ما جادت به أنفس خصوم ابن تيمية من الأخلاق، فبعد أن عذبوا وسجنوا تلاميذه وأصحابه، ساقوه لمحاكمة ظالمة جائرة، قضاتها هم الأعداء والوشاة، فالمدعي هو القاضي، والمُتَهِمُ هو الحاكم، وفي هذا الجو المتلبد بالجور لم يمكّن ابن تيمية من الدفاع عن نفسه، فأمر القاضي ابن مخلوف بحبس ابن تيمية في القلعة، ومعه أخواه.

ولما رأىٰ شرف الدين ـ أخو ابن تيمية وكان معه في السجن ـ الظلم الكبير الذي وقع عليهم من قبل هؤلاء؛ ابتهل ودعا الله عليهم، فمنعه ابن تيمية، وقال له: بل قل: (اللهم هب لهم نوراً يهتدون به)[٣].

ولم يكن ظُلم شيخ الإسلام ابن تيمية وسجنه ليوهن أصحابه وتلاميذه، بل كان سبباً في زيادة التفاف أصحابه حوله، ومناصرتهم له، بل وجعل كثيراً من الناس يتعاطفون معه، فزاره في سجنه الأمراء والعلماء والجند والفرسان والأصحاب وعامة الخلق، مما زاد غيظ القاضي ابن مخلوف وحنقه وحسده

---

(١) «العقود الدرية» (ص٣٤٦).
(٢) «الرد الوافر» (ص١٨٤).
(٣) انظر: «المنهج الأحمد في ذكر أصحاب الإمام أحمد»، العلامة مجير الدين العليمي، نقلاً عن «الجامع» (ص٦٠٦)، «الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، العلامة ابن رجب الحنبلي، نقلاً عن «الجامع» (ص٤٧٤).

لابن تيمية، فكتب إلىٰ السلطة ما يلي: (**يجب التضييق عليه إن لم يُقتل، وإلا فقد ثبت كفره**)[1]. وطلب المُدعي «**ابن عدلان**» قتل ابن تيمية، وذلك بتعزيره التعزير البليغ علىٰ مذهب المالكية[2].

قال الإمام **الحافظ ابن سيد الناس** حاكياً فعل خصوم ابن تيمية: (وصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كلٌ منهم في كفره فكره، فرتبوا محاضر، وألبوا الرويبضة للسعي بها بين الأكابر، وسعوا في نقله إلىٰ حاضرة المملكة بالديار المصرية فنقل، وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوماً من عُمار الزوايا وسكان المدارس، من مجامل في المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون)[3].

وقال **الإمام الذهبي**: (فجرت بينه وبينهم حَملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قِوس واحدة فينجيه الله تعالىٰ، فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قويُّ التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها)[4].

ولما رأىٰ ابن تيمية تأن **الأمور** متجهة إلىٰ الفتنة، وأن خصومه يصنعون الأحداث صنعاً لجر المجتمع **الإسلامي** للاحتراب الداخلي، والتخاصم بين أصحابه وأنصاره وبين خصومه **وأعدائه**، قرر أن يضحي بشخصه، وأن يدفع الأمور إلىٰ التهدئة، وأن يقدم **المصلحة** العامة وهي اجتماع المسلمين، علىٰ المصلحة الخاصة وهي دفع الظلم **الواقع** عليه.

يقول ابن تيمية: (وأنا **والله من أعظم** الناس معاونة علىٰ إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة كل خير، **وابن مخلوف** لو عمل مهما عمل، والله ما

---

(١) انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٨٤). و«**العقود** الدرية» (ص٢٦)، «البدر الطالع»، نقلاً عن «الجامع» (ص٦٥٢).

(٢) انظر: «نزل من اتقىٰ بكشف أحوال **المنتقىٰ**»، نقلاً عن «الجامع» (ص٦٧٥)، و«الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، نقلاً عن «**الجامع**» (ص٤٧٤).

(٣) «الرد الوافر» (ص٦٠).

(٤) «الرد الوافر» (ص٧١).

أقدر علىٰ خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان علىٰ إخواني المسلمين)[1].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بجهد عظيم لإخماد الفتنة التي قامت بين المسلمين، وقام بإرسال رسالة إلىٰ أصحابه وتلاميذه يحثهم فيها علىٰ وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم، وذكَّر أصحابه وإخوانه بتنازله عن حقه الشخصي، وأنه قد سامح وعفا عن كل من ظلمه أو كذب عليه، وحذرهم من أن يتعرض أي مسلم لأي أذىً بسببه، لا لخصومه ولا لمن خذله من أصحابه، وقدم اعتذارات لأكثرهم محسناً فيهم ظنه.

قال ابن تيمية: (ما يتعلق بي فتعلمون رضي الله عنكم أني لا أحب أن يؤذىٰ أحد من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً لا باطناً ولا ظاهراً، ولا عندي عتب علىٰ أحد منهم ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف، أضعاف ما كان كل بحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً أو مخطئاً أو مذنباً، فالأول: مأجور مشكور، والثاني: مع أجره علىٰ الاجتهاد فمعفو عنه، مغفور له، والثالث: فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين)[2].

وقال لهم أيضاً: (فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم. فلو كان الرجل مشكوراً علىٰ سوء عمله لكنت أشكر كل من كان سبباً في هذه القضية، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور علىٰ حسن نعمه وآلائه وأياديه التي لا يقضىٰ للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له.. وأنتم تعلمون هذا من خلقي)[3].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٧١).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٢).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٥ ـ ٥٦).

فأي نفس صافية هذه التي كان يتحلىٰ بها ابن تيمية؟ ومن يطيق أن يفعل مثل ذلك؟

وكانت مشيئة الله نافذة للانتصار لعباده المخلَصين، فقد شاء الله أن تزول إمارة بيبرس الجاشنكير ويقتل، ويُحمل شيخه الصوفي نصر المنبجي ويموت في زاويته، ويقع عقاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون علىٰ كثيرٍ من العلماء الذين ناصروا إمارة الجاشنكير، والذين كان أكثرهم من خصوم ابن تيمية، ويضم السلطان ابن قلاوون دمشق ومصر إلىٰ حكمه، ولم يكن همّ السلطان ابن قلاوون إلا الإفراج عن شيخ الإسلام المسجون ظلماً وزوراً.

فأخرجه السلطان ابن قلاوون معززاً مكرماً مبجلاً، ووصل الشيخ إلىٰ البلاط السلطاني، فقام له السلطان تكريماً واحتراماً، ووضع يده بيد ابن تيمية ودخلا علىٰ كبار علماء مصر والشام، وفيهم خصوم ومخالفي ابن تيمية، وأعداء السلطان أيضاً!

وقد كان السلطان ابن قلاوون حانقاً علىٰ الفقهاء والقضاة الذين كانوا يوالون بيبرس الجاشنكير، فأراد أن يقضي عليهم انتقاماً منهم، ووجد أنهم أنفسهم هم من أفتىٰ بحبس شيخ الإسلام ابن تيمية وكفره وأباح قتله، فأراد أن يستغل السلطان هذه الفرصة المشتركة بينه وبين ابن تيمية، فيستخرج منه فتوىٰ بجواز قتل هؤلاء القضاة والفقهاء الذين كانوا أعداءً للطرفين، للسلطان ولابن تيمية.

فاختلىٰ السلطان الناصر ابن قلاوون بشيخ الإسلام ابن تيمية، وحدثه في رغبته بقتل بعض العلماء والقضاة بسبب دورهم في انقلاب ضده، وما أخرجه بعضهم من فتاوىٰ بعزل السلطان ومبايعة القائد (بيبرس)، وأخذ السلطان يحث ويشجع ابن تيمية علىٰ إصدار فتوىٰ بجواز قتل هؤلاء العلماء، ويذكره بأن هؤلاء العلماء هم الذين سجنوه وظلموه واضطهدوه، بل وكفروه وأهدروا دمه، وأنها حانت ساعة الانتقام منهم، ومعاملتهم بالمثل، والبادئ أظلم.

وأصر السلطان الناصر ابن قلاوون علىٰ طلبه، وأخذ يذكر ابن تيمية بما اقترفوه بحقه، مستميلاً نفسه وعواطفه الإنسانية الطبيعية كي يخرج فتاوىٰ في جواز قتلهم!

ولعلك ـ أخي القارئ ـ تتساءل عن طبيعة ردة فعل ابن تيمية، وهل وجدها فرصة للتنفيس عن خصومته لهم، ومتنفساً للانتقام من الأعداء؟

كلا، فنفس هذا العالِم الكبيرة أرفع وأطهر من ذلك، فلقد قام ابن تيمية بتعظيم هؤلاء العلماء والقضاة، وأنكر أن ينال أحد منهم بسوء، وأخذ يمدحهم ويثني عليهم أمام السلطان، وشفع لهم بنفسه، وطلب من السلطان أن يعفو ويصفح عنهم، ومنعه من قتلهم.

وقال للسلطان: (إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم من العلماء الأفاضل).

فرد عليه السلطان متعجباً متحيراً: (لكنهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً)!

فقال ابن تيمية: (من آذاني فهو في حل، وأنا لا أنتصر لنفسي).

وما زال ابن تيمية بالسلطان يقنعه أن يعفو ويصفح عنهم، حتىٰ استجاب له السلطان، فأصدر عفوه عنهم وخلىٰ سبيلهم.

عندها أقبل جمع الفقهاء يعتذرون ويتأسفون لابن تيمية مما وقع منهم في حقه، وابن تيمية يقبل اعتذارهم ويقول لهم: قد جعلت الكل في حل!

إنها النفوس الكبيرة التي تستطيع أن تتجاوز حظوظها النفسية، ومواقفها الشخصية، وتتجرد عن شهواتها الذاتيَّة، وتترفع عن خصوماتها، وتنظر لما هو أهم وأعظم، وهو ظهور الحق، وبلوغ الدعوة، وسلامة الناس، ووحدة كلمة الأمة، فتمارس العظمة بكل معانيها، وهكذا كان ابن تيمية ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

ولقد شهد له أكبر خصومه، وهو قاضي المالكية القاضي ابن مخلوف، وهو الذي هاجمه وآذاه، بل كفره واستحل دمه، فشهد له بعمله الفريد الذي عمله معه ومع أمثاله أثناء غضب السلطان الناصر ابن قلاوون عليهم، فقال عن ابن تيمية لما سعىٰ للإفراج عنهم: (ما رأيت كريماً واسع الصدر مثل ابن تيمية، فقد أثرنا الدولة ضده، ولكنه عفا عنا بعد المقدرة، حتىٰ دافع عن

أنفسنا وقام بحمايتنا، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا)[1].

قال **الحافظ ابن كثير**: (وسمعت الشيخ تقي الدين ـ ابن تيمية ـ يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جالسا فيه، وأن السلطان استفتىٰ الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوىٰ بعضهم في عزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضاً، وأخذ يحثه بذلك علىٰ أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء.

وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم.

فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً.

فقال الشيخ: من آذاني فهو في حل، ومن آذىٰ الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي.

وما زال به حتىٰ حلم عنهم السلطان وصفح.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا)[2].

وقال **الإمام ابن عبد الهادي**: (وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يذكر أن السلطان لما جلسا بالشباك أخرج من جيبه فتاوىٰ لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم.

قال: ففهمت مقصوده وأن عنده حنقاً شديداً عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم

---

(١) انظر: «المنهج الأحمد»، العلامة العليمي: نقلاً عن «الجامع» (ص٦٠٦)، و«الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»، نقلاً عن «الجامع» (ص٤٧٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ٦١).

وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي، وسكنت ما عنده عليهم. قال: فكان القاضي زيد الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقىٰ من ابن تيمية لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا)[1].

وقال **ابن كثير**: (وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه ـ أي ابن تيمية ـ فقال: قد جعلت الكل في حل)[2].

فانظر ـ أخي القارئ ـ بعين الإنصاف لفعل هذا الرجل الذي ظلمه هؤلاء وسجنوه وكفروه بل وأهدروا دمه، فلما انتصر عليهم، وتمكن منهم ومن رقابهم، وكانت رغبة السلطان الشخصيَّة في قتلهم، ولو سكت لربما قُتلوا، ولكنه دافع عنهم وحاجج عنهم، وجادل السلطان في شأنهم، حتىٰ أقنعه بذلك فعفا عنهم وخلىٰ سبيلهم.

٣ ـ موقف ابن تيمية من بعض خصومه لما بلغه وفاتهم:

الإنسان ـ في الغالب ـ يفرح إذا سمع بموت أحد خصومه، وأحياناً يتشفىٰ بذلك، ويشرع بذكر مساوئ خصمه، ويطلق لسانه فيه شتماً وسباً؛ لأن الميت لا حول له ولا قوة، فقد انتقل إلىٰ ربه، وهو رهينة عمله، فلا لسان له لينطق، ولا يد له فيدفع عن نفسه، فالنيل منه سهل ميسور للنفوس الضعيفة.

لكن ابن تيمية في أغلب مواقفه يختلف عن هؤلاء، فلقد بلغه يوماً وفاة أشد خصومه عداوة له وهجوماً عليه، حيث كان يكفره ويستحل دمه، بلغه ذلك عن طريق أحد أصحابه كبشارة له!

فماذا كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من تلك البشارة؟

تأمل ـ أخي القارئ ـ كلام تلميذه **ابن القيم** حينما عقد فصلاً بعنوان **(منزلة الفتوة)** وتحدث فيه عن تلك المنزلة، وأن حقيقتها الإحسان إلىٰ الناس وكف الأذىٰ عنهم واحتمال أذاهم، فهي منزلة استعمال الأخلاق الكريمة مع

---

(١) «العقود الدرية» (ص٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٢) «البداية والنهاية» (٦١/١٤).

جميع الناس صديقهم وعدوهم، ثم تحدث عن درجاتها، إلىٰ أن قال:

(الدرجة الثانية: أن تُقرب من يقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر إلىٰ من يجني عليك، سماحة لا كظماً، ومودة لا مصابرةً، هذه الدرجة أعلىٰ مما قبلها وأصعب فإن الأولىٰ تتضمن ترك المقابلة والتغافل، وهذه تتضمن الإحسان إلىٰ من أساء إليك، ومعاملته بضد ما عاملك به، فيكون الإحسان والإساءة بينك وبينه خطتين، فخطتك الإحسان، وخطته الإساءة، وفي مثلها قال القائل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي، فلينظر إلىٰ سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هذه بعينها، ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة.

وما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو علىٰ أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذىً له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلىٰ بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلىٰ مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسروا به ودعوا له وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه)[1].

٤ ـ روح الرحمة والتسامح عند ابن تيمية تجاه مخالفيه وخصومه:

أنعم الله علىٰ شيخ الإسلام بنفسية عجيبة جداً قلّ أن تجدها عند غيره من العلماء، فما كان يحمل في قلبه غلاً ولا حسداً ولا حقداً علىٰ أحد، بل

---

(١) «مدارج السالكين» تحقيق محمد حامد الفقي (٢/ ٣٤٠)، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٣هـ.

ولا علىٰ خصومه، بل كان سائراً علىٰ منهج السلف في الرحمة والعدل بالمخالفين.

قال ابن تيمية: (فأهل السنة يستعملون معهم ـ أي المخالفين ـ العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً)[١].

وقال ابن القيم عن ابن تيمية: (كان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو علىٰ أحد منهم قط، وكان يدعو لهم)[٢].

ولما وقف منه القاضي ابن مخلوف موقف العداء ورماه بكل قوس في جعبته، وأثار عليه العوام والحكام، وأصدر ضده الأحكام والفتاوىٰ التي أثارت الفتنة بين الناس واجتهد غاية الاجتهاد في قتله، وابن تيمية صابر محتسب يقابل السيئة بالحسنة، ولم يحمل في نفسه حقداً ولا بغضاً لهذا الرجل.

يقول ابن تيمية معبراً عن نفسيته المتسامحة: (وابن مخلوف لو عمل مهما عمل، والله ما أقدر علىٰ خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله هذه نيتي وعزمي)[٣].

وقال في رسالة كتبها وهو في السجن إلىٰ تلاميذه ومحبيه، يتحدث عن خصومه الذين تسببوا في دخوله السجن، وكانوا سبباً في مصادرة كتبه:

(أنا أحب لهم أن ينالوا من اللذة والسرور والنعيم ما تقر به أعينهم، وأن يفتح لهم من معرفة الله وطاعته والجهاد في سبيله ما يصلون به إلىٰ أعلىٰ الدرجات)[٤].

وقال معبراً عن روحه الطيبة المحبة لجميع المسلمين: (وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن الخير ما أحبه لنفسي)[٥].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٤٠).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٧١).

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٤١).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥٥).

بل إن روحه الطيبة العادلة المتسامحة شملت حب الخير للإنسانية جمعاء، فقد قال في رسالة وجهها للملك النصراني **(سرجون)** حاكم قبرص: (نحن قوم نحب الخير لكل أحد، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا والآخرة)[1].

وكان سبب هذا الرسالة التي بعث بها إلىٰ ملك قبرص وجود أسرىٰ من عامة المسلمين بأيدي النصارىٰ، فأرسل له ابن تيمية طالباً منه أن يفك أسرىٰ المسلمين جميعاً، وأن يحسن إليهم، مذكراً ملك قبرص بما فعله ابن تيمية شخصياً حينما جادل ملك التتار ليفك أسر المأسورين من النصارىٰ وأهل الكتاب رحمة بهم، وإحساناً إليهم كما هو أمر الإسلام، وهذا الموقف كان ابتداءً من ابن تيمية، ولم يكن خاصاً لأجل المساومة والمعاوضة، فلم يذكره إلا بعد أن احتاج إليه لينفع المسلمين.

قال ابن تيمية: (وقد عرف النصارىٰ كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرىٰ، وأطلقهم غازان، وقطلوشاه، وخاطبت مولاي فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارىٰ أخذناهم من القدس، فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارىٰ، الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نَفْتَكُّهم، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارىٰ من شاء الله فهذا عملنا وإحساننا، والجزاء علىٰ الله)[2].

ثم بيّن للملك القبرصي منهج المسلمين في التعامل مع غير المسلمين فقال: (الذي بأيدينا من النصارىٰ يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا بهم؛ كما أوصانا خاتم المرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم)[3].

ثم أبدىٰ ابن تيمية تألمه وامتعاضه تجاه تعامل القبرصيين مع أسرىٰ المسلمين، فقال: (فيا أيها الملك كيف تستحل سفك الدماء، وسبي الحريم،

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦١٥).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦١٧ ـ ٦١٨). (٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦١٨).

وأخذ الأموال بغير حجة من الله ورسله، ثم أما يعلم الملك أن بديارنا من النصارىٰ أهل الذمة والأمان ما لا يحصىٰ عددهم إلا الله، ومعاملتنا فيهم معروفة، فكيف يعاملون أسرىٰ المسلمين بهذه المعاملات التي لا يرضىٰ بها ذو مروءة ولا ذو دين)[1].

فانظر كيف كان ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصاً علىٰ المسلمين كلهم، رحيماً ورفيقاً بهم، وامتدت رحمته وعدالته إلىٰ غير المسلمين؛ لأن منهجه العام محبة الخير للإنسانية جمعاء.

وفي آخر حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تجدد عليه الظلم وسجن، طلب من الجميع منهج الإنصاف والعدل مع كافة الناس، سواءً كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وطالب حكام الإسلام وعلماء الدين بالعدل مع المخالفين مهما كانوا، رافضاً الظلم الذي وقع عليه أو علىٰ غيره، وأن يكون هذا منهجاً ثابتاً وراسخاً؛ لأنه من منهج الإسلام.

يقول ابن تيمية: (فإنه في آخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة، جاء أميران رسولان من عند الملأ المجتمعين من الأمراء والقضاة ومن معهم، وذكرا رسالة من عند الأمراء، مضمونها طلب الحضور، ومخاطبة القضاة لتخرج وتنفصل القضية، وأن المطلوب خروجك، وأن يكون الكلام مختصراً، ونحو ذلك.

فقلت: سلم علىٰ الأمراء، وقل لهم: لكم سنة، وقبل السنة مدة أخرىٰ تسمعون كلام الخصوم في الليل والنهار، وإلىٰ الساعة لم تسمعوا مني كلمة واحدة، وهذا من أعظم الظلم، فلو كان الخصم يهودياً أو نصرانياً أو عدواً آخر للإسلام ولدولتكم؛ لما جاز أن تحكموا عليه حتىٰ تسمعوا كلامه، وأنتم قد سمعتم كلام الخصوم وحدهم في مجالس كثيرة، فاسمعوا كلامي وحدي في مجلس واحد، وبعد ذلك نجتمع ونتخاطب بحضوركم، فإن هذا من أقل العدل الذي أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٦٢٢).

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء][١].

٥ ـ حرصه علىٰ وحدة المسلمين، وجمع كلمتهم:

ومن الميز والخصائص المهمة في ابن تيمية تغليبه للمصلحة العامة المتمثلة في وحدة الصف الإسلامي، وجمع الكلمة ورأب الصدع، ونبذ الاختلاف، وهذه الميزة مبثوثة في أقواله ومشهود لها من أفعاله وسيرته، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصاً علىٰ تقارب المسلمين، ليس بالعبارات الخاوية، ولا بالمؤتمرات الشكلية، بل بمنهج عملي أصيل، كان له دور كبير في توحيد الصف الإسلامي في وجه المخاطر التي تحدق بهم[٢].

فقد أرسل ابن تيمية رسالة إلىٰ إخوانه وأصحابه في دمشق، يحثهم فيها علىٰ الوحدة الإسلامية، ويدعوهم إلىٰ اجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين. ومما قاله فيها:

(وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين، تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]. وأمثال ذلك من

(١) «التسعينيّة»، ابن تيمية، تحقيق د. محمد العجلان (١/ ١١٠)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

(٢) **أقول**: مما يؤسف له أن طائفة في العالم الإسلامي منذ سنوات كثيرة دأبت علىٰ رفع شعارات الوحدة والتقارب بين المسلمين، ونشطت بهذه الدعوة حال ضعفها، وأخذت تؤسس المكاتب الخاصة بذلك في بلاد أهل السنة والجماعة دون بلادهم(!!) وأخذت تدعو لمؤتمرات الوحدة، وبعد سنوات اكتشف كثير من أهل السنة المنخدعين بتلك الدعوة ـ بعد غفلة طويلة ـ أن المقصود بدعوىٰ الوحدة والتقارب هو تحول أهل السنة من مذهبهم إلىٰ مذهب آخر!

النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهىٰ عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)[1].

وقال ابن تيمية مبيناً تجربته الشخصية والعملية: (والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفاً لقلوب المسلمين وطلباً لاتفاق كلمتهم واتباعاً لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة، وبينت لهم أن الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ونحوه المنتصرين لطريقه كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه.. وفرح المسلمون باتفاق الكلمة، وأظهرتُ ما ذكره ابن عساكر في مناقبه، أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلىٰ زمن القشيري، فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة)[2].

وبيَّن لأصحابه وتلاميذه منهجه الذي يسير عليه تجاه المسلمين، والذي لا يحيد عنه، هو تقديم مصلحة المسلمين، وإحسان الظن بهم، حيث قال: (وأنا والله من أعظم الناس معاونة علىٰ إطفاء كل شر فيها ـ أي فتنة خصومه ـ وفي غيرها، وإقامة كل خير)[3].

وفي اللحظات الأخيرة من حياته رَحِمَهُ اللَّهُ مرض أياماً في محبسه الأخير في القلعة، فعلم بمرضه أحد وجهاء الدولة وهو شمس الدين الوزير، فجاءه يستأذنه في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ الوزير يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلّه مما عساه أن يكون قد وقع منه في حق الشيخ من تقصير أو غيره.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٥١).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٤٨ ـ ٤٩).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٢٧١).

أقول: كانت خصلة ابن تيمية الفريدة هي التجرد عن الذات ورحمة الخلق، وهمه الأكبر هو جمع كلمة الأمة، وكان كثير الاعتذار عن الفقهاء والعلماء، يحسن الظن في المسلمين، حتىٰ ألف كتابه الفريد «**رفع الملام عن الأئمة الأعلام**» ملتمساً العذر للأئمة والفقهاء في الاختلاف، ومعظماً للعلم وأهله، ومحترماً أهل الاجتهاد والفقه.

فأجابه ابن تيمية رحمه الله بقوله: إني قد أحللتُك وجميع من عاداني، وهو لا يعلم أني علىٰ الحق.

وقال له أيضاً: إني قد أحللت السلطان الناصر ابن قلاوون من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً، ولم يفعله لحظّ نفسه، بل لما بلغهُ مما ظنه حقاً من مُبلِّغه، والله يعلم أنه بخلافه. ثم قال: قد أحللتُ كلَّ واحدٍ مما كان بيني وبينه[1].

ولم يبق ابن تيمية طويلاً، حيث وافته المنيَّة وهو في السجن، مظلوماً من قبل أعدائه، وهو صابر محتسب أجره عند الله، مات وليس في قلبه ذرة كراهية تجاه أي مسلم، مات بعد أن سامح الجميع، مات وهو راضٍ عن نفسه التي طالما تخلت عن حظوظها الذاتية في سبيل الأمة المسلمة.

---

(١) انظر: «الأعلام العليّة» (ص٧٤ ـ ٧٥).



المبحث التاسع



موقف الفرق والمذاهب من المخالفين

مر معنا في المبحثين السابقين موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مسألة التكفير، وموقفه النظري من المخالفين، ثم سيرته العملية وسلوكه التطبيقي لآرائه وأقواله النظرية، وقد تبيَّن لكل منصف مدىٰ اعتدال أقوال ابن تيمية، وانضباطها بمنهج أهل السنة والجماعة، كما تبيَّن لنا عظمة روح التسامح والعدالة والرحمة التي كان يتحلىٰ بها ابن تيمية تجاه المخالفين والخصوم.

وحتىٰ تكتمل الصورة بشكل صحيح لا بد أن نعرض ـ أخي القارئ الكريم ـ نماذج يسيرة وسريعة لموقف بعض الفرق الإسلامية من المخالفين والخصوم، حتىٰ نستطيع أن نرىٰ المشهد كله، ويصدق ويتحقق قول الشاعر:

والضد يظهر حسنه الضد ... وبضدها تتمايز الأشياء

وذلك لأن بعض الدراسات المعاصرة ـ لأسباب طائفية أو هوىً ـ جعلت السلفية بشكل عام، وابن تيمية بشكل خاص في قفص الاتهام، وجعلت منهما مصدراً وينبوعاً للتكفير، وذهبت تختزل الأقوال من سياقاتها، وتبتر المقولات، وتعمم الخاص، وتنقل جنس المقولة إلىٰ المعيَّن، فخلطت الأمور ـ عمداً أو جهلاً ـ وانتهت إلىٰ رسم صورة سوداء قاتمة للسلفيَّة ولابن تيمية!

وفي المقابل رسمت صورة مشرقة وجميلة للفرق الأخرىٰ، وصوّرتها علىٰ أنها العقلانية المعتدلة المتسامحة، والبعيدة عن روح التكفير والإقصاء والأُحاديَّة. فقلبت الحقائق رأساً علىٰ عقب، وجعلت المعتدل الذي هو ضحيَّة التكفير هو المُكفِر، والظالم المتعدي بالتكفير علىٰ الآخرين معتدلاً متسامحاً!

وصدق **ابن تيمية** حينما قال: (والخوارج تكفر أهل الجماعة، وكذلك المعتزلة يكفرون من خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يكفر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويكفّرون من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق)[1].

ونحن هنا نضع بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ بعض الأمثلة والنماذج الموثقة لمقولات بعض الفرق الإسلامية ومواقفها من مخالفيها، لتحكم بنفسك من خلال المقارنة العادلة والمنصفة.

أولاً: أهلُ الكلام (الأشاعرة والماتريدية):

من المُحدثات التي دخلت إلىٰ المجتمع الإسلامي ونشطت فيه بعد حركة الترجمة؛ الفلسفة اليونانية، حيث نُقلت الكتب الفلسفيَّة الأجنبيَّة إلىٰ العربية، فأحدثت إشكالات جديدة، وطرحت مسائل حديثة في الساحة الفكرية الإسلامية، فقامت حركة مقاومة فكرية داخل المجتمع الإسلامي ضد هذه الأفكار الدخيلة، وعمدت بعض هذه الحركات في مقاومتهم لها إلىٰ التسلح بنفس وسائل الخصوم، فدرسوا الفلسفة بنية صادقة للدفاع عن الدين، لكنَّ الأمر تطور تدريجياً، وتأثروا بنفس تلك العلوم، وأدخلوا كثيراً من مصطلحات المنطق وعلوم الفلسفة في صميم العقيدة الإسلامية، وأصبح أول واجب علىٰ المكلف أن يعرفه ـ عند هذه الطوائف ـ هو تعلم مقدمات فلسفية ومنطقيَّة صعبة جداً، ثم تشددوا في ذلك حتىٰ ذهب كثيرٌ منهم إلىٰ تكفير من لم يعرف تلك المقدمات المنطقية والفلسفية!

يتحدث **الغزالي** رحمه الله عن أهل الكلام وما آل إليه أمرهم من تشددٍ وتعنتٍ، حيث عقد فصلاً بعنوان «**فصل: حدّ الإيمان عند المتكلمين**» قال فيه: (من أشدِّ الناس غلواً وإسرافاً طائفة من المتكلمين كفَّروا عوام المسلمين،

---

(١) «منهاج السنة» (٥/١٥٨).

وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التي حرَّرناها فهو كافر. فهؤلاء ضيَّقوا رحمة الله الواسعة علىٰ عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفاً علىٰ شرذمة يسيرة من المتكلمين)[1].

ويقول الإمام الغزالي متحدثاً عن روح العصر وما كان شائعاً اعتقاده في عصره، من الاعتقاد بمذهب الأشعري، وشناعة مخالفته:

(وزعمه أن فيه ما يخالف مذهب الأصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين، وأن العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر كفر، ومباينته ولو في شيء نزرٍ، ضلال وخسر)[2].

ويقول أيضاً: (ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب إلىٰ الأشعري، ويزعم أن مخالفته في كل وردٍ وصدرٍ كفر من الكفر الجلي)[3].

ويقول أحدُ علماء الأشاعرة وهو **إبراهيم بن عليّ الفيروزابادي الشيرازي** رحمه الله في هذا الصدد: (فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتمين إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه فهو كافر، ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفرهم، فيكون كافراً بتكفيره. ومن كان في الفروع علىٰ مذهب الشافعي، وفي الأصول علىٰ اعتقاد الأشعري فهو مُعلم الطريق، وهو علىٰ الحق المبين)[4].

وقال أيضاً: (من كان في الفروع علىٰ مذهب الشافعي، وفي الأصول علىٰ اعتقاد الأشعري فهو مُعلّم الطريق، وهو علىٰ الحق المبين كما أنشد بعض الأصحاب:

---

(١) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»، الإمام الغزالي، تحقيق د. سميح دغيم (ص٨١)، دار الفكر اللبناني.

(٢) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزّندقة» (ص٤٧).

(٣) «فيصل التفرقة بين الإسلام والزّندقة» (ص٥١).

(٤) «الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق»، الإمام الشيرازي، تحقيق د. محمد الزبيدي (ص٢٧٥)، دار الكتاب العربي.

إذا كنت في علم الأصول موافقاً بعقدك قول الأشعري المسدد
وعاملت مولاك الكريم مخالصاً بقول الإمام الشافعي المؤيد
فأنت علىٰ الحق اليقين موافق شريعة خير المرسلين محمد)[١]

وقال الإمام **القرطبي** حاكياً ما يعتقده بعض أهل الكلام: (قول جماعة منهم: إن من لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها والأبحاث التي حرروها لم يصح إيمانه، حتىٰ لقد أورد علىٰ بعضهم أن هذا يلزم منه تكفير أبيك وأسلافك وجيرانك، فقال: لا تشنع عليّ بكثرة أهل النار)[٢].

وقد لاحظ الفيلسوف **ابن رشد** حال بعض الأشاعرة وغلوهم في تكفير خصومهم، فعاب عليهم ذلك، وشنع عليهم بسببه، لكنه للأسف الشديد لم يقابل الإساءة بالإحسان، بل قابل تكفيرهم بتكفير، حيث حكم عليهم بالكفر كما حكموا علىٰ غيرهم!

قال **ابن رشد** (كثير من الأصول التي بنت عليها الأشعرية معارفها هي سوفسطائية. . ولقد بلغ تعدي نظارهم في هذا المعنىٰ علىٰ المسلمين أن فرقة من الأشعرية كفرت من ليس يعرف وجود البارئ سبحانه بالطرق التي وضعوها لمعرفتهم في كتبهم، وهم الكافرون والضالون بالحقيقة)[٣].

وبسبب هذا التشدد والغلو في التكفير، استباحوا دماء المخالفين، وألزموا الناس بالعقيدة الأشعرية، ومن عاند أو خالف كفروه وجوزوا قتله.

قال **العلامة المقريزي** بعد أن عرضَ بعض عقائد الأشعرية، وبيَّنَ الحال في عصره: (فهذه جملة من أصول عقيدتهم التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية، والتي من جهر بخلافها أريق دمه)[٤].

---

(١) «الإشارة إلىٰ مذهب أهل الحق» (ص٢٨٣).
(٢) «فتح الباري»، الحافظ ابن حجر (١٣/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).
(٣) «فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال»، ابن رشد، تحقيق د. محمد عابد الجابري (ص١٢٢)، مركز دراسات الوحدة العربية.
(٤) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، المقريزي (٢/ ٣٦٠)، دار صادر.

وقال **العلامة المقريزي** ـ أيضاً ـ مبيناً كيفيَّة انطلاق وانتشار المذهب الأشعري في المغرب: (عقدوا الخناصر وشدّوا البنان علىٰ مذهب الأشعري، وحملوا في أيام مواليهم كافة الناس علىٰ التزامه، فتمادىٰ الحال علىٰ ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.

واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلىٰ العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزاليّ مذهب الأشعريّ، فلما عاد إلىٰ بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامّتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن عليّ الميسيّ، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب علىٰ ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدّة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم، المهديّ المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلّا الله خالقها ﷻ، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعريّ وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نُسي غيره من المذاهب، وجهل حتىٰ لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلّا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنهم كانوا علىٰ ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلىٰ أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة، اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحكم بن عبد السلام بن تيمية الحرّانيّ، فتصدّىٰ للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الردّ علىٰ مذهب الأشاعرة)[١].

ومن الناحية التطبيقية فقد قام **ابن فورك الأشعري** بنيسابور علىٰ المعتزلة في استتابتهم وكفرهم عند الحاكم[٢]، وهكذا أحكموا السيف في خصومهم، وكفروهم واستتابوهم، ولم يتعاملوا معهم برحمة ورفق.

---

(١) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، المقريزي (٢/٣٥٨)، دار صادر.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/٩٦).

أما **الماتريدية** فإنهم ليسوا ببعيدين عقدياً وفكرياً عن الأشاعرة، وقد ذهبوا ـ في هذا السياق ـ إلىٰ حرمة لمس كتب المخالفين، حيث يقول العالم الماتريدي **محمد البزدوي** مؤكداً حرمة إمساك كتب الفلاسفة والمعتزلة أو النظر فيها: (ولا يجوز إمساك تلك الكتب والنظر فيها لكي لا يحدث الشكوك، ولا يوهن الاعتقاد، ولا يصير سبباً لنسبة الممسك إلىٰ البدعة)[١]. بل إنه حرم إمساك أو مجرد النظر في كتب الإمام الأشعري لمن لم يعرف أخطاءه في العقيدة[٢]!

ثانياً: فرقة المعتزلة:

ظهرت كثير من الدراسات والكتب المعاصرة التي تشيد بالمعتزلة كفرقة عقائدية وفكرية، وكتيار سياسي برز في عصر من عصور الأمة الإسلامية، والهدف من ذلك إحياء تراث المعتزلة القديم، وتجديده وفق صيغٍ عصريَّة، يكون أساساً للمدرسة العقلية الحديثة، والتي يفترض أنها ستواجه المدرسة السلفيَّة أو كما يسمونها مدرسة «النص»، ولذا أخذوا يتبنون فرقة المعتزلة ويلمعونها، لتقديمها للقارئ بثوب نظيف وجديد[٣]!

ومن الجوانب التي تطرقت لها كتابات هؤلاء ـ تلميعاً وتنظيفاً ـ الجانب

---

(١) «أصول الدين»، البزدوي، تحقيق هانز بيتر لنس، عناية أحمد حجازي السقا (ص١٣)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

(٢) انظر: «أصول الدين»، البزدوي (ص١٤).

(٣) يقول الدكتور عادل العوا: (صيحات شتىٰ من الأسىٰ والأمل: الأسىٰ علىٰ اضمحلال الاعتزال تاريخياً، والأمل بانبعاث روحه العقلية المتحررة مجدداً في غد الأمة العربية، صيحات أطلقها غير واحد من كبار الباحثين في عصرنا عند نظرتهم إلىٰ الغد). «المعتزلة والفكر الحر» (ص٢١).

ويقول الدكتور عامر النفاخ ـ أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة فاس ـ مشيداً بالمعتزلة: (الحركة المستنيرة في الإسلام بدأت مع المعتزلة عندما اتخذوا جانب التأويل للنص، أي أن هناك المشكلة هي النص الظاهر، العقل القابل لهذا النص).

حلقة علىٰ قناة الجزيرة: برنامج (أكثر من رأي) تحت عنوان: (العنف بين مفهومي النضال والإرهاب) بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠٠١م.

الأخلاقي عند المعتزلة، وتقديمهم كدعاة للحرية، وفرسان التسامح، وأقلام التنوير، تدعو لمحبة وقبول «**الآخر**»، والدعوة إلىٰ الانفتاح، وتبني المعارف علىٰ أسسٍ عقلانية.

ومن يدرس تاريخ المعتزلة، وما كُتب عنهم، وقرأ كتبهم الأصلية المتبقية، وتصفح أقوالهم الخاصة بمسألة (**التسامح**) أو مسألة (**قبول الآخر**) وجد أن واقع المعتزلة يخالف ـ باتجاهٍ عكسي ـ ما يقوله هؤلاء تماماً، حيث يجد أن المعتزلة بشكل عام من غلاة التكفيريين، ومن أشد الفرق نبذاً «**للمخالف**» ومن أبعدها إيماناً بالتسامح!

وحتىٰ لا يكون الكلام إنشائياً أقدم بين يدي القارئ الكريم، مقتطفات قليلة ويسيرة من أقوال وآراء المعتزلة في هذا الجانب[1]، وهي كما يلي:

فقد ذهب كثيراً من المعتزلة وكبار رجالاتها إلىٰ أن دار الإسلام التي لا تؤمن بمذهب المعتزلة، وتؤمن بمذهبٍ إسلامي آخر ليست داراً للإسلام، بل دار كفر وشرك!

فهذا **أبو عمران موسىٰ الرقاشي** ـ من كبار رجالات المعتزلة ومن الطبقة السابعة ـ يعتقد أن دار المسلمين دار كفر[2]!

ويقول **أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ** ـ أحد شيوخ المعتزلة ـ حاكياً مذهب أحد علماء المعتزلة: (وكان مذهبه في الدار كمذهب الهدوية أن الدار إذا غلب عليها الجبر والتشبيه فهي دار كفر)[3].

وكان **الجبائي** ـ المعتزلي المشهور ـ يرىٰ أن دار الإسلام التي لا تظهر فيها أقوال المعتزلة، بل تظهر خلافها، ولا يستطيع المعتزلي أن يُظهر عقائده

---

(١) **أقول**: سوف أقتصر علىٰ القليل من هذه الأقوال والآراء، لأنني أعددتُ كتاباً خاصاً في هذا الموضوع تحت اسم «دكتاتورية العقل.. العنف باسم العقلانيَّة» جمعتُ فيه أقوال وآراء وعقائد رجالات الاعتزال، وتاريخهم التطبيقي العلمي مع مخالفيهم، وهو في طريقه للنشر بمشيئة الله.

(٢) انظر: «طبقات المعتزلة»، لأحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ المعتزلي (ص٧٧).

(٣) «طبقات المعتزلة» (ص٩٦).

فيها، هي دار كفر وليست دار إسلام[١]!

وذهب **الجاحظ** ـ أحد أعمدة الاعتزال ـ إلىٰ أن المسلم إذا عرف عقيدة المعتزلة، ثم جحدها وأنكرها، وقال بالتشبيه والجبر، فهو مشرك كافر حقاً[٢].

كما ذهب **أبو الهذيل العلاف** ـ وهو من كبار المعتزلة ـ إلىٰ تكفير جميع الأمة[٣].

ويرىٰ **ثمامة بن أشرس** ـ أحد رجال المعتزلة ـ أن دار الإسلام دار شرك وكفر، لغلبة من يخالف المعتزلة في دار الإسلام[٤]!

وذهب كبار رجالات المعتزلة إلىٰ أن من اعتقد عقيدة مخالفة لعقيدة المعتزلة، فهو كافر مشرك؛ بل تعدىٰ هذا الأمر إلىٰ أن من شك في كفره فهو كافر!

فقد ذهب **المردار المعتزلي** إلىٰ كفر من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف، وذهب أيضاً إلىٰ كفر من شك في كفره[٥].

يقول عنه **أبو الحسين ابن الخياط** المعتزلي: (اعلم علمك الله الخير أن أبا موسىٰ ـ المردار ـ كان يزعم أن من قال: إن الله يرىٰ بالأبصار، علىٰ أي وجه قاله فمشبه لله بخلقه، والمشبه عنده كافر بالله، فكذلك من وصف الله بأنه يقضي المعاصي علىٰ عباده ويقدّرها فمسفّه لله في فعله، والمسفّه لله كافر به، والشاك في قول المشبّه والمجبر فلا يدري أحق قوله أم باطل؟ كافر بالله أيضاً؛ لأنه شاك في الله لا يدري أمشبه هو لخلقه أم ليس بمشبه لهم، أسفيه هو في فعله أم ليس بسفيه)[٦].

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: «الملل والنحل»، الشهرستاني (ص٣٢).

(٣) انظر: «التبصير في الدين»، الإسفراييني (ص٤٢).

(٤) انظر: «الفرق بين الفرق»، عبد القاهر البغدادي (ص١٥٨)؛ و«التبصير في الدين»، الإسفراييني (ص٤٨).

(٥) انظر: «الفرق بين الفرق»، عبد القاهر البغدادي (ص١٥٢).

(٦) «الانتصار والرد علىٰ ابن الروندي الملحد»، ابن خياط (ص٨٩ ـ ٩٠).

ويقول **الجاحظ** مبرراً توسع المعتزلة في تكفير المخالف لهم في العقيدة وامتحانهم له، وتجسسهم عليه، وتعذيبهم له:

(فنحن لا نكفر إلا من أوسعناه حجة، ولم نمتحن إلا أهل التهمة، وليس كشف المتهم من التجسس، ولا امتحان الظنيين من هتاك الستار، ولو كان كل كشف هتكاً وكل امتحان تجسساً لكان القاضي أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفاً لعورة)[1].

وذهب فريقٌ منهم إلىٰ التسوية بين المسلمين المخالفين وبين اليهود. فقد كان **أبو مسلم النقاش** المعتزلي ـ من الطبقة التاسعة في الاعتزال ـ يقول عن المخالفين:

(ما يسرني منهم أن يصلوا خلفي كما لا يسرني أن يصلي خلفي اليهود)[2].

وذهب آخرون منهم إلىٰ جواز قتل وذبح المخالفين لهم في المذهب غيلة وغدراً!

وكان **هشام الفوطي** ـ أحد أئمة المعتزلة ـ يُجيز قتل المخالفين غيلة، ويرىٰ أن يفتك بمخالفيه، ويأخذ أموالهم بغير حق، ويفلسف ذلك للمعتزلة بفتوىٰ شرعية في كيفية التعامل مع الكافر المرتد!

يقول عنه أبو الحسين ابن الخياط المعتزلي:

(كان يقول: إن من صحت ردته عن الإسلام ولم يكن يحضره إمام يقتله، ثم قدر علىٰ قتله من حيث لا يُتْهِم نفسه، ولا يبيح دمه، ويعلم أنه لا يُعلم به، أقام عليه حكم الله وقتله)[3].

أما الصراع الداخلي بين رجالات المعتزلة أنفسهم، فلم يكن أقل حدة وتكفيراً من حدتهم وتكفيرهم للمخالفين من غير مذهبهم!

---

(١) «رسالة خلق القرآن»، ضمن «رسائل الجاحظ الكلامية» (ص١٦٩).
(٢) «طبقات المعتزلة» (ص١٠٣).
(٣) «الانتصار والرد علىٰ ابن الروندي الملحد» (ص٨٦).

فقد كان **محمد بن عمر الصيمري** ـ من الطبقة التاسعة في المعتزلة ـ يكفر أبا هاشم الجبائي، وله قصة عجيبة، حيث إنه بسبب خلاف فرعي مذهبي دقيق بينه وبين الجبائي كفره، ثم ذهب إلىٰ زوجة الجبائي يخبرها أنها لا تحل لزوجها لأنه كافر بسبب بعض معتقداته!

يقول **أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ**: (كان منه من الغلو في معاداة أبي هاشم حتىٰ أكفره بسبب قوله في الأحوال، حتىٰ جاء إلىٰ أهله وأوهمها أن الفُرقة وقعت بينها وبين أبي هاشم، فقالت: فماذا تقول إذا كنا علىٰ مثل رأيه؟ فانصرف)[1].

ونصّ **أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ** علىٰ أن بعض أصحاب أبي علي الجبائي الأب يكفرون ابنه أبو هاشم الجبائي بسبب مسائل خلافية بينهم مثل: مسألة الأحوال، واستحقاق الذم[2].

وذهب **أخشيد بن أبي بكر المعتزلي** وأتباعه إلىٰ تكفير **أبي هاشم الجبائي** وأتباعه[3]. وذهب **الإسكافي المعتزلي** إلىٰ كفر جملة من شيوخ المعتزلة، وذهبوا أيضاً إلىٰ كفره[4]!

وذهب **المردار المعتزلي** إلىٰ كفر أعظم شيوخ المعتزلة ومنهم: أبو الهذيل العلاف، وأستاذه بشر بن المعتمر، والنظام، وذهب كثير من المعتزلة إلىٰ كفر المردار المعتزلي بسبب قوله: بتولد فعل واحد من فاعلين، وهكذا ذهب هو إلىٰ تكفير شيوخه، وقال شيوخه بكفره[5]!

وبسبب هذه الفوضىٰ التكفيريَّة قال **ابن الخياط المعتزلي** معترفاً ومبرراً ظاهرة التكفير داخل دائرة المعتزلة: (إن كان الذي يعيب المعتزلة ويحط من قدرها هو أن بعضها قد أكفر بعضاً، فما علمنا فرقة من فرق أهل الملة سلمت

---

(١) «طبقات المعتزلة» (ص٩٦).

(٢) انظر: «طبقات المعتزلة» (ص٩٥ ـ ٩٦).

(٣) انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، الرازي (ص٤٦).

(٤) انظر: «الفرق بين الفرق»، عبد القاهر البغدادي (ص١٥٥).

(٥) انظر: «الفرق بين الفرق»، عبد القاهر البغدادي (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

من ذلك، هذه الخوارج بعضها يكفر بعضاً ويبرأ منه ويستحل سفك دمه وغنيمة ماله، وهذه الروافض بعضها يكفر بعضاً ويبرأ منه، وهذه المرجئة بعضها يكفر بعضاً ويبرأ منه.. فهو لازم لفرق الأمة أجمعين)[1].

فانظر أخي القارئ إلىٰ هذه النصوص اليسيرة ـ والتي اقتصرنا عليها في هذا المكان خشية الإطالة ـ كيف تفوح منها رائحة البغضاء والشحناء والكراهية، وتصرخ بالتكفير وتجويز اغتيال المخالفين، وتنضح بالإقصاء الداخلي الرهيب، ثم بعد ذلك يأتي من يقول: إن المعتزلة كانوا رواد التسامح والمحبة وقبول «**الآخر**»، وفي مقابل كانت السلفية رائدة التكفير والإقصاء والكراهية!

أقول: هذه هي أقوال المعتزلة، أما الأفعال فدونكم موقفهم من امتحان الأمة جمعاء قديماً في فتنة القول بخلق القرآن الكريم، وموقفهم من أهل السنة في اليمن حديثاً كالشوكاني والصنعاني وغيرهم كثير.

ثالثاً: فرقة الإباضيَّة:

موقف المذهب الإباضي تجاه مخالفيه من المسلمين معلوم ظاهر، وهو أكبر من أن أحصره هنا، والنصوص في التراث الإباضي القديم والمعاصر كثيرة، وإنما المقصود بيان شيء من ذلك، ولذا أكتفي في هذا الجانب بعرض خمسة نصوص لكبار علماء الإباضيَّة[2]، كما يلي:

١ ـ قال **سالم بن حمد الحارثي** ما نصه: (قال العلامة الرباني المبارك جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي: إني لأقسم بالله ـ قسم من بر في يمينه فلا حنث ـ أن من مات علىٰ الدين الإباضي الصحيح، غير ناكث لما عاهد الله عليه من قبل، ولا مغير حقيقته، كلا ولا مبدل طريقته، أنه من السعداء، ومن أهل الجنة مع الأنبياء والأولياء، وإن مات علىٰ خلافه فليس له في الآخرة إلا

---

(١) «الانتصار والرد علىٰ ابن الروندي الملحد» (ص٩٠).

(٢) **أقول**: نقلتُ هذه النصوص الخاصة بالمذهب الإباضي من كتاب «**كنت إباضياً**» وفيه الكثير من النصوص المهمة والخطيرة، ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك الكتاب.

النار، وبئس المصير؛ لأنه الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فأنىٰ تصرفون، علىٰ هذا ـ إن شاء الله ـ أحيا، وأموت عليه، وعليه ألقىٰ الله رب العالمين.

ولما توفي هذا الشيخ ﷺ وضع نعشه منحرفاً عن القبلة قبل أن يصلىٰ عليه، فاستدار إلىٰ القبلة كرامة له)[1].

٢ ـ وقال الفقيه **موسىٰ بن عيسىٰ البشري** والعالم **مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي**: (مسألة: سئل الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي رحمه الله عن ناشئ نشأ في طاعة الله تعالىٰ، وهو من أهل الخلاف؛ إلا أنه لم يرتكب حرمة من محارم الله قط، وكان طول عمره زاهداً ناسكاً، وفي ثواب الله راغباً، ولم يدع شيئاً من أوامر الله تعالىٰ إلا ائتمر به، ولا محجوراً في دين الله إلا انتهىٰ عنه؛ إلا أنه يدين بخلاف دين الإباضية قولاً، وعملاً، ونية، واعتقاداً، ما حاله يكون إن مات علىٰ ذلك؟

قال: لا يكون علىٰ طاعة رب العالمين، من كان علىٰ خلاف الحق المبين، ضالاً عن سبيل المؤمنين المحسنين. وأهل الخلاف لدين المسلمين المحقين علىٰ ضروب متفرقة، وأحزاب غير متفقة، كل فرقة تدعي أنها علىٰ الصواب، وتزعم أن في يدها فصل الخطاب، وتشهد علىٰ الأخرىٰ بأنها مخالفة للسنة والكتاب، وصار كل حزب بما لديهم فرحون، يغدون علىٰ ذلك ويروحون، ويحسبون أنهم المؤمنون حقاً، والمحسنون صدقاً، وليس الأمر كما يقولون، وعلىٰ ما يظنون، بل القول الحق: إن الحق في واحدة لا في الجميع، إذ لا يجوز أن يكون الحق في الجميع، وكل واحدة دائنة بخلاف ما به الأخرىٰ تدين من الدين).

إلىٰ أن قال: (وذلك الذي عليه أهل الحق من الفريق المرضي، من

---

(١) كتاب «العقود الفضية في أصول الإباضية»، سالم بن حمد الحارثي (ص١٧٢).
وقد أثنىٰ علىٰ هذا الكتاب وقرظه أربعة من كبار علماء مذهب الإباضية المعاصرين، وهم: الشيخ إبراهيم العبري، ومفتي عُمان الشيخ أحمد الخليلي، والشيخ سالم بن حمود السيابي، والشيخ محمد بن شامس البطاشي.

الحزب المعروف في التسمية بالإباضي، فإنهم هم علىٰ الحقيقة، وأهل الاستقامة علىٰ الطريقة، ودينهم الحق، ومذهبهم الصدق.. وأي حقيقة طاعة وزهادة دين، وإخلاص إيمان ويقين، وصدق فرع وورع ومجاهدة، واجتهاد ومراقبة شافعة نافعة، ولعذاب الله دافعة، لمن خالف الحق في حرف واحد من دين الله تعالىٰ بدين أو رأي، بعلم أو جهل، فكيف بالأحرف والكلمات؟ وما لا يعدم من البدع والضلالات، التي دان بها أهل الخلاف لدين المسلمين، وأتوه بالدينونة في سبيل المجرمين، علىٰ حسب ما وجدناه في الآثار، وجاءت به عنهم الأخبار، من الجرائم والكبائر العظام، هذا ما لا يستقيم في العقول، ولا يجوز في صحيح المعقول، ولو صدق وتصدق، وعبد واجتهد، وركع فرفع، وخشع فخضع، وشكا وبكىٰ، وأطال القيام، وأدام الصيام، وأفشىٰ السلام، وصلىٰ بالليل والناس نيام، وجاهد الكفار والأشرار، ولازم الاستغفار بالأسحار، وخاف ورجا، وتهجد بالليل إذا سجىٰ، وحج وعج وثج، وتضرع فألح، ولبىٰ ودعا، وطاف وسعىٰ، وأتىٰ بجميع المنسك، وكان في عمره الناسك، وسار فزار، وصبر فذكر، وتفقه في العلم، وتحلىٰ بالحلم، ولازم الزهادة، وأتىٰ بفنون العبادة، ولم يدع شيئاً من أبواب البر والوسائل واللوازم إلا أتاه، ولا شيئاً من المحارم إلا انتهاه، إلا ذلك الحرف الواحد من دين الله والسنة والكتاب، وإجماع أهل الصواب، من أهل الاستقامة في الدين، المهتدين من الإباضيين لما كان علىٰ الحقيقة من المصلين المطيعين، ولا الصائمين القائمين، ولا المصدقين والمتصدقين، ولا الراكعين الساجدين، ولا الصابرين الذاكرين، ولا المؤمنين المحسنين، بلىٰ، وإنه بالإقامة علىٰ ذلك والتمسك به ديناً، والانتهاك له، حياته بعد الحجة يكون من الضالين الخاسرين، والظالمين الهالكين.

هذا ما لا نعلم فيه اختلافاً بين المسلمين، فلا تك في مرية من الدين الإباضي؛ لأنه الحق العلي، وإنه هو الدين القويم، والصراط المستقيم، لا نرضىٰ به بدلاً، ولا نبغي عنه حولاً، ولو وجدنا أهدىٰ منه إلىٰ الهدىٰ سبيلاً، وأقوم في الحق قيلاً، لما رضيناه كثيراً ولا قليلاً، ولرجعنا إلىٰ ذلك الدين

الحق، فاتبعناه من حين ما علمناه، ولكن أبىٰ الله أن يكون الحق في غير المذهب الإباضي، كلا، بل، هو الطاهر الزكي، دلت علىٰ ذلك الدلائل الظاهرة، وشهدت له البراهين القاهرة، فظهر علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، وجحده فأنكره الجاهلون، وهذا أمر بيّن لا لبس فيه، كالشمس في كبد السماء في يوم لا غيم فيه، لا يكاد يخفىٰ إلا علىٰ من كان في الدنيا أعمىٰ، ولم يرض أن يكون من المقتدين سبيلاً بالمهتدين من أولي الحجا، ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلاً)[1].

٣ ـ وسُئل الشيخ الإباضي **أحمد بن مداد**: ما تقول في جميع أهل المذاهب سوىٰ الإباضي؟ هل يجوز تخطئتهم وتضليلهم؟ ويجوز أن يلعنوا ولا ينتقض وضوء من فعله واعتقده أم لا؟

فقال: (نعم جائز ذلك، ولا ينتقض وضوء من فعل ذلك، إذ هو قال الحق، والصواب والصدق؛ لأن جميع مخالفينا من المذاهب هم عندنا هالكون، محدثون في الدين مبتدعون، كافرون كفر نعمة، منافقون ظالمون، يشهد بذلك كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ وإجماع المسلمين.

وندين لله تعالىٰ ونعتقد أن دين الإباضي هو دين الله تعالىٰ، ودين رسوله، وأن من خالف الدين الإباضي فهو في النار قطعاً، بذلك نشهد وندين لله تعالىٰ، وأن من مات علىٰ الدين الإباضي فهو في الجنة قطعاً بذلك ندين، وأن من شك في الدين الإباضي، وزعم أن الحق في غير الدين الإباضي فهو عندنا كافر كفر نعمة فاسق، منافق مبتدع، محدث في الدين.

ولو حلف أحد بطلاق نسائه أن من مات علىٰ غير الدين الإباضي فهو في النار فلا طلاق عليه، وكذلك لا حنث لأنه حلف علىٰ يقين وعلم، وليس هذا غيباً. والله أعلم)[2].

---

(١) كتاب «مكنون الخزائن وعيون المعادن»، للفقيه موسىٰ بن عيسىٰ البشري (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩)، مطبوعات وزارة التراث العمانية ١٤٠٣هـ.

(٢) «لباب الآثار»، مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي (١/ ٢٧١). وكتاب «الجامع الكبير»، سعيد بن بشير الصبحي، تحقيق سالم بن حمد الحارثي (١/ ٣٨)، طبعته =

٤ ـ ويقول **عبد العزيز بن إبراهيم الثميني**: (فالشاك في كونه صواباً ـ أي المذهب الإباضي ـ ودين مخالفينا خطأ منافق، ولو منا، ولا يشم رائحة الجنة، ولو صلىٰ حتىٰ يخرج عظم جبهته، أو صام الدهر، وتصدق بلا غاية)[١].

٥ ـ وقال **الثميني** ـ أيضاً ـ متحدثاً عن المسلمين من الفرق الأخرىٰ، ما نصه: (ويمنع المخالفون من إظهار بدعهم، ولا يتركون أن يؤذنوا، أو يصلوا جماعة، أو يتخذوا محاضر ومجالس)[٢]!

رابعاً: فرقة الشيعة الجعفرية الإماميَّة[٣]:

أقول وبدون مبالغة ـ بل من خلال قراءة كثير من مدونات التراث الشيعي

= وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة ١٤٠٧هـ.

(١) كتاب «النيل وشفاء العليل»، الثميني، المطبوع بهامش كتاب «شرح كتاب النيل» (١٧/ ٤٠) القسم الثاني، مطبوعات وزارة التراث العمانية.

(٢) كتاب «الورد البسام في رياض الأحكام»، عبد العزيز الثميني (ص١٩٣)، مطبوعات وزارة التراث العمانية ١٤٠٥هـ.

(٣) **أقول**: من أمنيات المسلمين اليوم تحقيق الوحدة الإسلامية والتقارب الحقيقي بين المذاهب الإسلامية المختلفة علىٰ الحق، ولكن من أهم المشكلات المستعصية مشكلة (التقيَّة) عند الشيعة، والتي تُعيق دائماً عمليات التقارب الصادقة بين المسلمين. فعن الصادق يروون أنه قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له).
«البحار» (٦٦/ ٤٨٦)، و«الخصال» (١/ ١٤)، و«المحاسن» (ص٢٥٩)، و«الكافي» (١/ ٢١٧)، و«الوسائل» (١٦/ ٢٠٤).
ورووا عن الرضا أنه قال: (لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية).
«البحار» (٧٥/ ٣٩٥)، و«كمال الدين» (ص٣٤٦)، و«نور الثقلين» (٤/ ٤٧)، و«منتخب الأثر» (ص٢٢٠).
بل يرتبون علىٰ (التقيَّة) أعظم الأجر، وأنها أفضل عبادة تقدم في مذهب التشيع، ويسمونها (الخبء)!
فقد رووا عن الصادق أنه قال: (ما عُبِدَ الله بشيء أحب إليه من الخبء، قيل: وما الخبء؟ قال: التقية).
«البحار» (٧٥/ ٣٩٦)، و«معاني الأخبار» (ص١٦٢)، و«الوسائل» (١٦/ ٢١٩، ٢٠٧). =

القديم والمعاصر ـ: إن مسألة تكفير المخالفين، وتجويز اغتيالهم، والبراءة

= وعنه أيضاً قال: (إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله).
«البحار» (٧٥/ ٣٩٧)، و«المحاسن» (ص٤١٢)، و«جامع الأخبار» (ص٢٥٧)، و«رسائل الخميني» (٢/ ١٨٥).
ويوجبون (التقيَّة) في دار أهل السنة التي يسمونها (دار التقيَّة) فعن الصادق أنه قال: (استعمال التقية في دار التقية واجب، ولا حنث ولا كفارة علىٰ من حلف تقية).
«البحار» (٧٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، و«الخصال» (٢/ ١٥٣)، و«عيون أخبار الرضا» (٢/ ١٢٤)، و«الوسائل» (١٥/ ٥٠).
وعن الصادق ـ أيضاً ـ أنه قال: (عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعله شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيته مع من يحذره).
«البحار» (٧٥/ ٣٩٥)، و«أمالي الطوسي» (ص٢٩٩).
وهذا شيخهم (الصدوق) يقول: (اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة، ولا يجوز رفعها إلىٰ أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة). «الاعتقادات» (١١٤).
ويقول علامتهم (العاملي): (الأخبار متواترة صريحة في أن التقية باقية إلىٰ أن يقوم القائم). «مرآة الأنوار» (ص٣٣٧).
ويقول إمامهم في هذا العصر (الخميني): (وترك التقية من الموبقات التي تلقي صاحبها قعر جهنم، وهي توازي جحد النبوة والكفر بالله العظيم). «المكاسب المحرمة» (٢/ ١٦٢).
ثم عندهم نوع غريب من التقية الخاصة بالشيعة وهي (التقية المداراتية) والتي تمثل وجهاً دعائياً للتشيع، من خلاله يمكن للتشيع أن يدخل الصف السني، ويروج للتشيع!
فهذا (الخميني) يعدد أنواع التقية ويذكر أن منها: (التقية المداراتية) وعرفها بقوله: (وهو تحبيب المخالفين وجر مودتهم من غير خوف ضرر). «الرسائل»، للخميني (٢/ ١٧٤).
وقال: إن التقية واجبة من المخالفين، ولو كان مأموناً وغير خائف علىٰ نفسه وغيره. «الرسائل» (٢/ ٢٠١).
ويقول شيخهم (محسن الخرازي): (وقد تكون التقية مداراةً من دون خوف وضرر فعلي لجلب مودة العامة والتحبيب بيننا وبينهم). «بداية المعارف الإلٰهية» (ص٤٣٠).
ويقول علامتهم (دستغيب): (ومنها التقية المستحبة، وتكون في الموارد التي لا يتوجه فيها للإنسان ضرر فعلي وآني، ولكن من الممكن أن يلحقه الضرر في المستقبل، كترك مداراة العامة ومعاشرتهم). «أجوبة الشبهات» (ص١٥٩).

منهم، والوقيعة في أعراضهم، ولعنهم واستحلال غيبتهم، لا توجد في أي مذهب إسلامي مثل ما توجد في المذهب الشيعي، كثرة وتدليلاً وتعضيداً وقبولاً[1]!

فالباحث الحيادي يُذهل ويُصدم بسبب الكم الهائل من النصوص والأقوال التي تقرر هذه العقيدة تجاه المخالفين من المسلمين، بل وينقلون الإجماع عليه[2]، ونكتفي هنا بعرض نصوصٍ قليلة لبيان هذه المسألة عند الشيعة، كما يلي:

١ - موقفهم من عموم الفرق الإسلامية المخالفة:

فهذا الشيخ **المفيد** - شيخ الشيعة في عصره - يقول حاكياً إجماع الشيعة في موقفهم تجاه المخالفين:

(اتفقت الإمامية علىٰ أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأنّ علىٰ الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلىٰ الصواب، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم علىٰ تلك البدعة فهو من أهل النار)[3].

وهذا علامتهم ومحققهم **عبد الله شُبر** يبيِّن حكم جميع الفرق الإسلامية - حتىٰ المسالمة منها - عند علماء الشيعة، فيقول:

---

(١) لن أتعرض في هذا المبحث لموقف الشيعة من أمهات المؤمنين عليهن السلام، ومن الصحابة رضوان الله عليهم، وتكفير الشيعة لهم، فموقف الشيعة من الصحابة معروف وواضح وجلي، ومجمع عليه عندهم، وهو من ضروريات مذهبهم، ومن أراد معرفة عقيدتهم في ذلك؛ فليراجع الكتب المختصة، وسيجد اتفاق الشيعة علىٰ ردة الصحابة وكفرهم إلا قلة قليلة تعد علىٰ أصابع اليد، وأن ذلك من ضروريات قولهم بالإمامة الإلـٰهيَّة، وأما ما يُذكر سوىٰ ذلك فما هو إلا تقيَّة ومخادعة!

(٢) **أقول**: لعلي إن شاء الله أخصصُ كتاباً مستقلاً في هذا الموضوع.

(٣) «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات»، محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد (ص٥١ - ٥٢)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

(وأما سائر المخالفين ممن لم ينصب ولم يعاند ولم يتعصب، فالذي عليه جملة من الإمامية كالسيد المرتضىٰ أنهم كفار في الدنيا والآخرة، والذي عليه الأكثر الأشهر أنهم كفار مخلدون في الآخرة)[1].

وقال شيخهم وعلامتهم **نعمة الله الجزائري** مبيناً حقيقة حجم الخلاف ـ كما يراه هو ـ بين الشيعة والسنة: (لم نجتمع معهم علىٰ إلـٰه ولا نبي ولا علىٰ إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا)[2].

وإذا كانت جميع الفرق الإسلامية المخالفة للشيعة هذه هي حالتهم، فماذا يترتب علىٰ ذلك؟ وبأي معاملة يمكن أن يتعامل معهم؟ يجيب علماء الشيعة فيقولون:

قال **الخميني** عن المسلم غير الشيعي:

(غيرنا ليسوا بإخواننا وإن كانوا مسلمين.. فلا شبهة في عدم احترامهم؛ بل هو من ضروري المذهب كما قال المحققون؛ بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقيعة فيهم، بل الأئمة المعصومون، أكثروا في الطعن واللعن عليهم وذكر مساوئهم)[3].

ثم أورد **الخميني** هذه الرواية: (عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم. فقال: الكف عنهم أجمل. ثم قال: يا أبا حمزة، إن الناس كلهم أولاد بغاة ـ أي أولاد زنىٰ ـ ما خلا شيعتنا)[4].

---

(١) «حق اليقين في معرفة أصول الدين»، عبد الله شبر (ص٥١٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) «الأنوار النعمانية»، نعمة الله الجزائري (٢/ ٢٧٩)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

(٣) «المكاسب المحرمة»، الخميني (١/ ٢٥١)، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ، مطبعة إسماعيليان، قم.

(٤) «المكاسب المحرمة» (١/ ٢٥١).

فقال **الخميني** معلقاً علىٰ تلك الرواية: (الظاهر منها جواز الافتراء والقذف عليهم)[1]!

وقال شيخهم **الأنصاري**: (ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن - أي الشيعي - فيجوز اغتياب المخالف، كما يجوز لعنه)[2].

ونسبوا كذباً إلىٰ رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي، فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم، والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس، ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة)[3].

وهذه الرواية صححها **الشهيد الثاني**[4]، ومحققهم **الأردبيلي**[5]، **وعبد الله الجزائري**[6]، وقال بتصحيحها أيضاً محققهم **البحراني** حيث قال: (ورد في جملة من الأخبار جواز الوقيعة في أصحاب البدع ومنهم الصوفية، كما رواه في «الكافي» في الصحيح)[7]، ومحققهم **النراقي** حيث قال بعد تصحيح الرواية السابقة: (فتجوز غيبة المخالف، والوقيعة: الغيبة.. وتؤكده النصوص المتواترة الواردة عنهم في طعنهم ولعنهم وتكفيرهم، وأنهم شر من اليهود والنصارىٰ، وأنجس من الكلاب)[8]، وكذلك شيخهم **الأنصاري**[9]، ومرجعهم الأكبر **الخوئي** حيث قال: (قد دلت الروايات المتضافرة علىٰ جواز سب المبتدع في الدين، ووجوب البراءة منه واتهامه)[10].

كما صححها - أيضاً - مرجعهم **الكلبايكاني** حيث قال: (وأما المبتدع

---

(١) «المكاسب المحرمة» (١/ ٢٥١).

(٢) كتاب «المكاسب»، الأنصاري (١/ ٣١٩)، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ، مطبعة باقري، قم.

(٣) «الكافي»، الكليني (٢/ ٣٦٠).

(٤) «مسالك الأفهام» (١٤/ ٤٣٤).

(٥) «مجمع الفائدة» (١٣/ ١٦٣).

(٦) «التحفة السنية» (ص٣١).

(٧) «الحدائق الناضرة» (١٨/ ١٦٤).

(٨) «مستند الشيعة» (١٤/ ١٦٢).

(٩) «المكاسب» (١/ ٣٥٣).

(١٠) «مصباح الفقاهة» (١/ ٢٨١).

فيجوز ذكره بسوء لأنه مستحق للاستخفاف)[1]، ومرجعهم **محمد سعيد الحكيم**[2]، **والروحاني**[3]، **والطريحي** حيث قال معلقاً: (فاعلم أنه لا ريب في اختصاص تحريم الغيبة بمن يعتقد الحق، فإن أدلة الحكم غير متناولة لأهل الضلال كتاباً ولا سنة)[4]، وعلامتهم **المجلسي**[5].

قال مرجعهم المعاصر **الخوئي**: (ثبت في الروايات والأدعية والزيارات جواز لعن المخالفين ووجوب البراءة منهم، وإكثار السب عليهم، واتهامهم، والوقيعة فيهم: أي غيبتهم؛ لأنهم من أهل البدع والريب، بل لا شبهة في كفرهم)[6].

ثم قال بعدها: (الوجه الثالث: أن المستفاد من الآية والروايات هو تحريم غيبة الأخ المؤمن، ومن البديهي أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين المخالفين)[7].

وقال سيدهم **الروحاني**: (جواز غيبة المخالف من المسلّمات عند الأصحاب)[8].

ويقول شيخهم **الصادق الموسوي** معلقاً علىٰ رواية منسوبة للسجاد تشبه ما نسبوه لنبينا الأعظم ﷺ: (إن الإمام السجاد يجيز كل تصرف بحق أهل البدع.. من قبيل البراءة منهم وسبهم وترويج شائعات السوء بحقهم والوقيعة والمباهتة، كل ذلك حتىٰ لا يطمعوا في الفساد في الإسلام وفي بلاد المسلمين، وحتىٰ يحذرهم الناس لكثرة ما يرون وما يسمعون من كلام السوء عنهم، هكذا بتصرف أئمة الإسلام لإزالة أهل الكفر والظلم والبدع، فليتعلم المسلمون[9] من قادتهم

---

(1) «الدر المنظور» (٢/ ١٤٨).

(2) «مصباح المنهاج» (ص٣٥٩).

(3) «فقه الصادق» (١٤/ ٢٩٦).

(4) «مجمع البحرين» (٣/ ٣٤٣).

(5) «بحار الأنوار» (٧٢/ ٢٣٥).

(6) «مصباح الفقاهة» (١/ ٥٠٤).

(7) «مصباح الفقاهة» (١/ ٥٠٥).

(8) «فقه الصادق» (١٤/ ٣٤٥).

(9) **أقول**: انظر أخي المسلم كيف يحث هذا الشيخ الشيعي عموم الشيعة للسير علىٰ منهج السب وترويج شائعات السوء والوقيعة والكذب علىٰ الآخرين، والبراءة من المسلمين المخالفين لهم!

وليسيروا علىٰ منهجهم)[1]!!

٢ ـ موقفهم من الأشاعرة:

أما موقفهم من الأشاعرة ـ خصوصاً ـ فإنه موقف لا يختلف عن سائر مواقفهم من عموم أهل السنة والجماعة، من حيث الشدة والغلو في التكفير، والإخراج عن دائرة الإسلام.

فقد روىٰ عالمهم الكبير **المازندراني** حديثاً منسوباً إلىٰ النبي ﷺ، وهو قوله: «**القدرية مجوس هذه الأمة**». ثم علق عليه، فقال: (هم الأشاعرة وغيرهم من القائلين بالجبر)[2].

وقال أيضاً: (فالأشاعرة هم أنذل وأنزل من أن يفهموا هذه المعاني)[3].

وأطبق علماء الشيعة علىٰ وصف الأشاعرة: بالشرك والتجسيم، بسبب إثباتهم بعض الصفات، وهي الصفات التي تسمىٰ (صفات المعاني) وهي سبع صفاتٍ أثبتها الأشاعرة لله ﷻ، ووصف الأشاعرة بالشرك والتجسيم لازم لكافة أهل السنة والجماعة علىٰ معتقد الشيعة!

يقول العالم الإمامي الشيعي **المازندراني**: (إن كثيراً من محدثي العامة والكرامية بل الأشاعرة يثبتون له تعالىٰ صفات الجسم ولوازم الجسمية ويتبرؤون من التجسيم، مثلاً يقولون: إنه علىٰ العرش حقيقة، وإنه يُرىٰ في الآخرة، ورآه نبينا ﷺ بعيني رأسه، وإنه ينزل في كل ليلة جمعة ولكن ليس جسماً، وهذا تناقض يلتزمون به ولا يبالون، وهذا يدل علىٰ عدم تفطنهم لكثير من اللوازم البينة أيضاً، وعندنا هو عين التجسيم)[4].

وقد نسبَ **نصير الدين الطوسي**، وعلامتهم **الحليّ**، و**محمد حسن ترحيني** إلىٰ الأشاعرة الشرك والتعدد في ذات الله، حيث زعموا أنه يلزم

---

(١) «نهج الانتصار» (ص١٥٢). وانظر: «تنبيه الخواطر» (٢/ ١٦٢)، «وسائل الشيعة» (١١/ ٥٠٨).

(٢) «شرح أصول الكافي»، محمد صالح المازندراني (٥/ ١١).

(٣) «شرح أصول الكافي» (٣/ ١٠٢).

(٤) «شرح أصول الكافي» (٣/ ٢٠٢).

الأشعرية من مذهبهم في الصفات وجود قدماء مع الله في الأزل، وهذا شرك وتعدد[1].

وهذا حافظهم **رجب البرسي** ـ أحد علماء الإمامية ـ يقول: (وأما الإمامية الاثنا عشرية، فإنهم أثبتوا لله الوحدانية، ونفوا عنه الاثنينية، ونهوا عنه المثل والمثيل، والشبه والتشبيه، وقالوا للأشعرية: إن ربنا الذي نعبده ونؤمن به ليس هو ربكم الذي تشيرون إليه؛ لأن الرب مبرأ عن المثلات، منزه عن الشبهات، متعال عن المقولات)[2].

وقال **مصطفىٰ الخميني**: (ولعمري إن هذه الشبهة ربما أوقعت الأشاعرة في الهلكة السوداء، والبئر الظلماء، حتىٰ أصبحوا مشركين أو ذاهلة عقولهم عن الدين)[3].

وذهب العالم الإمامي الشيعي **نعمة الله الجزائري** ـ بناءً علىٰ ما تقدم ـ إلىٰ الحكم علىٰ الأشعرية بالكفر، بل وجعلهم في درجة أسوأ من المشركين الأصليين!

يقول: (الأشاعرة[4] لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير

---

(١) انظر: «شرح الإشارات والتنبيهات»، الطوسي، تحقيق سليمان دنيا (٣/ ٧٠)، الطبعة الثالثة، دار المعارف. و«الرسالة السعديّة»، الحلي، عناية محمود المرعشي، عبد الحسين محمد علي بقال (ص٥٠ ـ ٥١). و«الإحكام في علم الكلام» السيد محمد حسن (ص٢٥)، دار الأمير للثقافة والعلوم.

(٢) «مشارق أنوار اليقين»، البرسي، تحقيق علي عاشور (ص٣٣٧)، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٣) «تفسير القرآن الكريم مفتاح أحسن الخزائن الإلـٰهية»، السيد مصطفىٰ الخميني، تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني (١/ ١٠٣)، مؤسسة العروج، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ.

(٤) **أقول**: يحاول الشيعة استخدام الحيل الملتوية في تفريق أهل السنة، وذلك كقولهم: «نحن ليس بيننا وبين السنة مشكلة، مشكلتنا فقط مع الوهابية أو مع السلفية». وهذا القول مع كونه محاولة شيعية للتفريق بين أهل السنة؛ فإنه أيضاً من الكذب المحض، لأنهم كما قرأتَ سابقاً لا يفرقون في تكفيرهم بين أحد من أهل السنة.

صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار.. فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالاً في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارىٰ.. فمعرفتهم له سبحانه علىٰ هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار)[1].

٣ ـ موقفهم من الصوفية:

لم يكن موقف الشيعة من الصوفية بأحسن حالاً من موقفهم من سائر المخالفين، فالصوفية عندهم مثل الأشاعرة، والذين هم من عامة المسلمين من غير الشيعة.

يقول شيخ الشيعة ومحدثهم وفقيههم **الحر العاملي**:

(لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة عليهم السلام ذكر إلا بالذم، وقد صنفوا في الرد عليهم كتباً متعددة، ذكروا بعضها في فهرست كتب الشيعة.

قال بعض المحققين من مشايخنا المعاصرين: اعلم أن هذا الاسم وهو اسم التصوف كان مستعملاً في فرقة من الحكماء الزايغين [كذا] عن الصواب، ثم بعدها في جماعة من الزنادقة وأهل الخلاف من أعداء آل محمد كالحسن البصري وسفيان الثوري ونحوهما، ثم جاء فيمن جاء بعدهم وسلك سبيلهم كالغزالي رأس الناصبين لأهل البيت)[2].

وقال أيضاً: (روىٰ شيخنا الجليل الشيخ **بهاء الدين محمد العاملي** في كتاب «الكشكول»، قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني، وإنهم يهود أمتي وهم أضل من الكفار، وهم أهل النار**»[3].

ثم عقد فصلاً كاملاً تحت عنوان: (**ذكر بعض مطاعن مشايخ الصوفية**

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٨).

(٢) «رسالة الإثني عشرية في الرد علىٰ الصوفية»، الحر العاملي (ص١٣ ـ ١٦).

(٣) «رسالة الإثني عشرية في الرد علىٰ الصوفية»، الحر العاملي (ص١٣ ـ ١٦).

وجواز لعن المبتدعين والمخالفين والبراءة منهم)[1] وسرد الروايات والأقوال في مطاعن الصوفية ولعنهم والافتراء عليهم!

أما من الناحية العملية، فإن ذاكرة الأمة الإسلامية المثقلة بالآلام لا زالت تستعيد الصور المريرة لسقوط بغداد ٦٥٦هـ، وتتذكر ما فعله الوزير الشيعي (ابن العلقمي) حينما خان الخليفة الذي وثق فيه، وتعاون مع التتار سراً لغزو بغداد وتدميرها.

فقد ذكر (قطب الدين اليونيني البعلبكي): أن (ابن العلقمي) كاتب التتر وأطمعهم في البلاد وأرسل إليهم غلامه وأخاه بذلك[2].

وذكر (الإمام الذهبي) أن (ابن العلقمي) استطاع أن يقطع أخبار الجند الذين استنجدهم بهم المستنصر، وأنه بذل جهده في أن يزيل دولة بني العباس ويقيم علوياً، وأخذ يكاتب التتار ويراسلونه[3].

وذكر (اليافعي) أن التتار دخلوا بغداد ووضعوا السيف واستمر القتل والسبي نيفاً وثلاثين يوماً، وقلّ من نجا، وسبب دخولهم أن ابن العلقمي كاتبهم وحرضهم علىٰ قصد بغداد لقيم خليفة علوياً، وكان يكاتبهم سراً، ولا يدع المكاتبات تصل إلىٰ الخليفة.

ثم ذكر (اليافعي) أن الوزير ابن العلقمي خدع الخليفة وأوهمه أن التتار يريدون عقد الصلح معه، وحثه أن يخرج إليهم بأولاده ونسائه وحاشيته، فخرجوا فضربت رقاب الجميع، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة، فتضرب أعناقهم حتىٰ بقيت الرعية بلا راعٍ، وقتل من أهل الدولة وغيرهم ألف ألف وثمان مائة[4].

ويقول المؤرخ الشيعي (نور الله الششتري المرعشي) ما نصه عن حقيقة الدور الذي لعبه ابن العلقمي: (إنه كاتب هولاكو والخواجه نصير الدين

---

(١) انظر كامل: «رسالة الإثني عشرية في الرد علىٰ الصوفية»، الحر العاملي.

(٢) انظر: «ذيل مرآة الزمان»، سبط ابن الجوزي (١/ ٨٥).

(٣) «دول الإسلام» (٢/ ١١٨).

(٤) «مرآة الجنان» (٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

الطوسي، وحرضهما علىٰ تسخير بغداد للانتقام من العباسيين بسبب جفائهم لعترة سيد الأنام ﷺ)[1].

ويقول العالم الشيعي (الخوانساري) عند ترجمته لنصير الدين الطوسي ما نصه:

(ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم هولاكو خان، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلىٰ دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، بإبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلىٰ أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلىٰ نار جهنم دار البوار)[2]!

ومما يؤسف له، أنَّ هذا التصرف كان محل تقدير واحترام من الشيعة، بل إنَّ جنس هذا الفعل مُقرر في الأدبيات الشيعية، ومحل تقدير واستحباب!

فهذا إمام الشيعة المعاصر (الخميني) يقول بكل صراحة ما نصه: (إذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتىٰ لو أدىٰ الامتناع إلىٰ قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله)[3].

أما خدمة نصير الدين الطوسي فقد عرفها الجميع حينما قدم مع التتار لإبادة بغداد، أما خدمة علي بن يقطين للإسلام فندع بيانها لأحد علماء الشيعة (نعمة الله الجزائري) وملخصها كما ذكر: أن علي بن يقطين كان مسؤولاً في الدولة العباسية، وسنحت له الفرصة لقتل خمسمائة سني وصفهم بقوله: (جماعة من المخالفين) فقتلهم بأن هدم عليهم سقف السجن فماتوا كلهم، فأرسل يستفسر عن عمله عند إمامه المعصوم فأقره علىٰ عمله وعاتبه أنه لم يستأذن، وجعل كفارة كل رجل من أهل السنة (تيساً) وقال: والتيس خير منهم[4].

---

(١) «مجالس المؤمنين» (ص٤٠٠).
(٢) «روضات الجنات» (٦/ ٣٠٠).
(٣) «الحكومة الإسلامية» (ص١٤٢).
(٤) «الأنور النعمانية» (٢/ ٣٠٨).

يقول العالم الشيعي (نعمة الله الجزائري) معلقاً علىٰ هذه الحادثة:

(فانظر إلىٰ هذه الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم [يقصد أهل السنة] الأصغر وهو كلب الصيد، فإن ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي)[1].

ومما يؤسف له أن (ابن العلقمي) لم يكن وحده في ذلك، بل كان كثرة كاثرة من شيعة بغداد فعلوا فعله!

فقد ذكر المؤرخ (رشيد الدين الهمداني) والمؤرخ (أبو المحاسن) أن الشيعة في: الكرخ، والحلة، وبغداد، خرجوا في استقبال هولاكو استقبال الفاتحين الأبطال، والتحق كثير من الشيعة بجيش المغول، وأقاموا الأفراح ابتهاجاً بهم[2]!

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها (نصير الدين الطوسي) تلك الرسالة التي كتبها ـ بوصفه وزيراً (لهولاكو) ـ إلىٰ أهل السنة في الشام، يهددهم فيها ويتوعدهم إن لم يدخلوا في طاعة التتار، أن سوف يفعل بهم كما فعل في بغداد!!

يقول الطوسي: (اعلموا أنا جند الله، خلقنا من سخطه، فالويل كل الويل لمن لم يكن من حزبنا، قد خربنا البلاد، وأيتمنا الأولاد، وأظهرنا في الأرض الفساد، فإن قبلتم شرطنا، وأطعتم أمرنا، كان لكم ما لنا، وعليكم ما علينا)[3].

وهذا عميد طائفة الشيعة في بغداد وقت سقوطها (ابن طاووس) يعلن عن فرحته بدمار دولة الإسلام ويسميه فتحاً، ويترحم علىٰ هولاكو. حيث يقول:

(يوم ثامن عشر محرم وكان يوم الاثنين سنة ٦٥٦هـ فتح ملك الأرض

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٣٠٨).

(٢) «جامع التواريخ» (١/ ٢٥٩)، و«النجوم الزاهرة» (٧/ ٤٩).

(٣) مخطوطة في مكتبة كلية الآداب جامعة بغداد (رقم ٩٧٥).

ـ يقصد هولاكو ـ زيدت رحمته ومعدلته ببغداد)[١].

وذكر المؤرخ (ابن الطقطقي) أن (ابن طاووس) أصدر فتوىٰ لهولاكو يفضل فيها العادل الكافر علىٰ المسلم الجائر[٢]!!

يقول العالم الشيعي (علي العدناني الغريفي) معلقاً علىٰ هذه الحادثة: (وقد نال ابن طاووس بفتياه هذه مقاماً كبيراً في نفس الكافر المحتل)[٣].

ومكافأة له قام هولاكو بتعيينه مرجعاً للشيعة، يقول (ابن طاووس) نفسه: (ولم نزل في حمىٰ السلامة الإلـٰهية، وتصديق ما عرفناه من الوعود النبوية، إلىٰ أن استدعاني ملك الأرض ـ هولاكو ـ إلىٰ دركاته المعظمة جزاه الله بالمجازات المكرمة في صفر، وولاني علىٰ العلويين والعلماء والزهاد، وصحبت معي نحو ألف نفس ومعنا من جانبه من حمانا إلىٰ أن وصلت «الحلة» ظاهرين بالآمال)[٤].

وذكر (ابن مطهر الحلي) أن أباه والسيد محمد بن طاووس والفقيه ابن أبي العز، أجمع رأيهم علىٰ مكاتبة هولاكو، بأنهم مطيعون داخلون تحت دولته. وأن هولاكو سألهم بما معناه: لماذا تخونون خليفتكم؟ ألا تخافون منه؟!

فأجابه والد (ابن مطهر الحلي) بأن رواياتهم المذهبية تحثهم علىٰ مبايعتك، وترك الدولة العباسية، وأنك أنت المنصور الظافر!

ويعلق (ابن مطهر الحلي) علىٰ قصة والده: (فطيب قلوبهم وكتب فرماناً باسم والدي يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها)[٥].

٤ ـ موقفهم من الفرق الشيعية الأخرىٰ!

يبدو أن الغلو في التكفير قد وصلَ إلىٰ حدٍّ عظيمٍ، حيث تعدىٰ الفرق

---

(١) «إقبال الأعمال»، ابن طاووس (ص٥٨٦).
(٢) الفخري (ص١٧). (٣) «مقدمة بناء المقالة» (ص١٨).
(٤) «إقبال الأعمال» (ص٥٦٨).
(٥) «سفينة النجاة»، عباس القمي (١/ ٥٦٨).

غير الشيعة إلىٰ الفرق الشيعيَّة ـ أيضاً ـ من غير الإثني عشرية، كالواقفة، والفطحيَّة، والناووسيَّة، والزيدية، والإسماعيلية، والعلوية النصيرية، وغيرها من فرق الشيعة الأخرىٰ، التي تعتبر كافرةً عند الإثني عشرية!

يقول مرجعهم الكبير المعاصر آية الله العظمىٰ **محمد الحسيني الشيرازي**: (وأما سائر أقسام الشيعة غير الإثني عشرية، فقد دلت نصوص كثيرة علىٰ كفرهم ككثير من الأخبار المتقدمة، الدالة علىٰ أن من جحد إماماً كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة)[1].

وقال الشيخ **بهاء الدين العاملي**: (المستفاد من تصفح كتب علمائنا، المؤلفة في السير والجرح والتعديل، أن أصحابنا الإمامية كان اجتنابهم لمن كان من الشيعة علىٰ الحق أولاً، ثم أنكر إمامة بعض الأئمة عليهم السلام في أقصىٰ المراتب، بل كانوا يحترزون عن مجالستهم، والتكلم معهم فضلاً عن أخذ الحديث عنهم، بل كان تظاهرهم بالعداوة لهم أشد من تظاهرهم بها للعامة[2]، فإنهم كانوا يتقون العامة، ويجالسونهم وينقلون عنهم، ويظهرون لهم أنهم منهم، خوفاً من شوكتهم؛ لأن حكام الضلال منهم. وأما هؤلاء المخذولون: فلم يكن لأصحابنا الإمامية ضرورة داعية إلىٰ أن يسلكوا معهم علىٰ ذلك المنوال، وخصوصاً «**الواقفة**»، فإن الإمامية كانوا في غاية الاجتناب لهم، والتباعد عنهم، حتىٰ إنهم كانوا يسمونهم «**الممطورة**» أي: الكلاب التي أصابها المطر. وأئمتنا عليهم السلام كانوا ينهون شيعتهم عن مجالستهم ومخالطتهم،

---

(١) كتاب «الفقه»، الشيرازي (٤/ ٢٦٩)، دار العلوم، بيروت ـ لبنان.

(٢) **أقول**: يقصد بمصطلح **(العامة)** أهل السنة. ثم تأمل في اعترافه بخداعهم لأهل السنة، وإظهارهم خلاف ما يبطنون، واعتقادهم بأن حكام المسلمين حكام ضلال! ثم ألا يجب علىٰ المخلصين والصادقين والعقلاء أن يراجعوا مواقفهم، وأن يتأملوا عقيدة الشيعة ـ هداهم الله ـ فهم كما يقرر شيخهم العاملي يداهنون أهل السنة حينما يكون أهل السنة أقوياء وبيدهم الحكم، لكن حينما لا تكون بين أهل السنة قوة؛ فإن الشيعة لا يحتاجون بعدُ للتقية أو المداهنة، ولذلك فإنهم يظهرون علىٰ حقيقة طباعهم وقناعاتهم، كما فعلوا مع فرقة الواقفة علىٰ ما يحكي ذلك شيخهم بهاء الدين العاملي!.

ويأمرونهم بالدعاء عليهم في الصلاة، ويقولون: إنهم كفار، مشركون، زنادقة، وأنهم شر من النواصب، وأن من خالطهم فهو منهم. وكتب أصحابنا مملوءة بذلك)[1].

ويقول عالمهم **البياضي** في حق الشيعة الإسماعيلية: (إنهم خارجون عن الملة الحنيفية بالاعتقادات الرديئة[2]، وذلك أنهم قالوا: كل ظاهر فله باطن، وأن الله بتوسط كلمة «كن» أوجد عالمي الخلق والأمر، فجعلوه محتاجاً في فعله إلىٰ الواسطة والآلة)[3].

وقال علامتهم «**محمد طاهر النجفي**: (وأما الإسماعيلية فمذهبهم واضح البطلان، لسوء عقائدهم، وقبح مذاهبهم)[4]. ونصَّ المحقق الحلي علىٰ نجاسة الإسماعيلية[5].

ووصف **عبد الله شُبر** الإسماعيلية بأنها: (من الفرق الضالة المبتدعة)[6].

وقال **النوري الطبرسي**: (ووافقنا علىٰ ذلك السيد الفاضل المعاصر

---

(١) «مشرق الشمسين»، الشيخ بهاء الدين العاملي (٢٧٣ ـ ٢٧٤) مطبعة مهر، الطبعة الحجرية، إيران ـ قم ١٣٩٨.
أقول: وقد نقل شيخهم الحر العاملي الكلام السابق بطوله مؤيداً وناصراً له في وسائل الشيعة (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٢) **أقول**: لم تقف الإسماعيلية مكتوفة اليد أمام هذا الهجوم الإثني عشري، فقد ردت الإسماعيلية التضليل بالتضليل، والتكفير بالتكفير، حيث رؤوا أن بعض أئمة الإثني عشرية أئمة ضلال، وأنهم أعظموا الفرية علىٰ الله، وأنهم جاؤوا ليطفئوا نور الله، ومنعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعوا في خرابها، وأنهم شابهوا عقيدة النصارىٰ في مهديهم الذي سيرجع آخر الزمان ليفصل بين الحق والباطل... إلخ.
انظر: «سرائر وأسرار النُطقاء»، الداعي جعفر بن منصور اليمن، تحقيق مصطفىٰ غالب (ص٢٤٦ ـ ٢٦٤)، دار الأندلس.

(٣) كتاب «الصراط المستقيم إلىٰ مستحقي التقديم»، علي العاملي البياضي (٢/ ٢٧٢)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

(٤) «الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين»، النجفي القمي، تحقيق السيد مهدي الرجائي (ص٤٩٢).

(٥) انظر: «شرائع الإسلام»، الحلي (١/ ١٢).

(٦) «حق اليقين» (ص٢٥١).

ـ **الخونساري** ـ رَحِمَهُ اللَّهُ في الروضات في ترجمة جلال الرومي حيث قال: الإسماعيلية[1] وإن كانوا في ظاهر دعاويهم الكاذبة، من جملة فرق الشيعة المنكرين لخلافة غير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا أن الغالب عليهم الإلحاد، والزندقة، والمروق عن الدين، والخروج عن دائرة الموحدين، والمليين، وأتباع النبيين)[2].

وكما ترىٰ فإن سُعار التكفير والإقصاء وصل حتىٰ الفرق الشيعية الأخرىٰ، ولم يختلف حالها عن غيرها من الفرق والطوائف، ولأن الشيعة الإمامية فرقة تؤمن بالتعصب والحدّية، ولذلك انتقل هذا السُعار إلىٰ داخل الفرقة نفسها، ووصل إلىٰ درجات خطيرة من اللاإنسانية والتعصب!

٥ ـ التكفير الداخلي!

انقسمت الشيعة الإثنا عشرية إلىٰ فرق وطوائف كثيرة، من أبرزها:

---

(١) **أقول**: يشتكي الدكتور الإسماعيلي المعاصر عارف تامر من ظلم الشيعة الإثني عشرية لطائفته الإسماعيلية عبر التاريخ، حيث يقول: (صرت أخشىٰ أن ينالني مثلهم ـ يقصد قدماء الإسماعيلية ـ وأن يأتيني الدور فأتهم في عقيدتي وديني. إنَّ كل هذا يدفعني إلىٰ الترحم علىٰ الأمويين والعباسيين الأعداء، فهم ليسوا أقسىٰ قلباً من أبناء العم الأقربين).
كتاب «افتتاح الدعوة»، القاضي النعمان التميمي، تقديم عارف تامر (ص١٠)، الطبعة الأولىٰ ١٤١٦هـ، دار الأضواء، بيروت.
أقول: تأمل أخي القارئ ـ وفقك الله ـ ما قاله الدكتور الإسماعيلي، ثم تمعن طويلاً في كلام ابن تيمية، لتعلم أن ما يقوله هذا الإمام الرباني آتٍ عن تجربة حقيقية، وأنه لا يرمي بالكلام في الهواء.
قال ابن تيمية: (فأهل السنة يستعملون معهم ـ أي المخالفين ـ العدل والإنصاف، ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقاً.. بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً.. ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلىٰ بعضهم من بعض). «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) «خاتمة مستدرك الوسائل»، المحقق الميرزا النوري الطبرسي (١/ ١٣٩) تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولىٰ ١٤١٥هـ، مدينة قم.

الإخبارية، والأصولية، والشيخيَّة، وقد جرىٰ بين تلك الطوائف ردود ومنازعات، وتكفير وتشنيع، حتىٰ إن بعضهم أفتىٰ بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر[1]!

يقول حجتهم **محمد حسن آل الطالقاني**: (أوغل الإخباريون في الازدراء بالأصوليين إلىٰ درجة عجيبة، حتىٰ إننا سمعنا من مشايخنا والأعلام وأهل الخبرة والاطلاع علىٰ أحوال العلماء، أن بعض فضلائهم كان لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه)[2].

وتكلم **الطالقاني** عن طبيعة الخلاف بينهم، وإلىٰ أي مستوىً هبط بين علماء المذهب الشيعي المختلفين، فقال: (كانت اللهجة قاسية، والأسلوب نابياً، وقد تزعم فريق الإخباريين في تلك الفترة الميرزا **محمد النيشابوري** المعروف بالإخباري، كما تزعم فريق الأصوليين الشيخ **جعفر كاشف الغطاء** النجفي)[3].

ثم يقول **الطالقاني**: (وقد تطرف الإخباري إلىٰ أبعد حد ووسع شقة الخلاف كثيراً، وتخلىٰ عن الأدب والحشمة والاحترام في مناقشته لعلماء الأصوليين في نقده ورده علىٰ السواء، وتطاول علىٰ أساطين الدين وعظماء المذهب بالشتم، واستعمل بذيء القول ومرذوله، أدىٰ إلىٰ وقوف العلماء قاطبة في وجهه وإجماعهم علىٰ هتكه وتحطيمه، حتىٰ انتهت القصة بمأساة فظيعة، فقد قتل علىٰ أيدي العوام مع كبير أولاده بهجوم شنّ علىٰ داره في الكاظمية، وسلمت جثته إلىٰ السكان للعبث بها)[4].

وقد كان العالم الإخباري المقتول صريحاً في قوله، يقول **الطالقاني**:

---

(١) انظر: «تنقيح المقال في أحوال الرجال» (٢/ ٨٥)، و«مع علماء النجف»، محمد جواد مغنية (ص٧٤)، و«الشيخية» الطالقاني (٣٩).

(٢) «جامع السعادات» (ص١)، و«الشيخية» (ص٣٩).

(٣) «الشيخية» (ص٣٩).

(٤) «الشيخية» (ص٤٠).

(الإخباري تمادىٰ في غيّه وتوسّع في اتهاماته لأساطين العلماء ونسبة الآراء الفاسدة والفتاوىٰ المفتعلة القذرة لهم، **كنسبته القول بجواز اللواط إلىٰ السيد محسن الأعراجي، ونسبته أمثال ذلك إلىٰ الشيخ أبي القاسم القمي، والسيد علي الطباطبائي** وغيرهما)[1].

فغضب كاشف الغطاء من العالم الإخباري، فألف كتابه «كاشف الغطاء عن معايب الميرزا محمد الإخباري عدو العلماء». فقام الشيخ الإخباري ورد علىٰ كاشف الغطاء بكتاب سماه «**الصيحة بالحق علىٰ من ألحد وتزندق**»[2]!

يقول **الطالقاني**: (ولما توفي كاشف الغطاء بمرض الخنازير، قال الإخباري: **مات الخنزير بالخنازير**. هكذا كان الإخباري يرد)[3].

وقد اشتعل الخلاف الداخلي بين الشيعة (الإخبارية والأصولية)، وتأججت الأمور، واستفحلت المهاترات، حتىٰ أدت إلىٰ ما لا يخطر ببال.

يقول **الطالقاني**: (حتىٰ أدت إلىٰ هتك البعض لحرمة البعض، وانتقاص كل واحد الآخر. وكان كل فريق يرىٰ وجوب قتل الفريق الآخر، وتطورت القضايا إلىٰ أمور شخصية بحتة تقريباً، فكان كل من الخصمين يهدف إلىٰ الانتقام من خصمه والتطويح به)[4]!

ثم بعد مدة من الزمن انتقل الصراع الثنائي (الإخبارية والأصولية) إلىٰ اتفاقهما ضد الخصم الجديد، وهو فرقة الشيخية، وشيخها **أحمد الأحسائي**، الذين اهتموا بالمعرفة الروحانية، والعلوم الفلسفيَّة!

يقول **الطالقني**: (كتب **البرغاني** الشهيد الثالث إلىٰ علماء كربلاء بأنه كفر الأحسائي وطلب متابعتهم في ذلك، فاستجابوا وارتفعت الأصوات معلنة كفره

---

(١) «الشيخية» (ص٤١).

(٢) انظر: «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات»، الخونساري (١/ ٥٢)، و«الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة» (٧/ ٣٨).

(٣) «لباب الألقاب في ألقاب الأطياب» (ص٨٧)، و«قصص العلماء» (ص١٣٣)، و«الشيخية» (ص٤٢).

(٤) «الشيخية» (ص٤٢).

وصار الناس في حيرة مما حدث، ثم سادت الخصومة وتوسع الخلاف، وظهر لدىٰ الشيعة مبدأ جديد، وقبرت خلافات الإخباريين والأصوليين، وحلت محلها الشيخية وخصومها)[1].

وتوالت التكفيرات من كل حدب وصوب، فقد كفره: السيد علي الطباطبائي، والسيد مهدي، والشيخ محمد جعفر شريعة مداري، والمولىٰ أغا الدربندري، والمازندراني، والسيد إبراهيم القزويني، والشيخ حسن النجفي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني.

ثم جرت بعد ذلك مقتلة رهيبة بين الطرفين، وامتدت المجازر الفظيعة إلىٰ كل دارسٍ ومدرسٍ للمعرفة الروحيَّة والعلوم الفلسفيَّة في إيران، وأصبح حضور تلك الدروس من أعظم الجرائم، وأكبر الكبائر!

يقول **الطالقاني**: (ما سجله التاريخ عن تلك المجزرة: أن شاعراً من أهل كاشان اسمه «باقر خرده ئي» كان من تلاميذ محمود النقطوي رئيس أحد تلك المكاتب الفلسفية، وقد تذرع بعذر قبيح طلباً للسلامة، **ذلك أنه ادعىٰ امتهان اللواط والهيام بغلام أمرد من تلامذة النقطوي، وأنه يتردد إلىٰ المكتب ليحاول الفسق بالغلام لا طلباً للعلم، وقد شفع له بعض علماء خراسان، وأيدوا ادعاءه، فعفي عنه ونجا من الموت!**

ومن الخزي أن يسجل التاريخ في حكم عباس الصفوي هذه المثلبة، وأن الانحراف الخلقي والشذوذ الجنسي، أهون لديه من طلب المعرفة)[2].

أقول: أخي القارئ الكريم، هذه جملة يسيرة من أقوال بعض الطوائف والفرق الإسلامية بين يديك، تبيَّن حجم ما يسمىٰ بالإقصاء عندهم، ومدىٰ غلوهم أو اعتدالهم في مسألة التكفير، ثم قارن ذلك كله بموقف ابن تيمية النظري والتطبيقي من مخالفيه.

---

(١) «الشيخية» (ص١٠٠).

(٢) «الشيخية» (ص٣٣٦). وانظر: «الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة» (٧/ ٢٦٥).




المبحث العاشر

موقفه من أهل البيت

لا يشك أي مسلم أن لأهل بيت النبوة عليهم السلام فضلاً ومكانة في الإسلام، ومحبة في قلوب المسلمين. وكيف لا يكون ذلك وهم أهل بيت الرسول ﷺ، فبحبنا لرسول الله ﷺ نحبهم ونتوسل إلىٰ الله بحبهم، لأن الله سبحانه قد أوجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة محبة نبيه ﷺ، ومن مقتضيات تلك المحبة محبة أهل بيته ـ رضوان الله عليهم ـ ومودتهم، وبرُّهم، وهذا كله فرعٌ عن حب، ومودة، وبر النبي ﷺ.

هذا أصل راسخ في عقيدة المسلمين وفي وجدانهم، وهكذا قرر أئمة وعلماء الإسلام، وهكذا بيَّن السلف الصالح رضي الله عنهم قولاً وعملاً، وكان ابن تيمية أحد أفراد العلماء والأئمة الذين أكدوا علىٰ تلك المعاني في حق أهل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ وكان منهجهم وسطاً بين رذيلتين، الإفراط والتفريط، حيث وقع قومٌ في الغلو في أهل البيت حيث جعلوهم في مصاف الآلهة، وهوىٰ بهم قومٌ فأنكروا حقوقهم الشرعية، وبخسوهم حقهم.

أما من هم أهل البيت؟

فقد اختلف العلماء في تحديد من هم آل النبي ﷺ، لكنَّ القول الراجح أنهم من تحرم عليهم الصَّدقة، وهذا قول الإمام الشافعيّ، والإمام أحمد، وأتباعهما، وهو رأي أكثر العلماء[1].

ويدخل ـ وهو الراجح والصواب ـ في أهل البيت أزواج النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، لظاهر آية التطهير، وللحديث المتفق عليه: «**اللهم صلِّ**

---

(١) «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام»، ابن القيم (ص٣٢٤ ـ ٣٢٦).

علىٰ محمد، وأزواجه، وذريته»[1].

وقد أُبتلي هذا البيت الطاهر بفئتين ضالتين ومنحرفتين، وهما: المفرطون في حقهم والذين يجافونهم ويبغون عليهم ويكرهونهم وهم **النواصب**. ومفرطون في حبهم، متجاوزون حقهم الشرعي، حيث وضعوهم في مراتب الآلهة، وهؤلاء هم **الغلاة** الذين ينتحلون حبهم.

وقد عانىٰ أهل البيت كثيراً من الذين غلو فيهم، ومن انتحل حبهم، وتبرؤوا منهم ومن طريقتهم المخالفة لأصول الدين، ومقتضىٰ الإيمان والمحبة، فبسند صحيح عن يحيىٰ بن سعيد قال: سمعت زين العابدين عليّ بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ وكان أفضل هاشمي أدركته يقول: (يا أيها النَّاس، أحبُّونا حُبَّ الإسلام، فما برح بنا حُبُكم حتَّىٰ صار علينا عاراً)[2].

وبسند حسن عن الفضيل بن مرزوق قال: سألت زين العابدين رَحِمَهُ اللهُ هل فيكم إنسان من أهل البيت مُفترض طاعته؟ فقال: (لا والله، من قال هذا فينا فهو كذاب)[3].

وبين هؤلاء وهؤلاء ـ الغلاة والجفاة ـ معتدلون منصفون، قد فارقوا طريقة الغلاة وطريقة الجفاة، فكانوا وسطاً عدلاً بين هؤلاء، فهداهم الله للصراط المستقيم، وأنعم عليهم بحب أهل بيت نبيه ﷺ وحب أصحابه رضي الله عنهم وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، الذين يحبون الآل والأصحاب الكرام، ويتولونهم جميعاً، ويراعون حقوقهم التي كتبها الله لهم، ويتبرؤون ممن يغلوا فيهم أو يجافيهم.

وأما موقف ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من أهل البيت، فلقد كان وسطاً فاضلاً

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٢) «الطبقات»، ابن سعد (٥/ ٢١٤)، «تاريخ دمشق»، ابن عساكر (٤١/ ٣٩٢). وانظر: «استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف»، الحافظ السخاوي، تحقيق خالد بابطين (٢/ ٧٠٧ وما بعدها).

(٣) «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٩٢)، «الطبقات» (٥/ ٣٢٤). وانظر: «استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف» (٢/ ٧٠٧ وما بعدها).

بين هؤلاء الغلاة والجفاة، حيث سلك منهج السلف الصالح في توقير ومحبة أهل البيت ﷺ وفق ما حثت عليه النصوص الشرعية، ووصايا النبي ﷺ وبذا فارق نهج الغلاة وطريق الجفاة، وحقق الموقف العدل والوسط، ووافق قول النبي ﷺ تعظيماً وتنفيذاً له، وهذا أمر مستقر في نهج ابن تيمية.

ولقد كان ابن تيمية محباً معظماً لكلام رسول الله ﷺ، واقفاً عند أقواله، معظماً للسنة، قال وهو يحمل كتاباً فيه أقوال النبي ﷺ:

(لو حملته علىٰ رأسي لكان ينبغي، ألَا أحمل ما فيه كلام رسول الله ﷺ)[1].

وكان حبه لأهل بيت النبوة ﷺ فرع عن أصل هو حبه للنبي ﷺ حباً يتطابق فيه الاعتقاد بالعمل، وتتوافق فيه الأقوال بالأفعال.

قال تلميذه الحافظ البزار: (يجلس ـ أي ابن تيمية ـ بعد أن يصلي ركعتين، فيحمد الله ويثني عليه، ويصلي علىٰ رسوله ﷺ علىٰ صفةٍ مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره.. وكان لا يذكر رسول الله ﷺ قطُّ إلا ويصلي ويسلم عليه، ولا والله ما رأيت أحداً أشدَّ تعظيماً لرسول الله ﷺ، ولا أحرص علىٰ اتباعه ونصر ما جاء به منه)[2].

ومن تلك المحبة نبعت محبة شيخ الإسلام ابن تيمية لأهل البيت، فهذا هو يقول:

(ولا ريب أنَّ لآل محمد ﷺ حقًّا علىٰ الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبَّة والموالاة ما لا يستحقُّه سائر بطون قريش)[3].

وقال في لاميَّته:

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي ... رزق الهدىٰ من للهداية يسألُ
اسمع كلام محققٍ في قوله ... لا ينثني عنه ولا يتبدلُ

---

(١) «الأعلام العلية» (ص٤٩).
(٢) «الأعلام العلية» (ص٢٨).
(٣) «منهاج السنة» (٤/٥٩٩).

حُبُّ الصحابة كُلِّهم لي مذهبٌ ومودة القربىٰ بها أتوسَّلُ[1]

وقال: (واتباع القرآن واجب علىٰ الأمة، بل هو أصل الإيمان وهدىٰ الله الذي بعث به رسوله ﷺ، وكذلك أهل بيت رسول الله ﷺ تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم، وهذان الثقلان اللذان وصىٰ بهما رسول الله ﷺ)[2].

وقال ابن تيمية: (ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ رعاية حقوق الصحابة والقرابة، وتبرؤوا من الناصبة الذين يكفرون علي بن أبي طالب ويفسقونه رضي الله عنه، ويتنقصون بحرمة أهل البيت؛ مثل من كان يعاديهم علىٰ الملك، أو يعرض عن حقوقهم الواجبة، أو يغلو في تعظيم يزيد بن معاوية بغير الحق، وتبرؤوا من الرافضة الذين يطعنون علىٰ الصحابة وجمهور المؤمنين ويكفرون عامة صالحي أهل القبلة)[3].

وقال ابن تيمية شارحاً معتقده الذي هو معتقد أهل السنة والجماعة:

(ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم: **«أذكركم الله في أهل بيتي»**. وقال ـ أيضاً ـ للعباس عمه، وقد اشتكىٰ إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال: **«والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتىٰ يحبوكم لله ولقرابتي»**. وقال: **«إن الله اصطفىٰ بني إسماعيل، واصطفىٰ من بني إسماعيل كنانة، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**.

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، أول من آمن به، وعاضده علىٰ أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها . .

---

(١) «الصحيح من النظم الفصيح»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (ص٣٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٩١).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر من الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر[1].

ويبيّن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الأصل في محبة النبي ﷺ وأنها في الحقيقة حبٌّ لله، وأن أصل المحبة كلها لله، وبحب الله نحب رسوله ﷺ ونحب أهل بيته الطاهر:

يقول: (وليس للخلق محبة أعظم، ولا أكمل، ولا أتم، من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالىٰ، وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وفي الحديث: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي**»[2].

ولذا كان منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الوسط والعدل، لأنهم يتكلمون بعلم، ويحكمون بعدل، ويقولون بما أمر به الله، ويمتثلون ما شرعه النبي ﷺ وليس للهوىٰ أو للشهوات نصيب في توجيه منهجهم.

قال ابن تيمية: (وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين، ويتكلمون بعلم

---

(١) «العقيدة الواسطية»، ابن تيمية، تحقيق العلامة زهير الشاويش (ص٥٣ ـ ٥٥)، المكتب الإسلامي.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٤٩).

وعدل، ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء، ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً، ويتولون السابقين الأولين كلهم، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت عليهم السلام التي شرعها الله لهم)[1].

ولا يشك مؤمن أنَّ من رؤوس وأسياد أهل البيت رضي الله عنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة رضي الله عنها والسبّاق في الإسلام، والبطل المجاهد الباذل روحه في سبيل الدين، والسابق بالخيرات والفضل، ورابع الخلفاء الراشدين رضي الله عن الجميع.

قال ابن تيمية: (فضل عليّ رضي الله عنه وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم، ولله الحمد من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني)[2].

وقال: (أما كون عليّ رضي الله عنه وغيره مولىٰ كل مؤمن، فهو وصف ثابت لعليّ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد مماته، وبعد ممات عليّ، فعلي اليوم مولىٰ كل مؤمن)[3].

وقال: (وأما عليّ رضي الله عنه فلا ريب أنه ممن يحب الله ويحبه الله)[4].

وقال: (لا ريب أن مولاة علي واجبة علىٰ كل مؤمن)[5].

وقال مبيناً محبة أهل السنة والجماعة لعلي رضي الله عنه ودورهم في حفظ ورواية فضائله ومناقبه العظيمة: (وكتب أهل السنة من جميع الطوائف مملوءة بذكر فضائله ومناقبه ـ أي: علي رضي الله عنه ـ وبذم الذين يظلمونه من جميع الفرق، وهم ينكرون علىٰ من سبَّه، وكارهون لذلك، وما جرىٰ من التساب والتلاعن بين العسكرين من جنس ما جرىٰ من القتال، وأهل السنة من أشد الناس بغضاً وكراهة لأن يتعرض له بقتال أو سب).

بل هم كلهم متفقون علىٰ أنه أجل قدراً، وأحق بالإمامة، وأفضل عند الله

---

(١) «منهاج السنة»، ابن تيمية (٢/ ٧١).
(٢) «منهاج السنة» (٨/ ١٦٥).
(٣) «منهاج السنة» (٧/ ٣٢٥).
(٤) «منهاج السنة» (٧/ ٢١٨).
(٥) «منهاج السنة» (٧/ ٢٧).

وعند رسوله ﷺ، وعند المؤمنين من معاوية وأبيه وأخيه الذي كان خيراً منه، وعلي رضي الله عنه أفضل ممن هو أفضل من معاوية رضي الله عنه، فالسابقون الأولون الذين بايعوا تحت الشجرة كلهم أفضل من الذين أسلموا عام الفتح، وفي هؤلاء خلق كثير أفضل من معاوية، وأهل الشجرة أفضل من هؤلاء كلهم، وعلي أفضل جمهور الذين بايعوا تحت الشجرة، بل هو أفضل منهم كلهم إلا الثلاثة، فليس في أهل السنة من يقدم عليه أحداً غير الثلاثة، بل يفضلونه علىٰ جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلىٰ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار(١).

وقال: (لا ريب أن علياً رضي الله عنه كان من شجعان الصحابة وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله، وممن قتل بسيفه عدداً من الكفار)(٢).

أما الحسين رضي الله عنه وفضله ومكانته، فلا تخفىٰ علىٰ مؤمن، وكذلك مصيبته التي هي مصيبة عظيمة في الإسلام، يتألم له كل مؤمن ومؤمنة.

قال ابن تيمية: (وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة، فإن قتل الحسين، وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة، وقَتَلَتهما من شرار الخلق عند الله)(٣). وقال: (أكرم الله الحسين رضي الله عنه ومن أكرمه من أهل بيته بالشهادة رضي الله عنهم وأرضاهم، وأهان بالبغي والظلم والعدوان من أهانه، بما انتهكه من حرمتهم واستحله من دمائهم، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] وكان ذلك من نعمة الله علىٰ الحسين وكرامته له، لينال منازل الشهداء، حيث لم يجعل له في أول الإسلام من الابتلاء والامتحان ما جعل لسائر أهل بيته؛ كجده ﷺ، وأبيه وعمه وعم أبيه رضي الله عنهم، فإن بني هاشم أفضل قريش، وقريشاً أفضل العرب،

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٣٩٦).
(٢) «منهاج السنة» (٨/ ٧٦).
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٤١١).

والعرب أفضل بني آدم، كما صح ذلك عن النبي ﷺ، مثل قوله في الحديث الصحيح: «**إن الله اصطفىٰ من ولد إبراهيم بني إسماعيل، واصطفىٰ كنانة من بني إسماعيل، واصطفىٰ قريشاً من بني كنانة، واصطفىٰ بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم**».

وفي «صحيح مسلم» عنه أنه قال يوم غدير خم: «**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**». وفي «السنن» أنه شكا إليه العباس أن بعض قريش يحقرونهم، فقال: «**والذي نفسي بيده، لا يدخلون الجنة حتىٰ يحبوكم لله ولقرابتي**».

وإذا كانوا أفضل الخلق، فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال، وكان أفضلهم ـ رسول الله ﷺ ـ الذي لا عدل له من البشر، ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب، بل ومن بني إسرائيل وغيرهم، ثم علي وحمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث هم من السابقين الأولين من المهاجرين، فهم أفضل من الطبقة الثانية من سائر القبائل.

ولهذا لما كان يوم بدر، أمرهم النبي ﷺ بالمبارزة لما برز عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فقال النبي ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قم يا علي**»، فبرز إلىٰ الثلاثة ثلاثة من بني هاشم.

وقد ثبت في «الصحيح» أن فيهم نزل قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ [فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾]﴾ الآية [الحج] وإن كان في الآية عموم.

ولما كان الحسن والحسين رضي الله عنهما سيدا شباب أهل الجنة، وكانا قد ولدا بعد الهجرة في عز الإسلام ولم ينلهما من الأذىٰ والبلاء ما نال سلفهما الطيب، فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الابتلاء ليرفع درجاتهما، وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة وعلياً وجعفراً وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة.

وفي «المسند» وغيره عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت،**

فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها».

فهذا الحديث رواه الحسين وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه، وقد علم الله إن مصيبته تذكر علىٰ طول الزمان، فالمشروع إذا ذكرت المصيبة وأمثالها أن يقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها)[1].

وقال ابن تيمية:

(أكرم الله فيه سبط نبيه أحد سيدي شباب أهل الجنة وطائفة من أهل بيته بأيدي الفجرة الذين أهانهم الله، وكانت هذه مصيبة عند المسلمين يجب أن تتلقىٰ به أمثالها من المصائب من الاسترجاع المشروع)[2].

وقال: (قد علم أن المصيبة بالحسين رضي الله عنه تذكر مع تقادم العهد، فكان في محاسن الإسلام أن بلغ هو هذه السنة عن النبي ﷺ، وهو أنه كلما ذكرت هذه المصيبة يسترجع لها، فيكون للإنسان من الأجر مثل الأجر يوم أصيب بها المسلمون)[3].

وهنا قصة عجيبة يتحدث فيها شيخ الإسلام عن المخاطبات التي دارت بينه وبين زعيم ومقدم المغول (**بولاي**) لما قدم وجنوده دمشق في الفتنة الكبرىٰ، وأن هذا الزعيم المغولي سأله في إحدىٰ المخاطبات عن قتل الحسين رضي الله عنه، فأجابه شيخ الإسلام وقال:

(أما من قَتَلَ الحسين رضي الله عنه، أو أعان علىٰ قتله، أو رضي بذلك؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

فقال له (**بولاي**): أنتم لا تحبون أهل البيت؟!

فرد عليه شيخ الإسلام وقال: قلتُ: محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم قال: خطبنا

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٤٧١ ـ ٤٧٤).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم»، ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي (٢٩٩).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥١٢).

رسول الله ﷺ بغدير يدعىٰ خماً بين مكة والمدينة فقال: «**أيها الناس! إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله**، فذكر كتاب الله وحض عليه، ثم قال: **وعترتي أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**».

قلت لمقدم: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: «**اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

قال مقدم: فمن يُبغض أهل البيت؟

قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

ثم قلت للوزير المغولي: لأي شيء قال عن يزيد وهذا تتريٌّ؟!

قال: قد قالوا له ـ أي بعض الشيعة ـ إن أهل دمشق نواصب[1]!

قلت بصوتٍ عالٍ: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا فعليه لعنة الله، والله ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبياً، ولو تنقص أحد علياً بدمشق لقام المسلمون عليه، لكن كان قديماً لما كان بنو أمية ولاة البلاد؛ بعضُ بنو أمية ينصب العداوة لعلي ويسبه، وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً موقفه من بعض أئمة وعلماء أهل البيت:

---

(١) مما يؤسف له أن يروج البعض داخل المجتمع الإسلامي وخارجه عند غير المسلمين دعوىٰ أن أهل السنة يكرهون أهل البيت ﷺ فيصور هذا الفريق أن أكثريَّة المسلمين تجافي أهل البيت، وتنتقص من حقوقهم، حينما تؤمن بفضل الصحابة وعلىٰ رأسهم الصديق والفاروق، وترىٰ لزاماً أن من مقتضيات حب أهل البيت كره طرفٍ آخر من أهل البيت، وكره معظم الصحابة!
كما أنه مما يؤسف له ما يراه المسلم في هذا العصر من المسيرات الدمويَّة التي تطالب بثارات الحسين(!!) وقتل قاتليه(!!) ولعن الصحابة وأمهات المؤمنين، والنداءات الصاخبة لصحاب الزمان المهدي المنتظر المطالبة بالثأر من أبي بكر وعمر، وصلبهما وحرقهما بعد نبش قبريهما!!

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(علي بن الحسين، وابنه أبي جعفر، وابنه جعفر بن محمد، قد نُقل عنهم من العلم قطعة معروفة.. وإما أن يقال: إنهم أفضل الأمة في العلم والدين. فعلىٰ التقديرين فإمامتهم علىٰ هذا الاعتبار لا ينازع فيها أهل السنة، فإنهم متفقون علىٰ أنه يؤتم بكل أحد فيما يأمر به من طاعة الله، ويدعو إليه من دين الله، ويفعله مما يحبه الله، فما فعله هؤلاء من الخير ودعوا إليه من الخير فإنهم أئمة فيه يقتدىٰ بهم.. فأهل السنة مقرون بإمامة هؤلاء فيما دلت الشريعة علىٰ الائتمام بهم فيه، وعلىٰ الإمامة فيما يمكن الائتمام بهم فيه.. وإلا فلا يقول أهل السنة: إن يحيىٰ بن سعيد، وهشام بن عروة، وأبا الزناد أولىٰ بالاتباع من جعفر بن محمد، ولا يقولون: إن الزهري، ويحيىٰ بن أبي كثير، وحماد بن أبي سليمان، ومنصور بن المعتمر أولىٰ بالاتباع من أبيه أبي جعفر الباقر. ولا يقولون: إن القاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبد الله أولىٰ بالاتباع من علي بن الحسين. بل كل واحد من هؤلاء ثقة فيما ينقله، مصدق في ذلك، وما بينه من جلالة الكتاب والسنة علىٰ أمر من الأمور فهو من العلم الذي يستفاد منه فهو مصدق في الرواية والإسناد مقبول في الدلالة والإرشاد)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (جعفر بن محمد من أئمة الدين باتفاق أهل السنة)[٢].

وما أجمل ما قاله أبو الثناء محمود الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما قال: (الكثير من الناس في حقِّ كلٍّ من الآل والأصحاب في طرفيّ التفريط والإفراط، وما بينهما هو الصراط المستقيم، ثبَّتنا الله تعالىٰ علىٰ ذلك الصِّراط)[٣].

وختاماً أقول: هذه نُبذ يسيرة من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في أهل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تبيّن بجلاء ووضوح محبته وموالاته وتعظيمه لأهل البيت، فمن الظلم أن يتجاهل المرء تلك النصوص الظاهرة الدلالة، إلىٰ متشابهات

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ١٠٨ _ ١١٠). (٢) «منهاج السنة» (٢/ ٢٤٥).

(٣) «تفسير روح المعاني»، الألوسي (٢٥/ ٣٢).

وتخرصات وتقليد موروث كي يُثبت دعواه الباطلة والخطيرة ضد ابن تيمية!

والمسلم المنصف يتحرىٰ العدل والموضوعية في قوله وعمله، وحكمه علىٰ الناس، ويبقىٰ الإنسان العاقل هو الذي يعدل مع خصومه ومخالفيه، حتىٰ وإن كرههم، فالحق أحق أن يتبع، ولا يجوز تحريف كلام الإنسان وإلزامه بلوازم غير لازمة، وتقويله ما لم يقله، فضلاً عن الافتراء عليه جملة وتفصيلاً[1].

---

(١) **أقول**: للزيادة في معرفة رأي ابن تيمية في آل البيت، راجع: «رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم»، ابن تيمية، عناية أبي تراب الظاهري.




المبحث الحادي عشر

موقفه من الصوفية

مما يؤسف له أنه قد أُشيع بين بعض الباحثين عن وجود عداء بين ابن تيمية ومشايخ الزهد والتنسك، وعند التدقيق في هذه الشائعة نجد أنه لا أساس سليم لها ألبتة، بل هي مبنية علىٰ موقف خصامي أو فهم مغلوط. وقد روج هذه الفكرة في العصر الحديث **(جولد تسهير)** و**(ماسينيون)** وغيرهما من المستشرقين، وجعلوا ابن تيمية عدو شيوخ الورع والزهد، لأن له موقفاً حازماً من غلاة الصوفية، ومن شخصيات ذات شطحات كبيرة في العقيدة انتسبت لأهل الزهد!

وهذه أفكار خاطئة بحق ابن تيمية، وسبب ذلك أن الباحث المدقق في تراثه يجده يثني علىٰ شيوخ الزهد والسلوك الملتزمين في أقوالهم بالكتاب والسنة، ويجعل من كلامهم حجة يستند إليها في نقد الصوفية المتأخرة، أما غلاة الصوفية فهم خارجون عن الزهد الصحيح، ومفارقون للنسك القويم[١].

وابن تيمية يثني علىٰ خيار أئمة الزهد أمثال: الجنيد، وسهل التستري، والفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وغيرهم كثير. بل ويستخدم بعض عباراتهم التي يستخدمونها في السلوك والأخلاق والجوانب الروحية، ولذا تجده في مقدمة رسالته القيمة «**التحفة العراقية**» يقول: (كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمىٰ المقامات والأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله والتوكل عليه... إلخ)[٢].

---

(١) يراجع للفائدة كتاب: «التصوف بين الغزالي وابن تيمية»، عبد الفتاح محمد سيد أحمد، دار الوفاء، مصر.

(٢) «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، ابن تيمية، تحقيق حماد سلامة (ص١٨)، مكتبة المنار.

وقد شَرَعَ ابن تيمية في شرح هذه المقامات والأحوال وتحدث عنها بالتفصيل في هذه الرسالة وغيرها، كما أعلىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قيمة ومكانة الزهد والجوانب الروحية الإيمانية، وأثنىٰ علىٰ أوائل الزهاد الذين كانوا يتمسكون بالكتاب والسنة، لأن المعيار في قبول الأعمال كلها هو موافقتها للسنة ومتابعة الصحابة رضوان الله عليهم.

يقول ابن تيمية: (ولا تجد إماماً في العلم والدين: كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل، وأبي سليمان، ومعروف الكرخي، وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة)[1].

وعليه فلا يصح القول بأن ابن تيمية كان خصماً للزهد والورع المشروع، ذلك لأن هناك أنواعاً من السلوك والورع يجب أن نميز بينها، ونعرف ما هو المقبول المشروع، وما هو المرفوض وغير المشروع، وهذه المسائل لا تؤخذ بالهوىٰ بل تؤخذ عن سيد الزاهدين وإمام المتقين محمد ﷺ.

ولذلك فابن تيمية يقسم التصوف إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولاً: الزهد السني

وهو عند ابن تيمية الزهد المشروع أو الزهد الإسلامي، وكان يمثل هذا النوع علماء وأئمة أهل السنة، فهم أئمة الزهد والورع والتقشف الحقيقي والسلوك الناصع، وعلىٰ رأس هؤلاء النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم من السلف الصالح.

كما كان يمثله إلىٰ حدٍّ كبير أوائل الصوفية أمثال: الجنيد، وأبي سليمان الداراني، وعبد الله التستري، والحارث المحاسبي، فمن بعدهم كالهروي الأنصاري، وعبد القادر الجيلاني.. وغيرهم كثير. وهؤلاء هم من أئمة الزهد

---

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص١٢٨).

الذين يتمسكون بالأثر والحديث، ولم يدخلوا في دين الله ما ليس منه، هذا في غالب أحوالهم.

يقول ابن تيمية: (والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمٰن السلمي في «طبقات الصوفية» وأبو القاسم القشيري في «الرسالة» كانوا علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب أهل الحديث: كالفضيل بن عياض، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وغيرهم وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب)[1].

ثانياً: التصوف البدعي

وهذا النوع من التصوف انتحله جملة من المشبوهين الذين تشربوا تعاليم الباطنية والحلوليَّة، فلبسوا لباس الصوفية، خداعاً لعامة الناس، كابن عربي، وابن سبعين، والحلاج، والسهروردي المقتول، وابن الفارض، وغيرهم. وهؤلاء هم الذين دسّوا في الزهد إلحادهم ومقالاتهم الشنيعة، وهم حقيقة ليسوا من الزهاد ولا من أهل الورع، كما أنهم ليسوا من أهل التصوف الأوائل ـ إن جازت التسمية ـ بل لقد حاربهم أئمة الصوفية.

ولم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية معادياً لهؤلاء من باب التعصب المذهبي الأعمىٰ، أو لغرض شخصيّ؛ بل كان يحسن الظن ببعضهم حتىٰ تبيَّن له خلاف ذلك.

يقول رَحِمَهُ اللهُ: (وإنما كنت قديماً ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه؛ لما رأيت في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من «الفتوحات»، و«الكنة»، و«المحكم المربوط»، و«الدرة الفاخرة»، و«مطالع النجوم»، ونحو ذلك. ولم نكن بعد اطلعنا علىٰ حقيقة مقصوده، ولم نطالع «الفصوص» ونحوه، وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة

---

(١) كتاب «الصفدية»، ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم (١/ ٢٦٧).

الطريق، فلما تبيَّن الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا، فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون، وسألوا عن حقيقة الطريقة الإسلامية، والدين الإسلامي، وحقيقة حال هؤلاء؛ وجب البيان)[1].

ولما تبيَّن له حال وحقيقة ابن عربي قال: (إن ابن عربي وأمثاله ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكون من مشايخ أهل الكتاب والسنة)[2].

وقال: (لكن دخل في طريقهم ـ أي: الزهاد ـ أقوام ببدع وفسوق وإلحاد، وهؤلاء مذمومون عند الله وعند رسوله وعند أولياء الله المتقين)[3].

ومن يتأمل أقوال هذه الطبقة من مراجعها الأصليَّة يعلم أنهم كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية. وإليك نماذج قليلة مما سطره هؤلاء في كتبهم المعتبرة:

يقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً لكل صورة ... فمرعىٰ لغزلان ودير لرهبانِ

وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ ... وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّىٰ توجّهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[4]

ويقول أيضاً:

الرب حق والعبد حق ... اليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنىٰ يكلف[5]

ويقول ابن عربي شارحاً عقيدته في وحدة الوجود: (فهو سبحانه يطيع نفسه إذا شاء بخلقه، وينصف نفسه مما تعين عليه من واجب حقّه، فليس إلَّا أشباح خالية، علىٰ عروش خاوية، وفي ترجيع الصدىٰ، سر ما أشرنا إليه لمن اهتدىٰ)[6].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).
(٢) «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، ابن تيمية (ص١١٣).
(٣) «الرد علىٰ المنطقيين»، ابن تيمية (ص٥١٦).
(٤) «الفتوحات المكية» (٢/ ٢١).
(٥) «الفتوحات المكية» (١/ ٣٥).
(٦) «الفتوحات المكية» (١/ ٣٥).

وقال ابن عربي عن الله ـ تعالىٰ الله عما يقوله ـ وعلاقته به:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده
ففي حال أقرُّ به وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكره وأعرفه فأشهده[(١)]

وقال أيضاً:

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيـ ك فأنت الضيق الواسع[(٢)]

وقال مبيناً صواب عبادة قوم موسىٰ عليه السلام العجل:

(فكان موسىٰ أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه بأن الله قد قضىٰ ألا يُعبَد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عتب موسىٰ أخاه هارون لِمَا وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرىٰ الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء، فكان موسىٰ يربي هارون تربية علم، وإن كان أصغر منه في السن)[(٣)].

ويقول مبيناً أن أتم شهود لله ـ تعالىٰ الله عما يقول ـ في صورة المرأة:

(فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب النبي ﷺ النساء لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله بالذات غني عن العالمين، وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله)[(٤)].

ونصوص ابن العربي التي تحتوي علىٰ عقيدة وحدة الوجود، وغيرها مما

---

(١) «فصوص الحكم»، ابن عربي (ص٨٣).
(٢) «فصوص الحكم»، ابن عربي (ص٨٨).
(٣) «فصوص الحكم»، ابن عربي (ص١٩٢).
(٤) «فصوص الحكم»، ابن عربي (ص٢١٧).

يصدم أصل العقيدة الإسلامية أكثر من أن يحصىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بالله[١].

وقد نصَّ **ابن طولون** أن غالب الفقهاء وجميع المحدثين يعتقدون في ابن عربي أنه مبتدع اتحادي ملحد، وذكر عن غير عالم أن من كفر ابن عربي من العلماء نحو خمسمائة[٢].

كما ألف العلامة **البقاعي الشافعي** كتاباً في تكفير ابن عربي الصوفي، سماه «**تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي**» وقد نقل نصوصاً كثيرة عن علماء الشافعية وغيرهم في تكفيره، وقبله **التقي الفاسي** عالم مكة، وكذا خاتمة الحفاظ **السخاوي الشافعي**، علماً أن ممن كفره ـ أيضاً ـ كبار الزهاد والصوفية **كإبراهيم الجعبري** وغيره.

هذا حال **ابن عربي** أحد أعلام هذه الطبقة، أما **الحلاج** وهو رمز شهير من رموز هذه المدرسة، وهو رائد مدرسة الحلول والاتحاد، بأشعاره التي ضمنها تدعيماً لهذه العقيدة ونقضاً لعقيدة المسلمين.

يقول الحلاج مبيناً عقيدته في القضاء والقدر:

ما حيلة العبد والأقدار جارية ... عليه في كل حال أيّها الرائي؟
ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إيَّاك إيَّاك أن تبتل بالماء[٣]

ويقول مفصحاً عن عقيدته في الحلول:

سبحان من أظهر ناسوته ... سرَّ سنا لاهوته الثاقب
ثمَّ بدا في خلقه ظاهراً ... في صورة الآكل والشارب
حتىٰ لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[٤]

---

(١) **أقول**: مع قسوة ابن حجر الهيتمي ـ عفا الله عنه ـ علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية وشتائمه وسبابه له، انظر ماذا يقول عن ابن عربي بعدما صرح بأن فرعون مؤمن بالله! يقول: (فنحن وإن كنا نعتقد بجلالة ابن عربي؛ فقوله بإيمان فرعون مردود)!! «الزواجر» (١/ ٣٣).

(٢) انظر: «القلائد الجوهرية في تأريخ الصالحية» (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

(٣) «ديوان الحلاج»، عناية كامل الشيبي (ص٢٣).

(٤) «ديوان الحلاج» (ص٢٦).

ويقول معترفاً بعقيدته:

كفرت بدين الله والكفر واجب   عليّ وعند المسلمين قبيح[1]

ويقول شارحاً عقيدة الحلول والاتحاد:

أنـــا أنـــت بـــلا شـــك   فـسـبـحـانـك سـبـحـانـي

وتـوحـيـدك تـوحـيـدي   وعـصـيـانـك عـصـيـانـي

وإسـخـاطـك إسـخـاطـي   وغـفـرانـك غـفـرانـي

وَلِـمَ أُجـلـدُ يـا رب   إذا قـيـل: هـو الـزَّانـي؟[2]

والأمثلة كثيرة، والشواهد عديدة، وكلها تدين هذه المدرسة وانحرافها العقديّ، وعلىٰ هذا جمهور المسلمين، ولم يكن موقف ابن تيمية من هذه المدرسة نشازاً، بل كان مطرداً مع كل موقف علماء السلف الصالح، ومع ما يقتضيه حال تلك المدرسة التي خرجت بأفكاره وعقائدها عن العقيدة الصحيحة إلىٰ العقائد الفاسدة.

مع التنبيه أن ابن تيمية كان منصفاً لكثيرٍ منهم، كمثل موقفه من ابن عربي حيث كان يُحسن فيه الظن، ويقدم فيه سلامة المعتقد، حتىٰ ثبت له خلاف ذلك من خلال نصوصه الصريحة والواضحة، والتي تتضمن أبشع أنواع الضلالات في حق الله وفي حق أنبياء الله.

ثالثاً: التصوف الشكلي الدعائي أو تصوف أهل الأرزاق

وهؤلاء انتسبوا إلىٰ التصوف تلبيساً، واتخذوا التصوف وظيفة رسمية، وتوارثوا فيما بينهم بدعاً وشعارات زائفة وتقاليد منكرة، يبرأ منها أعلام الزهد الحق. فهؤلاء جعلوا من الزهد حرفة للكسب، فجعلوا اللبس الخشن والصوف دليلاً علىٰ تقواهم وزهدهم، وجعلوا الإسلام مجرد حفلات موسيقية وكرنفالات دينية صاخبة، وكانوا في حقيقة حالهم أبعد الناس عن الزهد والورع والتقشف والتقوىٰ، وصاروا أضحوكة الخلق من جميع الأمم، وجعلوا

---

(١) «ديوان الحلاج» (ص٣٣).

(٢) «ديوان الحلاج» (ص٦٥ ـ ٦٦).

الكسل والخمول والبطالة هي حقيقة التوكل والزهد والورع، فشوهوا صورة الإسلام!

ولذلك جاءت أقوال أئمة أهل السنة والزهد والورع بالنقد والبراءة من هذه المدرسة، فقد قال الإمام **حماد بن سلمة** لفرقد السبخي لما رآه مرتدياً الصوف: (ضع عنك نصرانيتك هذه). وقال له الإمام **الحسن البصري** أيضاً: (أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية).

وقال ابن السماك مخاطباً فريقاً من الصوفية الذين يلبسون الصوف: (والله لئن كان لباسكم وفقاً لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليها، ولئن كان مخالفاً لها هلكتم).

وقد ألّف الحارث المحاسبي وهو من أئمة الزهد السني كتابه «الرعاية لحقوق الله» لنقد التصوف في عصره وما داخله من البدع والمخالفات الشرعية التي لم تكن فيه.

وقد كانت لهذه المدرسة الصوفية آثاراً سلبيَّة، حيث جعلت الإسلام خمولاً، وجعلت العقيدة لهوىً ولعباً، وجعلت الشريعة حفلات ورقص، فشوهت جوهر الإسلام، وعكست صورة قاتمة للدين الإسلامي، وانعكست تلك الصورة في كتابات الرحالة[١] غير المسلمين الذين دونوا تلك المظاهر معتقدين أنها هي الإسلام كما جاء به محمد ﷺ!

يقول المفكر الألماني المسلم (**مراد هوفمان**) مبيناً الصورة السلبيَّة لهؤلاء:

(يزعم الغربيون في شبه إجماع أن الإسلام خنوع واستسلام. قد يحتفظ الغربي في ذاكرته بصورة المسلم الجالس أمام بيته المتواضع القرفصاء، ساكناً

---

(١) **أقول**: من يطالع كتب الرحالة من الأوروبيين والمستشرقين يجد صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين تركته النمطية الصوفية عن العالم الإسلامي بحكم مظاهرها العلنية واحتفالاتها الصاخبة، التي حولت الإسلام إلىٰ مجرد مظاهر وشكليات ساذجة ومضحكة ومبكية في نفس الوقت!

شاخصاً البصر إلىٰ السماء، كسولاً، مستسلماً للمكتوب، أو ما قسمه له القضاء)[1].

ويقول المستشرق (**باول شمتز**) ظاناً أن ما يفعله الصوفيَّة هو حقيقة عقيدة القدر في الإسلام: (في العصور الأخيرة كانت ـ عقيدة التوكل والقدر ـ سبباً في الجمود الذي خيم علىٰ العالم الإسلامي، فقذف به إلىٰ الانحدار وعزله وطواه عن تيارات الأحداث العالمية)[2].

وتقول المستشرقة الإيطالية (**لورا فيشيا فاغليري**):

(كانت سُكونية الصوفي خطراً علىٰ الحياة الاجتماعية، لأنه ولَّد في مظاهره القصوىٰ روحاً من الاتكال السلبي علىٰ الله، وعلىٰ عنايته الإلـٰهية، وهكذا شجعت الشخص التقيّ علىٰ القعود عن كسب رزقه اليومي بنفسه، ومن هنا كانت الصوفية مسؤولة بعض الشيء من غير شك عن انحطاط الأمم الإسلامية الحالي)[3].

ويقول الأستاذ **محمد فريد وجدي** مبيّناً الأثر السلبي لهذا النوع من التصوف:

(كيف نرجو أن يفهم الأوربيون روح ديننا نفسها ـ وهو الدين الوحيد الذي يكفل السعادة الكاملة ـ ما داموا لا يعرفون غير بعض مظاهر الإسلام الخارجية التي يشاهدونها كل يوم مثل الحشود الضاجّة في الشوارع السائرة خلف الرايات والطبول، والاحتفالات المستهجنة المنافية لكل منطق أخلاقي، والتي تقام في جميع مدن مصر يوم مولد الرسول ﷺ، وعقد حلقات الذِّكر الضخمة أمام جمهور يتألف من آلاف الناس، وإرسال الابتهالات الصوفية في صوت جهوري)[4].

---

(١) «الإسلام كبديل»، مراد هوفمان، (ص٩٥)، مكتبة العبيكان.
(٢) «الإسلام قوة الغد العالمية»، باول شمتز، ترجمة أبو شامة (ص٨٥)، مكتبة وهبة.
(٣) «دفاع عن الإسلام»، لورا فيشيا فاغليري، ترجمة منير البعلبكي (ص١٢٠ ـ ١٢١)، دار العلم للملايين.
(٤) «دفاع عن الإسلام» (١٢٢).

ولم تكن مظاهر هذه المدرسة بأحسن حال من الممارسات الأخلاقية لكثير من روادها وشيوخها، بل كان يشتهر عن كثير من شيوخ هذه المدرسة ومريديهم أمور مخلة بالأخلاق، وتدل علىٰ التبذل السلوكي، وبذلك فتحوا الباب الواسع للفسق والمجون باسم الصوفية والشيوخ!

فهذا **عبد الوهاب الشعراني** الصوفي المعروف الذي ألف كتابه الشهير «طبقات الصوفية» وسرد فيها مجموعة تراجم لأعلام الصوفية، هو في الحقيقة بمثابة سجل يدين السلوك الإجرامي لأعلام هذه المدرسة. ونسوق لك أخي القارئ الكريم شيئاً يسيراً منها، لتقف علىٰ حقيقة حالهم.

يقول الشعراني متحدثاً عن تراجم بعض طبقات الصوفية:

(ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله عنه.. أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة؛ فقال: بسم الله، فطلع المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ومجده، ثم قال: وأشهد أن لا إلـٰه لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام. فقال الناس: كفر. فسّلَ السيف ونزل، فهرب الناس كلهم من الجامع)[1].

ويقول - أيضاً - وهو يعرض كرامات (!) الصوفي محمد الشويمي:

(ومرض سيدي مدين رضي الله عنه مرة، أشرف فيها علىٰ الموت، فوهبه - الشويمي - عشر سنين، ثم مات في غيبة الشويمي رضي الله عنه فجاء وهو علىٰ المغتسل، فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضرك ما خليتك تموت - ثم ذكر الشعراني أنه كان - يحسس بيده علىٰ النساء، فكن يشتكين لسيدي مدين رضي الله عنه، فيقول: حصل لكم الخير فلا تشوشوا)[2].

وذكر الشعراني - أيضاً - كرامة (!) للشيخ الصوفي أبو خودة؛ فقال:

(وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ امرأة أو أمرد، راوده عن نفسه وحسَّسَ علىٰ مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير)[3].

---

(١) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٠٧).
(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٠٣).
(٣) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٣٥).

وذكر الشعراني ـ أيضاً ـ كرامة (!) لشيخ صوفي آخر اسمه إبراهيم بن عصيفير؛ فقال:

(ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله عنه آمين.. وكان بوله كاللبن الحليب.. وكان يتشوش من قول المؤذن ـ الله أكبر ـ فيرجمه ويقول: عليك يا كلب، نحن كفرنا يا مسلمين حتىٰ تكبروا علينا.. وكان يقول: أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من يأكل اللحم الضأني أيام الصوم)[1].

وذكر الشعراني ـ أيضاً ـ كرامة (!) للشيخ الصوفي إبراهيم العريان؛ فقال:

(ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ـ رضي الله عنه ورحمه ـ وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً.. فيحصل للناس بسط عظيم، وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول: هذه ضرطة فلان، ويحلف علىٰ ذلك فيخجل ذلك الكبير منه)[2].

وذكر الشعراني ـ أيضاً ـ كرامة للشيخ المجذوب؛ فقال:

(ومنهم سيدي الشريف المجذوب ـ رضي الله عنه ورحمه ـ كان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي)[3].

وغيرها كثير من الأمثلة التي نستحي من عرضها أمام القارئ الكريم، لما في سيرتهم من المجون والفسق والخلاعة التي تفوق الوصف.

وأمام هذا الفسوق السلوكي، والانحراف العقدي، وقف كثير من شيوخ هذه المدرسة موقف المؤيد لهذه السلوكيات والشطحات، بل أرهبوا تلاميذهم ومريديهم من الاعتراض والانتقاد، وأوعدوهم وهددوهم بالعقاب المخيف إذا هم أنكروا أو استنكروا شيئاً من تلك الانحرافات، ورسخوا مفاهيم مغلوطة مثل: (لا تعترض فتنطرد) فمسخوا العقول وأفسدوا النفوس والفطر.

فهذا الشيخ النبهاني الصوفي يحكي عن الشيخ المناوي الصوفي الذي

---

(١) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٤٠).

(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٤٢).

(٣) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٤٢).

يحكي عن شيخه الرملي: أنه رؤي يوم القيامة وفيه قوم تغلي بهم القدور ويتسلخ لحمهم. فقال: من هؤلاء؟ فقيل له: هم الذين ينكرون علىٰ ابن عربي وابن الفارض[1].

وينقل الشعراني الصوفي، فيقول: (قال سراج الدين المخزومي: إياكم والإنكار علىٰ شيء من كلام الشيخ محيي الدين - ابن عربي -، فإن لحوم الأولياء مسمومة، وهلاك أديان مبغضيهم معلومة، ومن أبغضهم تنصر ومات علىٰ ذلك. وقال أبو عبد الله القرشي: من غض من ولي الله ضرب في قلبه بسهم مسموم)[2].

بل رتبوا حُسن الجزاء، والعاقبة الطيبة، والجنة الواسعة لمن ينشر تراث هذه المدرسة، أو ما يؤديها من الكتب والرسائل والمقالات. يقول السيد عبد الله العيدروس: (من حصل كتاب «إحياء علوم الدين» وجعله في أربعين مجلداً ضمنت له علىٰ الله الجنة)[3].

ولا يخفىٰ علىٰ المسلم مدىٰ مخالفة تلك المدرسة لروح الإسلام، وسلوكيات الإسلام، وأخلاقيات الإسلام، ولذلك وقف ابن تيمية من هذه المدرسة موقف المعترض الناقد، ورفض سلوكياتهم المخالفة لآداب الإسلام وأخلاقياته، ووضع شيخ الإسلام ابن تيمية ضوابط للزهد الصحيح، تتمثل فيما يلي:

أولاً: العدالة الشرعية، بحيث يؤدي الإنسان الفرائض ويجتنب المحارم.

ثانياً: التزام الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية فلا يلتفت إليها، وهذا يعني أنه يجب علىٰ الزاهد أن يكون متحلياً بمكارم الأخلاق، متخلقاً بأخلاق رسول الله ﷺ، ملتزماً بسنته متقيداً بهداه.

ثالثاً: الزهد في الدنيا حقيقة؛ وذلك بأن لا يتمسك بفضولها، أما من

---

(١) انظر: «جامع كرامات الأولياء» (٢/ ٢١٨).

(٢) «اليواقيت والجواهر»، الشعراني (ص٢٥).

(٣) «المشرع الروي في مناقب آل باعلوي» (٢/ ٣٣٦).

كان جامعاً للمال، متساهلاً في المباحات والمحرمات، جاعلاً التصوف مجرد لباسٍ خارجي، وحفلات موسيقية، فهذا من أبعد الناس عن الزهد والتصوف الحقيقي.

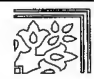
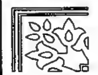
قال ابن تيمية: (من بنىٰ الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية علىٰ الإيمان والسنة والهدي الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة، وهذه طريق أئمة الهدىٰ)[1].

فابن تيمية رحمه الله لم يكن عدواً ولا مبغضاً لأئمة الزهد وأهل الورع ورواد السلوك الحقيقي، بل كان يحبهم ويتولاهم، ويثني عليهم في سائر كتبه[2]، ويعتقد أن إمام الزهد وسيد الخلق هو محمد ﷺ، ولذلك ينبغي لكل من يريد أن يسلك طريقه في الزهد أن يستن بسنته، فسنته هي كمال الزهد والتقوىٰ والورع. أما المدارس المنحرفة عقائدياً وسلوكياً فليست من أهل الزهد والورع، بل هي في حقيقتها منافية للورع، ومجافية للزهد، قولاً وعملاً.

قال ابن تيمية: (فمحمد ﷺ أرسل إلىٰ كل أحد، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلىٰ الله وإلىٰ رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته، باطناً وظاهراً، في الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان والجوارح)[3].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٦٣).
(٢) **أقول**: بل كان نفسه من الزهاد الكبار والعبّاد كما صرح بذلك أكثر من ترجم له.
(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٣٠).

المبحث الثاني عشر

أقوال بعض العلماء المتأخرين والمفكرين المعاصرين

كانت فكرة كتاب «**الرد الوافر**» للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، وكتاب «**الشهادة الزكيَّة في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية**» فكرة رائعة ورائدة، فهي بحق ديوان عظيم، وسجل وثائقي خطير، حيث حَفِظَ لنا شهادة وأقوال في غاية الأهمية، كان يمكن أن تضيع أو تندثر لولا عناية الله، ثم جهود هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين حفِظ الله بهم تلك الشهادات.

وهذه مختارات يسيرة من أقوال بعض كبار العلماء والمفكرين المتأخرين والمعاصرين من مختلف الأقطار، استلهاماً من نفس فكرة الكتابين السابقين، ولعل هذا المبحث اليسير يكون في المستقبل القريب كتاباً مستقلاً، يُجمع فيه بشكل استقصائي الأقوال والشهادات المتأخرة والمعاصرة في شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولعل هذا مصداقاً لقول الإمام العلامة ابن طرخان الملكاوي الشافعي رحمه الله في ابن تيمية، حيث قال: (كل صاحب بدعة ومن ينتصر له، ولو ظهروا لا بد من خمودهم وتلاشي أمرهم، وهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية، كلما تقدمت أيامه تظهر كرامته، ويكثر محبوه وأصحابه)[1].

وهذه جملة من أقوال العلماء والمفكرين المتأخرين والمعاصرين:

---

(١) «الرد الوافر» (ص١٤١).

أولاً: ثناء بعض الشيعة علىٰ ابن تيمية:

١ ـ يقول العالم والمفكر **الشيعي** المعروف **(مصطفىٰ الطباطبائي الهاشمي العلوي)** تحت عنوان: «ابن تيمية النقّاد الكبير للمنطق»:

(في القرن السابع الهجري نلتقي بمفكر كبير، وقد هيأت له آثاره وأفكاره ودعوته في العالم الإسلامي كثيراً من الموافقين والمخالفين، هذا الرجل هو ابن تيمية، آية في العلوم الإسلامية المختلفة من تاريخ وأدب ورجال وفقه وحديث وملل ونحل وكلام وحكمة وتفسير وغيرهما، إن الشيء الذي يثير العجب والحيرة في آثار ابن تيمية هو الإحاطة الغريبة من هذا الرجل بالآراء المختلفة للعلماء في كل فن وعلم خاصة لما يدخل في المنطق أو الفلسفة اليونانية.. إن معظم علماء أهل السنة كابن دقيق العيد، والذهبي، وابن مفلح، وابن كثير، وابن قدامة، واليافعي، والزملكاني، وابن سيد الناس، وابن الوردي، وعماد الدين الواسطي، والشوكاني، والدهلوي، والآلوسي، والشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، والآخرون قد أجلّوه كثيراً وأثنوا عليه)[١].

ثم يشرع في بسط الكلام عن عبقرية ابن تيمية العجيبة في نقد منطق اليونان، القائمة علىٰ عقلية فذة وذكاء منقطع النظير، ثم يبيِّن أن كثيراً من عظماء الغرب الذين نقدوا المنطق وأسسوا المنهج التجريبي، قد سبقهم ابن تيمية إلىٰ ذلك بعبارة أوضح وأدق، فابن تيمية ـ كما ذكر ـ سبق في هذا المجال فرنسيس بيكون، وجون لوك، وجورج بركلي، وجون ستيوارت مل.. وغيرهم!

ويقول **مصطفىٰ طباطبائي**:

(إن القراء الكرام إذا رجعوا إلىٰ فصل نقد ابن تيمية لمنطق أرسطو في هذا الكتاب سيلاحظون في نقد ابن تيمية عن المنطق جميع آراء ستيورات مل

---

(١) «المفكرون المسلمون في مواجهة المنطق اليوناني»، مصطفىٰ طباطبائي، ترجمة عبد الرحيم البلوشي (ص٨٩)، الطبعة الأولىٰ، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٠هـ.

التي ذكرناها قبله بخمسة قرون. . . لا بد من الاعتراف أن فوائد ابن تيمية في ميدان المنطق لا تحد ولا تقتصر علىٰ ما أتينا به هنا، ولا سيما كتابه الكبير بمنزلة البحر، حيث علىٰ الغواصين الأذكياء المتطلعين أن يجدوا فيه جواهر قيمة)[1].

وقد تحدث الأستاذ مصطفىٰ طباطبائي بكلام علمي متميز عن جهود ابن تيمية العقلانية في تشييد المنطق الإسلامي ونقد المنطق اليوناني، وعقد مجموعة مقارنات بين نقده الرصين ونقد فلاسفة أوروبا المحدثين، وبين بما لا يدع مجالاً للشك أن ابن تيمية قد سبق هؤلاء بقرون عديدة.

٢ ـ ويقول الدكتور **الشيعي** العراقي **(علي الوردي)**:

(ابن تيمية من الشخصيات الفلسفية الكبرىٰ في الإسلام، وهو في نظري يلي الغزالي من حيث قوة الإبداع الفكري، لا سيما فيما يتصل بالناحية المنطقية، ولكن ابن تيمية يختلف عن الغزالي من ناحية أخرىٰ)[2].

ثم يقول: (وصل نقد المنطق علىٰ يد ابن تيمية إلىٰ القمة. . إن العلوم الطبيعية في نظر ابن تيمية تجريبية أكثر مما هي قياسية استنباطية، وأكاد أعتقد أن ابن تيمية وضع في محاولته هذه أساساً للمنهج الاستقرائي الواقعي الذي نجده واضحاً لدىٰ ابن خلدون، ولو أتيح للحضارة الإسلامية أن تواصل نموها وازدهارها بعد هذه الفترة التي ظهر فيها ابن تيمية وابن خلدون، لربما رأينا المنهج الاستقرائي يتطور أكثر مما رأيناه علىٰ يد هذين المفكرين العظيمين، ونلاحظ في مقدمة ابن خلدون كثيراً من الآراء التي جاء بها ابن تيمية، في نقد العقل والمنطق، وهذه الآراء قد ترد في المقدمة أحياناً بألفاظ تشبه ألفاظ ابن تيمية)[3]!

---

(١) «المفكرون المسلمون» (ص١١٦ و١٤٨).

(٢) «منطق ابن خلدون»، علي الوردي (ص٥٧).

(٣) «منطق ابن خلدون»، علي الوردي (ص٥٧).

ثانياً: ثناء مشايخ من أهل السنة علىٰ ابن تيمية:

١ ـ من الهند:

أَلَّف مرجع علماء الهند الشاه **ولي الله الدهلوي** الحنفي (ت١١٧٦هـ) رسالة مفردة في مناقب ابن تيمية والدفاع عنه، طبعت غير مرة، ومما قال فيها إن ابن تيمية من: (علماء الإسلام حملة الكتاب والسنة والفقه، الذابين عن عقيدة أهل السنة والحديث).

وقال: (قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية، وحافظ لسنة رسول الله ﷺ وآثار السلف، عارف بمعانيها اللغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء، ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة، لم يُثر عنه فسق ولا بدعة، اللهم إلا هذه الأمور التي ضُيِّق عليه لأجلها، وليس شيءٌ منها إلا ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره؟ والذين ضيّقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالىٰ... إلخ).

كما أفرد **أبو الحسن الندوي الحنفي** (ت١٤٢٠هـ) مجلداً كبيراً في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية كله مدح وثناء ودفاع، وقد طبع مراراً، ويذكر أبو الحسن عن تأثره المبكر ببعض مؤلفات ابن تيمية وابن القيم، ويقول: (فكان لهما فضل كبير في الحصانة الخلقية والتماسك الديني الخلقي)[1].

٢ ـ ومن العراق:

ألف علامتها الإمام **النعمان الألوسي الحنفي** (ت١٣١٧هـ) مجلداً ضخماً سماه: «جِلاء العينين في المحاكمة بين الأحمدين» (يعني أحمد بن تيمية، وأحمد بن حجر الهيتمي)، وهو كتاب عظيم نصر فيه بالحجج العلمية شيخ الإسلام ابن تيمية، وأوضح تجنّي الهيتمي عليه، وقد قرَّظ هذا الكتاب كبار علماء العراق في وقته.

---

(١) «شخصيات وكتب»، تأليف أبي الحسن الندوي (ص١٥٦).

وقال **داود بن جرجيس** البغدادي (ت١٢٩٩هـ): (اعلم أني وجدِّي ووالدي بيت علم، وعقيدتنا عقيدة السلف، وليس الآن ببغداد من هو علىٰ مذهب الإمام أحمد غيري، وأنا تابع لأقوال الشيخين ابن تيمية وابن القيم)[1].

وقال الشيخ **يوسف بن إسماعيل النبهاني** (ت١٣٥٠هـ، ودفن في بيروت) ـ وهو من مخالفي ابن تيمية ـ:

(ابن تيمية هذا هو إمام كبير، وعلم شهير من أفراد أئمة الأمة المحمدية الذين تفتخر بهم علىٰ سائر الأمم، ولكنه مع ذلك غير معصوم من الخطأ والزلل.. وابن تيمية وإن أخطأ في هذه المسائل المعدودة، فقد أصاب في مسائل لا تعد ولا تحد، نصر بها الدين المبين، وخدم بها شريعة سيد المرسلين ﷺ، علىٰ أن بعض ما نسب إليه من تلك المسائل أنكر صحة نسبتها إليه بعض العلماء الأثبات.. واعلم أني أعتقد في ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي أنهم من أئمة الدين وأكابر علماء المسلمين وقد نفعوا الأمة المحمدية بعلمهم نفعاً عظيماً)[2].

٣ ـ من اليمن:

قال علامتها ورئيس قضاتها الإمام **الشوكاني** (ت١٢٥٠هـ): (شيخ الإسلام، إمام الأئمة، المجتهد المطلق). إلىٰ أن قال: (لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن شابههما أو يقاربهما)[3].

٤ ـ من فلسطين:

قال مفتي القدس العلامة **محمد التافلاني الأزهري** الحنفي (ت١١٩١هـ):

---

(١) «الدرر السنية» (١٢/ ١٨٧).

أقول: مع أنه من مخالفي مدرسة ابن تيمية، ومدرسة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، ولكن هذا كلامه!

(٢) «شواهد الحق»، يوسف النبهاني (ص٥٢ ـ ٥٦).

(٣) «البدر الطالع» (١/ ٦٣).

(الإمام ابن تيمية أجمع علىٰ جلالته واتساع باعه في العلوم الشرعية وغيرها الموافق والمخالف، ولا ينكر ذلك إلا غبي، أو جاهل، أو حسود، أو متعصب علىٰ حجر جموده واقف، وقد أثنىٰ عليه جمهور معاصريه وجمهور من تأخر عنه، وكانوا خير مناصريه، وهم ثقات صيارفة حفاظ ـ إلىٰ أن قال ـ وهذا الإمام تصانيفه قد ملأت طباق الثرىٰ، واطلع عليها القاصي والداني من علماء الورىٰ، فما وجدوا فيها عقيدة زائغة، ولا عن الحق رائغة، كم سلَّ السيوف الصوارم علىٰ فرق الضلال؟ وكم رماهم بصواعق براهين محرقة كالجبال؟ تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف، شهد له الأقران بالاجتهاد، ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد، وما سوىٰ العقائد نُسبت إليه مسائل جزئية رأىٰ فيها باجتهاده رأيَ بعض السلف لدليل واضح قام عنده، فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف؟)[1].

أما الشيخ المجاهد **عز الدين القسام** (ت١٣٥٤هـ) فإنه إذا ذكر ابن تيمية وابن القيم يصفهما بلقب (شيخ الإسلام) كما في رسالته «النقد والبيان» وهي مطبوعة مراراً.

٥ ـ من الشام:

قال مفتي الشام **عبد الرحمٰن الكزبري** الشافعي (ت١١٨٥) عن ابن تيمية: (شيخ الإسلام، أحد أساطين المحدثين الأعلام، مَنْ أذعن لغزارة علمه الموافق والمخالف، واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه مَنْ هو علىٰ مؤلفاته واقف، الإمام ابن تيمية أحمد تقي الدين. وإنه ممن دان بسيرة السلف الصالح، منزه عن الابتداع وزيغ العقيدة، سالكاً الطريقة السلفية الحميدة، وإن ما يُعزىٰ إليه من بعض المخالفات في الأصول أو الابتداع هو منه بريء، كما يصرح به النقل من كلامه في مشهور مؤلفاته الدال علىٰ أنه بموافقة أهل السنة حري)[2]. . . إلخ كلامه.

---

(١) تقريظه «للقول الجلي» (ص١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) تقريظه «للقول الجلي» (ص١٤٧ ـ ١٤٨).

وقد صنف وكتب المحدث **محمد صفي الدين البخاري الحنفي** (ت١٢٠٠هـ) كتابه «**القول الجلي**». في الثناء علىٰ ابن تيمية والذب عنه.

أما علماء الشام الكرام، وشيوخها الكبار، فقد صنفوا العديد من المصنفات المتميزة، والكتب العلمية الرصينة، والتحقيقات الدقيقة، في الثناء علىٰ ابن تيمية والذب عنه، ومن هؤلاء:

- العلامة المعاصر **محمد كرد علي** رحمه الله.
- والعلامة **محمد جمال الدين القاسمي** الشافعي رحمه الله.
- والعلامة **محمد بهجة البيطار** رحمه الله.
- والشيخ **علي الطنطاوي** رحمه الله.
- ومحمود **مهدي الإستانبولي** رحمه الله.
- والشيخ **عبد القادر الأرناؤوط** رحمه الله.
- والشيخ **محمد ناصر الدين الألباني** رحمه الله.
- والشيخ **محمد لطفي الصباغ** حفظه الله.
- والشيخ **عبد الرحمٰن الباني** حفظه الله، وأتم عليه نعمته وصحته.
- والعلامة المحقق **محمد زهير الشاويش** الحسيني العلوي الهاشمي - حفظه الله - ومتعه الله بالصحة والعافية، ومتع الأمة بعلمه وعمله.

أما الدكتور **محمد رمضان البوطي** فقد أجاب عندما سئل عن ابن تيمية بقوله: (ابن تيمية واحد من أبرز علماء المسلمين، وابن تيمية هو واحد من علماء المسلمين الأجلاء)[١].

وكذلك قال كلاماً طيباً في ابن تيمية علىٰ (قناة المستقلة) وهو آخر كلام له في ابن تيمية.

٦ ـ أما في مصر:

فقد أثنىٰ شيخ الأزهر **سليم البشري** علىٰ شيخ الإسلام وبرأه من التجسيم:

---

(١) انظر: موقع الشيخ محمد رمضان البوطي علىٰ الإنترنت: (www.bouti.net).

فحين وجه الأستاذ (أحمد علي بدر) صاحب كتاب «شمس الحقيقة والهداية» سؤالاً لشيخ الأزهر الإمام سليم البشري عن ابن تيمية وما يقال عنه من أنه مجسم ونحو ذلك بسبب قوله بالفوقية والعلو.

فذكر شيخ الأزهر **الإمام سليم البشري** أن هذه الأمور نسبت إلىٰ ابن تيمية، وشنع عليه معاصروه؛ بل البعض منهم كفره، ثم قال الشيخ:

(قد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه، وساق له عبارات أوضح معناها، وأبان غلط الناس في فهم مراده، وأنه لم يخرج عما عليه الإجماع، **وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه**)[1].

أما الكتب، فقد كتب عنه كثير من علمائها، فمن هؤلاء **علماء الأزهر**: كالشيخ محمد أبو زهرة، وهناك الشيخ محمد خليل هراس له كتاب بعنوان «**باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي**»، وهناك الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة «الصارم المسلول»، والشيخ علي محفوظ، عضو هيئة كبار علماء الأزهر، والشيخ محمد رشيد رضا في كتاباته الكثيرة.

قال شيخ الأزهر الشيخ **محمد عبده** ضمن كلامه علىٰ التعصب عند بعض المسلمين: (وقال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية ـ وهو أعلم الناس بالسنة وأشدهم غيرة علىٰ الدين ـ إنه ضال مضل! وجاء علىٰ أثر هؤلاء مقلدون يملؤون أفواههم بهذه الشتائم، وعليهم إثمها وإثم من يقفوهم بها إلىٰ يوم القيامة)[2].

كذلك أثنىٰ عليه أهل الفكر والعلم كأمثال الدكتور **علي سامي النشار** ـ وهو من خصومه ـ حيث يقول في ابن تيمية: (ترك ابن تيمية بما كتبه عن المنطق تراثاً علمياً لا يقدر، وقام بمحاولة لا تجد لها شبيهاً في تاريخ العصور الوسطىٰ)[3].

---

(١) انظر: «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها علىٰ الحركات الإسلامية»، صلاح الدين مقبول أحمد (٢/ ٥٣٦).

(٢) «الأعمال الكاملة»، جمع الدكتور محمد عمارة (٣/ ٣٥٩).

(٣) «مناهج البحث» (ص٢٨١).

ويقول أيضاً: (كتاب ابن تيمية «نصيحة أهل الإيمان في الرد علىٰ منطق اليونان» يعاون الباحثين في تاريخ الحضارة الإسلامية علىٰ الكشف عن العبقرية الإسلامية في أرفع مظاهرها العقلية)[١].

ويقول الشيخ (**مصطفىٰ عبد الرازق**): (وليس ابن القيم الجوزية ولا أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية من أنصار الفلسفة، لكنهما ممن اتصل بها، وألمّا بعلومها فيما ألمّا به من مختلف العلوم، وأسلوبهما في النقد والجدل عنيف، غير أن نفحات النظر العميق والاطلاع الواسع تخفف من لذع أسلوبهما)[٢].

ويقول ـ أيضاً ـ الشيخ مصطفىٰ عبد الرازق: (ولو أن الدراسات المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية علىٰ منهاجه في النقد، بدل الشرح والتفريع والتعمق، لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغاً عظيماً، وعسىٰ أن يتدارك شباب هذا الجيل ما فات أجيالاً ماضية)[٣].

ويقول أيضاً: (إنا نرجو أن تتوجه همم المشتغلين بالفلسفة وعلوم الكلام والتصوف إلىٰ درس آراء ابن تيمية في الفلسفة والكلام والتصوف، وهذه الدراسة نافعة في توضيح آراء كلامية وصوفية وفلسفية، كشف ابن تيمية غموضها بفكره النفاذ، وردها إلىٰ أصولها وأحسن بيانها بقوله الواضح المبسوط، ولابن تيمية في ثنايا رده علىٰ الفلاسفة والمتكلمين والصوفية نظرات فلسفية طريفة قد تفتح لدراساتنا الفلسفية الناشئة آفاقاً جديدة)[٤].

٧ ـ من المغرب:

رئيس رابطة علماء المغرب العلامة **عبد الله كنون** رَحِمَهُ اللَّهُ حيث كتب مقالاً في الدفاع عن ابن تيمية من افتراء ابن بطوطة عليه، ووصف ابن تيمية في

---

(١) مقدمة التحقيق لكتاب «صون المنطق» (ص ن).
(٢) «تمهيد لتاريخ الفلسفة» (ص٨٩).
(٣) «خمسة من أعلام الفكر الإسلامي» (ص١٢٥).
(٤) «خمسة من أعلام الفكر الإسلامي» (ص١٢٣).

المقال بأنه شيخ الإسلام وأنه يعد قطباً من أقطاب مذهب السلف[1].

ومنهم المؤرخ النسابة المحدث **عبد الحفيظ الفهري** (ت١٣٨٣هـ) حيث وصف ابن تيمية بشيخ الإسلام، وأن ما طعن فيه من الأقوال بعيد عن الإنصاف[2].

وقال علامة المغرب مسندها **عبد الحي الكتاني** (ت١٣٨٢هـ): (ابن تيمية هو إمام السنة الحافظ الكبير تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الأثري الدمشقي ـ إلىٰ أن قال ـ والإنصاف فيه قول الحافظ ابن كثير: كان من كبار العلماء، وممن يخطئ ويصيب، لكن خطأه بالنسبة إلىٰ صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطؤه أيضاً مغفور له كما في الصحيح)[3].

ومن ذلك قول العلامة المؤرخ عبد الرزاق البيطار (ت١٣٣٥هـ) كما في «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي»: (إن ابن تيمية إمام في السنة كبير، وطود عظيم من أطواد العرفان، حافظ للسنة النبوية ومذهب السلف، يذُبُّ عن الدين، ويقمع المارقين كالمعتزلة والقدرية والرافضة والجهمية، فما فارق سبيل الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة قيد أنملة، وإن كان حنبلياً في الفروع، فهو في أصول الدين جامع لمذاهب الأئمة الأربعة، والأربعة الخلفاء الراشدين ومن سلك سبيلهم.

فإن كان الوهابية حقيقة علىٰ منهج ابن تيمية وابن القيم ونحوهما من فقهاء الحنابلة السنية فهم أسعد الناس بالشريعة، لأن ابن تيمية وأصحابه لم يسئ القول فيهم إلا القاصرون عن درجاتهم علماً وتحقيقاً، والراسخون في العلم شهدوا بعلو مكانتهم)[4].

---

(١) «مجلة المجمع العلمي بدمشق» (٤٠/ ٦٧٥).

(٢) «معجم الشيوخ» (ص٢٨١).

(٣) «فهرس الفهارس» (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٤) «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص١٠٤ ـ ١٠٥).

ثم قال البيطار: (وقد طالعت الرسائل المؤلفة من محمد بن عبد الوهاب وأصحابه، ورأيت ما كتبه الجبرتي في «تاريخه» من عقائدهم وسيرتهم، فما هي إلا طريق السنة، ليس فيها ما يُنكر)[1].

ثم رد علىٰ رسالة البيطار العلامة **محمد المكي عزوز التونسي** مقراً له قائلاً: (وما أشرتم إليه في مكتوبكم من السير علىٰ منهاج الكتاب والسنة وعقيدة السلف، فأنفثُ نفثة مصدور مغتم القلب بما يرىٰ ويسمع من قلب حقائق الأمور.

أنتم منّ الله عليكم بجلساء موافقين لمشربكم في التماس الحقائق، والتزام أقوام الطرائق، ذوق وإنصاف، واتصاف بجميل الأوصاف، كرفقائكم الذين شرّفوا منزلنا معكم، وأكرمونا بتلك الأخلاق الكريمة، وكالأستاذ القاسمي، وغيرهم ممن لم نحظ برؤيتهم، فبلغوهم سلامي، وخلوص غرامي)[2].

وغيرها من الأقوال والشهادات التي جادت بها أقلام العلماء الكبار، تشهد بفضل ومكانة شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي قطرات يسيرة في بحر كبير من شهادة العلماء الصادقة.

وفي ختام هذا البحث: وبعد أن استعرضنا حال وأخلاق خصوم ابن تيمية، وفي المقابل بينا شيئاً من سيرة ابن تيمية وأخلاقه ورحمته بالمخالفين، وموقفه من بعض القضايا التي أُثيرت عليه، بعد كل ذلك أضع هذا البحث المتواضع بين يدي القارئ الكريم ليقارن بين الحالين وبين الخُلقين، من خلال النصوص الموثقة والأقوال المعتبرة للطرفين، ليحكم بنفسه، وليرىٰ هل أنصفوا ابن تيمية أم ظلموه.

نسأل الله أن يوفق الجميع للحق والهدىٰ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص١٠٥).
(٢) «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» (ص١٠٥).



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة